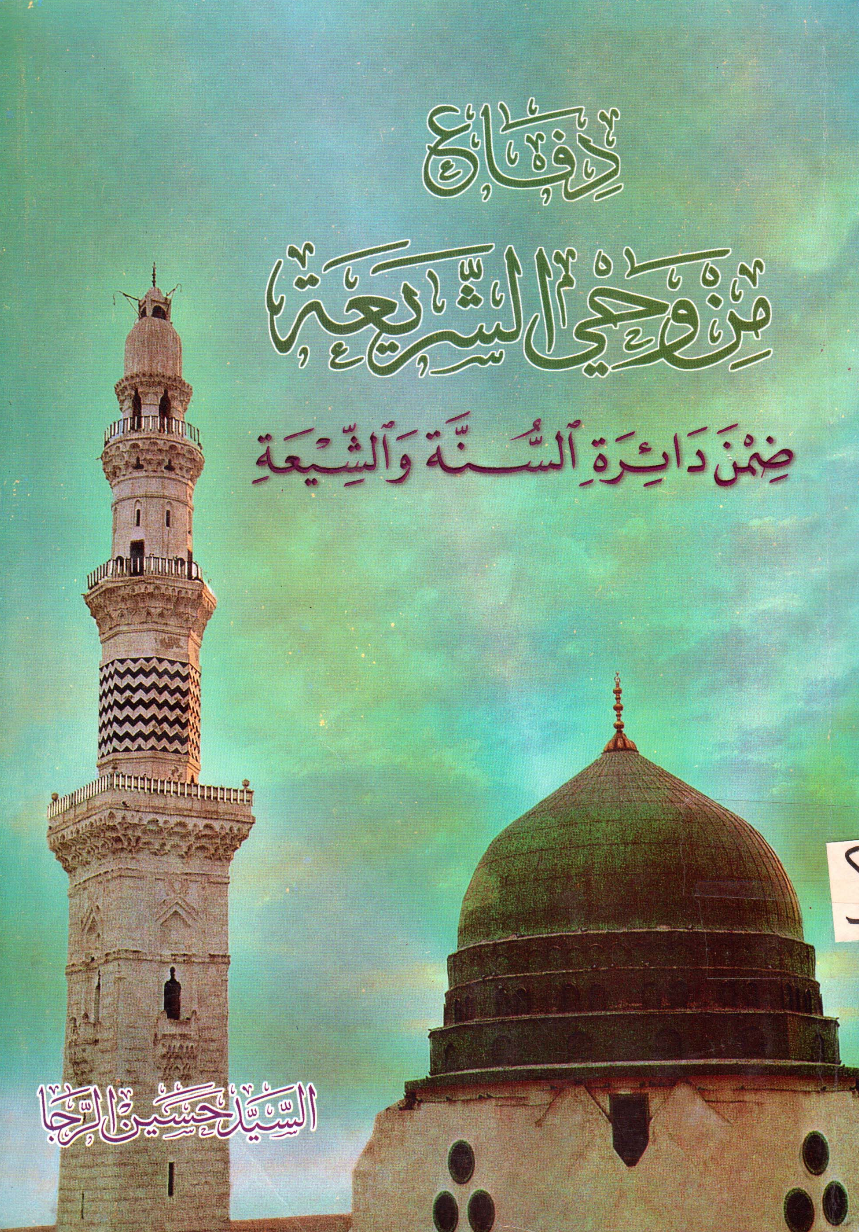


دفاع من وحي الشريعة

ضمن دائرة السنة والشيعة

السيد حسين الرجا


شبكة الفكر
alfeker.net

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ ١٩٩٩م





دفاع من وحي الشريعة

ضمن دائرة السنة والشيعة

السيد حسين الرجا


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم
مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك
نستعين اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين أنعمت عليهم
غير المغضوب عليهم ولا الضالين

المقدمة

الحمد لله الذي أنعم علينا من نعمه الظاهرة والباطنة بما يفوق العد والحصر كما قال تعالى:﴿**وإن تعدوا نِعْمَتَ الله لا تحصوها**﴾[1]، ومن أجَلِّ هذه النعم نعمة الوجود، وأجلُّ ما فيه العقل، وأجلُّ العقول المدرِكُ، وأجلُّ ما أدركَ الإنسانُ الإيمان بالله، وأجلّه الإيمان بأصول الدين الخمسة، وأجلُّها المشفوع بالعمل الصالح، وأجلُّ الأعمال ما جاء مطابقاً للثقل الأول «كتاب الله» والثقل الثاني «آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)» وما ذاك إلاّ تنفيذٌ لوصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عقب فراغه من أعمال الحج الأكبر، عند ماءٍ يدعى خما في آخر أيام حياته الشريفة حيث قال:

(أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله ... ثم قال وأهل بيتي ...)[2].

فالحمد لله الذي هدانا لهذا ﴿**وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله**﴾[3] فالبحث عن الهداية ضرورة شرعية وعقلية حيث أوجب الله فيما أوجب على كل مسلم أن يقول في كل صلاة ذات ركوع:﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾[4].

أما بعد وبعد الهداية والاستبصار طلب مني الكثير من الأخوة المؤمنين أن اكتب كتابا أذكر فيه شيئا من مساري العقيدي وسيري الخلقي وكيف استقيت الاستبصار ... غير أنني ترددت بضع سنين وفي يوم بلغني أن سماحة

---

١ – سورة إبراهيم: آية ٣٤.

٢– صحيح مسلم بشرح النووي ج٨ باب فضائل علي عليه السلام الجزء الأول ص١٨٠ فراجع.

٣ – سورة الأعراف: آية ٤٣.

٤ – سورة الفاتحة: آية ٦.

المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد محمد مهدي الحسيني الشيرازي (دام ظله) يشير علينا بالكتابة وأن أنقل تجربتي الصعبة نصرة للحقيقة وإرشاداً للطالبين.

وعندما وفقني الله سبحانه لزيارتهِ وألهمني منه ما ألهمني من روح وبصيرة، وجدته يؤكد كل التأكيد على الكتابة والنشر فانجلى التهيب عن قلبي وتجلت الرغبة في نفسي، غير أنني تأملت طريقة المعاصرين من ذوي التأليف في نشر منهج أهل البيت (عليهم السلام) من شيعة ومستبصرين فوجدت أن كتاباتهم لا تعدوا أن تكون إمّا رداً على كتابٍ، وإما إظهاراً لمظلومية أهل البيت (عليهم السّلام)، وإمّا إدانة المدين من السلف، وإمّا في فضائل أهل البيت، وإمّا في الدفاع عمًّا تفرد به مذهب الإمامية، وإمّا بيان جميع ما ذكر، فأفادونا إفادة عظيمة مقطوعة النظير فلم يتركوا لنا إلاّ نزراً يسيراً فجزاهم الله عنّا كل خير.

وبعد ذلك آثرت أن أسلك طرقاً قلَّ من ألَّف فيها فاخترت منها أن أناقش أدلة اخوتنا أهل السنة والتي بموجبها يتحاملون على الشيعة ويبتعدون عن التشيع، فناقشت في هذا الكتاب ما قُدِّرَ لي وسميته «دفاع من وحي الشريعة ضمن دائرة السنة والشيعة» وإن كان بعض كَتَبَة العصر يذمون طريقة القدامى في مسجوعية الأسماء!

واجتنبت فيه الألفاظ العلمية والمعجمية والأدبية المعسولة وأبعدته عن الاختصار المخل والتطويل الممل إلاّ قليلاً ولم أنقل عن مصدرٍ إلاّ بعد الوقوف عليه فأتَبَيَّنَهُ وأُبَيِّنَهُ وإذا نقلت دليلاً بالواسطة لضرورة غياب المصدر فإنني أبيّن ذلك في الحاشية.

ولقد صدّرته بستٍّ عشرة مقدمةً بينت من خلالها مسار حياتي في حقول التعلّم ثم العلم ثم أدراك الحقيقة ومحض الحق وجعلت لكل مقدمة منها عنواناً:

١ ــ العرف والعادة.

٢ ــ التصوف الشعبي.

٣ ــ منهومان لا يشبعان.

٤ ــ نهار الخفاش ليله.

٥ ــ البحث حثيث والخطر بالمرصاد.

٦ ــ شكوك حادة وضمير معذب.

٧ ــ آن الأوان فطاب المبتلى.

٨ ــ فاقد الشيء لا يعطيه.

٩ ــ يهرب طبيبٌ فيترك مريضاً.

١٠ ــ عمامة بلا معمّم.

١١ ــ طبيب مراوغ ومريض صوري.

١٢ ــ فصل الأحكام بالإلهام.

١٣ ــ فتوة طازجة.

١٤ ــ نصف العلم لا.

١٥ ــ التيس والناس.

١٦ ــ سماحة المفتي المياذين.

وبعد المقدمات ندخل في موضوعات الكتاب حيث نأتي بقائمة من الآيات الكريمة التي عتّم معناها وحُمِلّت ما لا تتحمل وأخرى من الأحاديث

التي يقدمها خواص الجمهور لعامتهم عاريةً محذوفة السلسلة ومبتورة الحكم على المتن والسند فنتَّخذها دليلاً ونناقشها حواراً ونقسّمها إلى طوائف وفصول حسب الخطة المرسومة لهذا الكتاب وبما أن هناك رموزاً للاختصار وتنبيهات لابد منها فإليك الإشارة من عدة نقاط:

- رموز الحاشية: «ج» تعني مجلد و«ص» صفحة و«د» دكتور و«ت» تحقيق و«ح» رقم الحديث كما هو مصطلح عليه.
- عندما ألتزم بحرفية النص أضعه بين هلالين ( ) وأحيل إلى المصدر في الحاشية.
- وفي حال اعتمادي على المعنى وعدم الالتزام بحرفية النص أهمل القوسين واذكر في الحاشية قبل المصدر كلمة انظر.
- إذا نقلت نصاً من مصدر وقد أعلن صاحبه من أين استقاه فإني أذكره في الحاشية مثال: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج١ ص١٨ نقلاً عن الخطيب البغدادي في الكفاية ج كذا ص كذا فاكون قد نقلت عن الإصابة وصاحبها نقل عن الكفاية وما ذاك إلاّ للفائدة فلعل أحداً لا يملك الكفاية فيرجع للإصابة أو أي الكتابين وجد ظفر.
- اذكر أحياناً اكثر من مصدر كأن أقول روى احمد والبخاري فهذا لا يعني انه لم يروه غيرهما كما هي القاعدة «إثبات الشيء لا ينفي ما عداه».
- عندما يذكر المحدّثون رسول الله يقولون (صلى الله عليه وسلم) ولكنّي أزيد عليهم (وآله) لأن هذه الصلاة من كلامهم وليست حديثاً.
- إذا كان الحديث طويلاً آخذ منه محل الحاجة وأضع مكان المحذوف

ثلاث نقاط ... كما هو مصطلح عليه.

- يعتبر الكتاب سلسلة متتالية فإذا لم يقرأ من الأول يجد القارئ عطشاً لمزيد بيان والحقيقة أن البيان موفور غير أنه موزع على الأبواب لضرورة وحدة الموضوع فلاحظ.
- قد اكرّر حديثاً أو حادثاً وما ذاك إلا فراراً من كثرة الإحالات عليه لو ذكرناه مرة واحدة وكل ذلك بسبب وحدة الموضوع ونسأل الله الصواب وجزل الثواب ومنه نرجو وفيه نرغب المرجع والمآب وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد الخلق محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

حسين الرجا

مقدمات في
مساري العقيدي وسيري الخلقي

١ ـ العرف والعادة

في الأربعينات من القرن العشرين استقبلت الحياة في كنف والـدي بـين أفراد أسرة بسيطة تعيش البداوة في الأريـاف النائيـة عـن المـدن وغالبـاً تجتـاز البوادي طلباً للماء والكلأ باعتبار أن حياتهم آنذاك تقوم على تربيـة المواشـي مما يحتم عليهم الحل والترحال.

ويرافق ذلك كله أميّة ضاربة أطنابها، فلـو أن رسـالة وجـهت لشـخص ما فلا يجد من يقرؤها، ولربما يبعث بها فارساً أو راجـلاً يفتـش عمـن يقرؤهـا في قريـة أو قريتـين ولربمـا ثـلاث فـلا علـم ولا تعليـم ولا عـالم ولا مدرسـة فلا سائد إلا الجهل والفقر والمرض ولا حاكم كمثل العرف والعادة.

ومن أبرز ما نلحظ من أعراف تلـك الفـترة أن عشـرات الألـوف مـن سكان وادي الفرات والخابور لا يرتضون التحاكم في قضاياهم ومشـاكلهم إلى العالِم أو القاضي الشرعي ورجل الإفتاء بل ولا الحـل القـانوني عنـد قـاضي صلح أو جزاء وإنما يذهبون إلى صاحب العرف المشتهر الـذي ورثـه مـن آبائـه وأجداده فيحكم للمرافع أو عليه فيُقبل الحكم وتحل المشكلة وتهدأ النفوس.

ومن الأعراف المعمول بها أن شيخ مشايخ العشائر إذا سنَّ سنَّة تتلقاهـا النفـوس بـالقبول طواعيـة فيعملـون بـها، فلـو ثـار الشـقاق ودقـت عوائص الأمور وخفيت المخارج، يحتجّ بعضهم بموجبـها علـى البعـض الآخـر،

ومن جملة هذه السنن التي كنا نعيشها أن المرأة لا ترث أباها ولا قرباها لا بفتيل ولا قطمير، وهذا مما لم نجد له مثيلا إلا في ثلاثة مواقع.

١ ــ موقع جاهلي حيث أن المرأة في الجاهلية تورث ولا ترث.

٢ ــ موقع حاكمي حيث أن الحاكم أمر بحرمان فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من ميراث أبيها فتأمل.

٣ ــ موقع علمائي حيث قرر أهل المذاهب الأربعة أن ابن الأخ يرث دون أخته، والعم يرث دون العمة[1] وما ذلك إلا جزء من نوع حكم الجاهلية في الإسلام وحديث (الحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولى رجل ذكر)[2] فزيادة «ذكر» غير صحيحة، وإلا فإنها تشهد لاستمرارية الحكم الجاهلي بقدر ما تشهد لحرمان العمة وبنت العم وبنت الأخ دون إخوتهن.

٢ ـ التصوف الشعبي

كان الناس الشعبيون يسمون من ينتمي إلى طريقة من طرق التصوف كائنا من كان «سيداً» لا بقصد أنه ينتمي لأهل البيت نسبا بل ولا يعرفون هذا المصطلح إلا ما شاء الله، ويسمون الخرقة التي توضع على الرأس «سيدة» لأنه سيد، وعلى هذا المفهوم كان والدي سيدا، قادري الطريق وشافعي المذهب وموسوي النسب، حيث تنتهي شجرته إلى السيد إبراهيم المرتضى بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام وكان يعصب رأسه بسيلة خضراء وكان بسيطا متواضعا، من يراه يتوسم فيه الخير وكانوا يعدونه من أهل الصلاح ويضفون إليه قدسية

---

١ – راجع فقه السنة للسيد سابق ج٣ ص٦٢٧ الروضة البهية على متن الرحبية ص١٩.

٢ – صحيح البخاري ج٤ باب ميراث الولد من أبيه ت. د. بغا. ج٦٣٥١ ص٢٣١٩ ورواه غيره.

ويزوره الكثير طلباً للعافية والاستشفاء فيقضي الله حاجات الكثير منهم فيعدُّوا ذلك من بركاته.

وكنّا نقوم بطقوس صوفية مثل ضرب الدفوف «المزاهر» وضرب السلاح وادعاء الوجد وحكايات الصالحين وقصص ومبالغات وبعض الأساطير التي لا تقوم على أساس شرعي أو منطقي.

وفي سن الثامنة تقريباً طلبت من والدي أن يعلّمني القرآن الحكيم فوعدني أن يجمع عشرات من الأطفال بقصد التعليم فأكون واحداً منهم ولكنني استبطأت ذلك فكررت الطلب فبدأ يعلمني فكنت احمل في كل يوم بعض أجزاء القرآن الحكيم حيث أرعى البُهُمَ.

وبالتالي أصبحت قارئاً كاتباً، وقد أُشربت حب التصوف تباعاً لوالدي واخوتي وتعلق قلبي بطلب العلم الشرعي بسبب قراءة بعض الكتب البسيطة المهداة أو المتصدق بها عن روح المرحوم الملاّ جاسم «أخو شوفة» أحد الدارسين نسبيّاً في المنطقة آنذاك وأدركت الناس يتحدثون بأنهم كانوا عند الابتلاء بمشاكل الطلاق يذهبون إلى المدينة فيستفتون الشيخ النهري ولقد شاهدت حفيده الأستاذ جميل نهري فوجدته عاقلاً متزناً وذكر أنه إلى الآن يحتفظ بمكتبة جده كتراث لعلم من أعلام العروبة والإسلام.

ثم جاء بعده دور الشيخ محمد سعيد العرفي في العلم والاستبصار والشيخ عبد الوهاب الراوي والشيخ رجب الراوي والشيخ حسين الرمضان في التصوف الشعبي وأضرابهم من أعلام مدينتنا الموقرة فذهبوا جميعاً مرحومين، ولم يكتب لي لقاء مع أحد منهم.

٣ ـ منهومان لا يشبعان

وهكذا أشربت حب التصوف وطلب العلم من سن العاشرة فإذا اشتد يظهر على جوارحي وإن ضعف يكمن بين جوانحي إلى أن بلغت من العمر سن الثلاثين فأصبحت رجلاً مستقلاً ذا دارٍ وزوجة وأولاد أكد وأكابد، صابراً على صخب العيش ونكد الحياة وكل ذلك بلا شيخ صوفي يرشدني ولا عالم شرعي يمنهجني، فالمدرسة بيتي والمدرس صفحة ذهني والمنهج المقرر كل كتاب وقع بيدي فاصبح قلبي منفتحاً بصفاء البادية ولساني اعرج بعجمتها حيث لا أستطيع أن أعبر عمّا يدور بخلدي ولو بأدنى مستوى نحوي أو بلاغي.

فأحسست بالنقص فذهبت أفكر في الخلاص فوجدت الحل في الكتب المدرسية، وقلت في نفسي أنني لست أقل فهماً من الطفل الذي يدرس الصف السادس ثم بدأت أستعير من الطلبة كتاب النحو الابتدائي فدرسته بلهف وصدق ثم السابع والثامن ثم التاسع وانتهيت بقواعد الصف الخاص في دور المعلمين للأستاذ الكريم تركي محسن الرمضان من بني عمومتي.

ثم أخذت شرح قطر الندى لابن هشام وشرح ابن عقيل ودرستهما بصدق معتمداً على الفهم اكثر من الحفظ وكنت اعمل في النهار وادرس في الليل وأطيل السهر، حيث اشتكى بعض أفراد أسرتي قائلين للناس بأنني أضعت أكثر من سنة ونصف السنة اسهر الليالي الطوال أخاطب نفسي «قال زيد وقال عمرو».

وبعد زمن لا يطول كثيراً بدأت أتأمل في دراستي وتصوّفي أياماً وليالي فانفعلت نفسي متأثرة بخيبة الأمل وكأنني أشم رائحة النقص تخرج من باطني وكنت أكرر هذين البيتين:

من أخذ العلم عن شـــيخ مشـــافهة فهو عن الزيغ والتحريف في حـــــرم

ومن أخذ العلـــم عـــن صحـــف... فعلمه عند أهـــل العلـــم كـــالعدم

وكنت أكرر كلام الغزالي بما معناه:«العلم إن لم تعطـه كلـك لا يعطيـك بعضه» وتذكرت قول بعضهم: أن العلم لا يناط إلا بصحبة شيخ وطول زمـن وذكاء ثاقب غير أنني قطعت الأمل آنذاك من أي مدرسة لأنني لا أملك شـهادة ولو ابتدائية أدرس بموجبها داخل البلد أو خارجه.

وأما تصوفي تأملت فيه كثيرا فوجدته سطحيا وخاصة أنـه ذوق ووجـدان باطني لا أملك منه إلا طقوسا معينة وتأملت في ضـاربي السـلاح وإذا بالكثـير منهم يطعن نفسه وهو لا يصلي فلا يتأذى وبعضـهم يتحـايل بـالضرب علـى الجمهور فقلت: إن طلب التصوف من أهلـه لا يلزمـه شـهادة للقبـول بخـلاف الدراسة فعرضت مشكلتي على أخي الأكبر وأخبرته أنني اعتزم السـلوك علـى يد أحد مشايخ وادي الفرات.

فأبى ذلك علي وأرشدني أن أذهـب إلى بغـداد باعتبـار إن والـدي كـان يقول طريقتنا قادرية. وبالتالي سافرت إلى بغداد وبايعت نقيب الأشراف الشيخ يوسف بن علي القادري فأجازني كوكيل عنه في بلدي.

وبعد مدة تقدر ببضعة أشهر أتاني الخبر الذي ينثلـج لـه قلـبي وهـو أن في مدينة حماة معهدا يـدرس الشـريعة ولا يشـترط الشـهادة ولا السـن المبكـرة ويقبل الطلاب أحرارا وبعد إتمام المرحلة يحيلـهم إلى جامعـة الأزهـر الشـريف فانضممت إليه.

وبعد ذلك شعرت بالاستقرار النفسي فشرعت اعمل بجد وإخـلاص في الأمور التالية:

١ - أعمل بالنهار في حانوت بإحدى أسواق المدينة.

٢ - أسلك بعض الناس في الطريقة القادرية وأعيش مشاكل ضرب السلاح الصوفي وحلقات الذكر وبعض الطقوس الأخرى.

٣ - أقرأ في الليل ما يلزم قراءته من كتب المنهج تحضيرا للاختبار الذي يجريه المعهد.

٤ ـ نهار الخفاش ليله

في أوائل عام «١٩٧٧م» شرعت اعمل بحانوت في قريتي وإذا بالناس يكفرون ما يقرب من عشرة رجال ويضللونهم ويشتمونهم ويشمئزون منهم ويتقززون من ذكرهم ويعوذون بالله من فقدان الدين ويقولون إنهم شيعة، فتذكرت الرجل التقي الملا رمضان العلي فإنه عندما يذكر علي بن أبي طالب يترضى عنه وعن شيعته ويقول: «إن شيعة علي في عصره هم خيار الناس فلما توفي جاء بعده أقوام فغيروا وبدلوا».

وتذكرت ما كنت أجده في بطون الكتب أنه: «لا يجوز تقليد غير المذاهب الأربعة لأنها لم تضبط ولم تدون وإنما انقرضت هي وأصحابها» وتذكرت كلام عبد العزيز بجاري الجبل حيث قال: «ذهبت إلى النجف الأشرف بقصد الاطلاع على المذهب الشيعي فعلمت أشياء منها أنهم لا يقلدون المجتهد الميت ... فكوفئت بإجازة أو شهادة فخرية» فقلت في نفسي: لابد من اللقاء بهم فإن وجدت خيراً فخير وإلا ضربت بمذهبهم عرض الحائط فاستشرت أخي الأكبر فهزأ بي وكنت لا أعرف إلا بعضهم رغم أنهم أبناء قريتي وعمومتي.

ولقد زرتهم فألحفوني وتكتموا عن كثير من الأمور، ففاجأتهم بأنني باحث وطالب حقيقة وغير متعصب، فإن وجدت عندكم حقا لا مانع وان عندكم كتب فأعيروني، فأوعدوني، وبعد أيام بعثوا لي كتاب المراجعات فدرسته دراسة آملة وفاحصة بما يقرب من ثلاثة أشهر وعرضته على بعض أهل الخبرة فنهوني عن مطالعة مثل هذه الكتب.

ثم أرجعته إلى أصحابه وأبلغتهم بأن الكتاب جميل جدا وفيه أحاديث بعضها صحيح وبعضها حسن وآخر ضعيف وكلها من أحاديث أهل السنة ولكن الناس يقولون: أن هذا الكتاب من اختلاقات الشيعة «بدليل انه لم يكن في الأزهر شيخ اسمه سليم البشري».

حتى وإلى الآن بعض علماء مدينتنا الموقرة يشيعون هذا القول بين عوام الناس لصدهم عن سواء السبيل، وليت شعري ما عذرهم عند الله وعند الناس وعندما نقول لهم ما يلي: «إن الشيخ سليم البشري هو سليم بن أبي فراج بن سليم بن أبي فراج البشري ولد عام «١٨٣٢م» بمحلة بشر بمصر وكان مالكي المذهب وعين شيخا للأزهر مرتين الأولى عام «١٨٩٩م» ما يقرب من أربع سنوات والثانية عام «١٩٠٩م» ما يقرب من تمام ثمان سنين فيكون مجموع مشيخته نحوا من اثنتي عشرة سنة وكان من أكبر المناهضين لجمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وله مؤلفات منها حاشية على رسالة الشيخ عليش في التوحيد وتوفي مرحوما عام «١٩١٧م» ودفن بقرافة السيدة نفيسة بمدافن السادة المالكية»[1] ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

١ - راجع الموسوعة العربية الميسرة والتي قام بجمع موادها اكثر من ٥٠٠ دكتور خبير مختص حرف الباء ص٣٧٤، وراجع معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج٤ حرف السين ص٢٤٩.

٥ ـ البحث حثيث والخطر بالمرصاد

وفي عام «١٩٧٩م» تقريبا، اتجهت نفسي تواقة إلى دراسة علوم التصوف من ناحية، وكتب الخلاف التي ترد على الشيعة لكراهتي لمذهبهم من ناحية أخرى، فكنت أحذر سالكي الطريق بل كل الناس عن اللقاء بالشيعة وعن قراءة كتبهم، والناس يتكاثرون من حولي ويثقون بكلامي وإرشادي.

ثم بدأت بشراء بعض الكتب الصوفية والعقيدية والفلسفية واستعرت كثيرا مما تيسرت استعارته من الكتب، فلم يمض على بحثي سنتان إلا وقد اطلعت من خلالهما على الكتب التالية:

١ ــ إحياء علوم الدين للغزالي.

٢ ــ عوارف المعارف للسهروردي.

٣ ــ الفتح الرباني لعبد القادر الجيلاني.

٤ ــ قلائد الجواهر للتادفي الحنبلي.

٥ ــ خزينة الأسرار لمحمد علي أفندي.

٦ ــ الغنية لعبد القادر الجيلاني.

٧ ــ التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي.

٨ ــ حقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى.

٩ ــ قواعد التصوف لأحمد البرسي المغربي.

١٠ ــ قوانين حكم الإشراق لمحمد أبي المواهب الشاذلي.

١١ ــ البرهان المؤيد لأحمد الرفاعي الأول.

ومن كتب الذين يهاجمون التصوف:

١٢ ــ كشف سبل الابتداع لمحمد سعيد الشبيب.

١٣ ــ هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل.

١٤ ــ تلبيس إبليس لعبد الرحمن بن الجوزي.

ومن الكتب العلمية التحليلية:

١٥ ــ التجربة الصوفية لبكري علاء الدين.

١٦ ــ غارودي وسراب الحل الصوفي لياسر شرف.

١٧ ــ التصوف في الإسلام لعمر فروخ.

١٨ ــ شطحات الصوفية لعبد الرحمن بدوي.

ومن كتب العقيدة والجدل:

١٩ ــ صراع مع الملاحدة لحسن حبنَّكة.

٢٠ ــ الفرق بين الفِرق لعبد القاهر البغدادي.

٢١ ــ مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري.

٢٢ ــ براءة الأشعريين من عقائد المخالفين لابن زروق.

٢٣ ــ قصة الإيمان لنديم الجسري.

٢٤ ــ كبرى اليقينيات للبوطي.

٢٥ ــ مسألة القضاء والقدر للقنبس والكعك.

٢٦ ــ والعقائد الإسلامية للسيد سابق.

٢٧ ــ الروح لابن قيّم الجوزية.

٢٨ ــ الفرقان بين الحق والباطل لابن تيميّة.

٢٩ ــ الأربعين في أصول الدين للغزالي.

٣٠ ــ والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم.

٣١ ــ المنقذ من الضلال للغزالي.

٣٢ ــ الملل والنحل للشهرستاني.

٣٣ ــ جوهرة التوحيد للباجوري.

ومن الكتب المنطقية والفلسفية:

٣٤ ــ إيضاح المبهم من معاني السلم للدمنهوري.

٣٥ ــ نقض المنطق لابن تيميّة.

٣٦ ــ فلسفة ابن طفيل لعبد الحليم محمود.

٣٧ ــ المدخل إلى فلسفة ابن سينا لتيسير شيخ الأرض.

٣٨ ــ مدخل جديد إلى الفلسفة لعبد الرحمن بدوي.

٣٩ ــ نقض أوهام المادية للبوطي في السنوات الأولى من إصداره.

٤٠ ــ نقض الماركسية الاشتراكية لغانم عبدة.

٤١ ــ فلسفة برجسون لمصطفى غالب في أوائل الإصدار.

٤٢ ــ فلسفة أرسطو طاليس لمصطفى غالب في أوائل الإصدار.

٤٣ ــ فلسفة ابن رشد لخليل شرف الدين في أوائل الإصدار.

٤٤ ــ أصول الفلسفة الماركسية.

٤٥ ــ ابن سبعين وفلسفة الصوفية لأبـي الوفـاء الغنيمـي التفتـازاني أستاذ الفلسفة الإسلامية والتصوف بكلية الآداب جامعة القاهرة.

ومن كتب الخلاف:

٤٦ــ السنّة ومكانتها لمصطفى السباعي.

٤٧ ــ العواصم من القواصم للقاضي أبي بكر بن العربي.

٤٨ ــ الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي.

٤٩ ــ المفاضلة بين الصحابة لابن حزم الأندلسي.

٥٠ ــ فرقان الألباب في الرد على الشيخ محمـد سـعيد العـرفي للشـ

حسين الرمضان.

٥١ ــ المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين.

٥٢ ــ النص والاجتهاد للسيد عبد الحسين شرف الدين.

٥٣ ــ وقليل آخر من كتب الشيعة كمثل الشيعة بين الحقائق والأوهام للسيد محسن الأمين.

٦ ـ شكوك حادة وضمير معذب

وفذلكة القول: أنني قرأت شيئاً من المنطق ونقضه، والفلسفة ونقيضها، والفرق وبدعها، والشيعة وفرقها، والسنة ومذاهبها، والأشعرية وجبريتهم، والمعتزلة وجدلهم وحنفيتهم، والحنفي ومرجئيته، والضاهرية ومجسمتهم، والشيعة وغلاتهم، والتسنن ويزيديته، والصوفية وباطنيتهم، وأن الطرائق بعدد أنفاس الخلائق، وأدنى مراتبهم السفر الروحي وأعلاها الوصول أو الاتحاد أو الحلول، وحجج مريديه ومعارضيه.

وقبل تمام سنتين من البحث شعرت بشكوك حادة وعنيفة تدخل حرم قلبي بلا ناظم ولا استئذان لم أتكلف لها طلباً ولم استطع لها رداً، فاستعذت بالله من هذه النتيجة ولكن هذا الداء استفحل وأخذ بالاتساع فلم يعد لدى قلبي شيء غير مشكوك فيه إلا الحسِّيَّات.

ومن الغيب التوحيد وجبريل والنبوة والقرآن الحكيم، ثم شككت بكل الأدلة التي يقدمها العلماء لهذه القضايا الأربع أو قُدمت من قبل، وقلت: لو كانت أدلتهم صحيحة لما اختلف فيها اثنان في العالم، فبقي إيماني بها وجداني. ولقد طال أمري فخفت على نفسي من زلة القدم ولم أجرؤ أن أشكو لأحد فجعلت أبحث في صفحة ذهني عن أدلة تثبّت قلبي.

ثم التجأت إلى الله أدعوه وكنت أخرج من بيتي ليلا فيأخذني البكاء وكان الناس يسألوني وأتحدث لهم في المجالس وكانوا يثقون بي ثقة عمياء فأقول في نفسي: لو تعلمون من الذي يحدثكم لطردتموني من مجالسكم وكنت أتمنى أن لا أقرأ ولا أكتب وأنني راع في فلاة وكثيرا ما أردد البيت الذي يذكره الغزالي في المنقذ من الضلال:

فكان ما كان مما لست أذكره ... فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وكنت أعزي نفسي بشك الغزالي حيث شك في كل شيء وبقي على مذهب السوفسطائيين لمدة شهرين وتحدثت بقصة الغزالي هذه لبني عمومتي أكثر من خمس مرات كل واحدة منها تكون على إثر ما يعصر قلبي وكنت إذا سمعت صوتا لم أر صاحبه يرتعد جسمي وكانت لي أوراد تلقنتها من نقيب الأشراف يوسف القادري في بغداد فتركتها، وهكذا.

وفي يوم وإذا بالأدلة تنقدح في ذهني ولكنها تخالف كل الأدلة المبحوثة في هذا الشأن ولكنني لا أستطيع ذكرها هنا ولا أقول: إنها تضاهي غيرها وإنما المهم أنها جاءت بطريقة خاصة ومن ذهنية قاصرة أعادت الاطمئنان إلى قلبي وكأني نشطت من عقال ولقد بقي قلبي موجوعا لمدة تزيد على شهرين حيث تدمر بعضه نتيجة معارك ضارية وبعد التعمير توقفت أكثر من ثلاثة أشهر لم أفتح فيها كتابا ولم ألوي على شيء إلا أنني أشعري قادري شافعي.

٧ ـ آن الأوان فطاب المبتلى

تجدد نهمي وتاقت نفسي لطلب العلم ولكن هذه المرة ـ وبعد الشفاء من الوباء الوافد وخروجي من محنتي سالما بعد دفاع عنيف، انحصر بحثي في

التسنن والتشيع حيث لم يبقَ لي مطلبٌ إلا التعرف على مبادئ وأوليات المذهب الشيعي، خاصة وهم يدّعون الانتماء إلى تلك الأصول الطيبة من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

وكان المتشيعون هم من أهالي قريتي وأبناء جلدتي وكانوا مستضعفين من جهة عقيدية فهم يسمعون كلمات التضليل والتكفير وكان عددهم يقرب من العشرة أو يزيدون وهم:

١ ــ السيد الحاج موسى الملاّ عيد: وكان تقياً ورعاً وقارئاً للقرآن ومرتله، ومن يراه يتوسم الخير في وجهه يحدِّث الناس وغالباً يقتصر على الكتاب والسنة.

٢ ــ الحاج ياسين المعيوف: داعية للتشيُّع وصاحب عزيمة في العمل، وقد ألف مؤخراً كتاب «يا ليت قومي يعلمون».

٣ ــ السيد علي الموسى الملاّ عيد مثقف جامعي.

٤ ــ السيد علي الجاسم: متديِّن صادق يأمنه الناس ويثقون به.

٥ ــ السيد حسن الهبالي.

٦ ــ السيد خضر الجاسم.

٧ ــ السيد محمد الجاسم.

٨ ــ أبو علي خلف الحاضر.

٩ ــ السيد محمود السعيد.

١٠ ــ السيد عيسى الهلال: ولقد زرته مرة فوجدته يقرأ في كتب شيعية فنهيته ونصحته عن قراءة مثل هذه الكتب بعد أن استسرني واسترشدني.

١١ ــ السيد عمر العلي بن السيد حمادي: هو أول من استبصر فكان

وسيلة أو جسراً سمح بالعبور لمذهب الأطهار من آل محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المنطقة الشرقية وبخاصة قرية حطلة والتي يعتبرها مَنْ حولها من الناس مركزاً للتشيع، فأُثلجت قلوبنا بمعين آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وذهب الظمأ والحرمان، فانجلى غشاء التعتيم عن أبصارنا، فهو بشير خير كالذي حمل قميص يوسف إلى يعقوب فارتدّ بصيراً.

ولقد زرتهم بعد مدة وكان اللقاء في بيت السيد عيسى الهلال فوجدت بعضهم فاحترموني وأعسلوا الكلام ثم شرعوا يتحدثون عن أهل البيت (عليهم السّلام) وقالوا: أن أهل السنة لا يعرفونهم.

فقلت: نحن نعرفهم أكثر مما تعرفون فشرعت أعدد بعضهم بلا دقة ولا ترتيب فعددت معهم الحسن البصري فضحكوا وهم على استحياء منِّي وقالوا: ألم نقل لك أنكم لا تعرفونهم؟ فاعتذرت لهم بأنني قصدت أن أعد جماعة من السلف وكنت أعلم منهم، ولكنهم أنقى بصيرة منِّي بسبب التقليد الأعمى.

فأخذني الاستحياء من الرجل الذي نهيته عن مجالستهم وقراءة كتبهم وقلت في نفسي: أنهم يعرفون وإن لم يكونوا علماء، غير أنني لم أتعثر من كلمة طائشة خرجت مني على غير قصد وإنما مطلبي أن أستعير من كتبهم للمقارنة.

وبالتالي أصبحت أستعير منهم الكتاب بلا قيد ولا شرط وكلما تمضي عدة أشهر تكون الكتب موفورة لديهم أكثر وكلما تمضي سنة تكون أكثر في شتى الحقول فتكون مطالعتي أكثر، والمقارنة أكثر فأكثر، حيث قارنت بين المذاهب الأربعة وفقه الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) والكثير من الكتب

الخلافية من تاريخية وعقيدية إلى درجة أنني أعطي كامل أوقات فراغي لهذه الدراسة.

وكان أخي الأكبر يمرُّ بي وأنا عاكف على مختلف الكتب التي لم يرها من قبل ولم يسمع بما فيها فأوعدني بأن سأصبح يوماً مجنوناً، وبالفعل وبعد الاستبصار قال لي: أنت مجنون وقال: أنت «تصلَّخت» أي انسلخت من ثيابك وقال: «لا تتصلّخ» أي أنك مجنون ولكن لا تمزق ثيابك فقلت في نفسي: كيف ترجو من المجنون ألاَّ يمزق ثيابه وبعد ردحاً من الزمن استبصر أخي فلم أقل له لا تمزّق ثيابك.

لقد وافاني اليوم الذي أصبحت أقدم فيه رجلاً وأؤخر رجلاً حيراناً معذباً أقدم الأولى انصياعاً للحق والدليل، وأؤخر الثانية خوفاً من زلة القدم، فلم يمضِ زمن مقداره ثلاث سنوات وزيادة أشهر إلا وقد استولى الحق على قلبي. وكانت دراستي خلال المقارنة بعيلة عن الهوى والتعصب والطائفة والعواطف، وكنت حذراً حاضر الذهن ودقيق الملاحظة غير متسرع في الحكم فآمنت بأهم المسائل العقيدية والمذهبية مسألة مسألة.

وباعتبار أن مثل هذا الانتقال صعب وشائك جَعَلَتْ الرياح تعصفني يميناً وشمالاً فتعثّر لساني وتردد قلبي وكأن أمواجاً تتجاذفه، موجة للدين وموجة للدنيا، لأني عالم بأن تشيعي سيكون على حساب مصلحتي وسمعتي وكرامتي عند بعض الناس وحجب ثقتهم عني وتفرقهم من حولي.

فأصبحت أسير الامتحان في سجن الابتلاء في لحظات لا مناص لأجل الخلاص إلا بالفداء، ولكن ما نوع هذا الفداء فهل أفدي الدنيا بالدين أم الدنيا لأجل الدين وبعبارة أخرى أيهما أبيع وأيهما أشري أحلى البيعين

مر وأدفأهما أحر من الجمر، فكتمت أمري ما يقرب من شهرين راسلت خلالهما السيد عبد جرجب الحسين والسيد محمود عايد الوكاع فأجاباني بالإيجاب وسربت خبرا إلى قرية الصعوة فقيل للسيد محمد محمود العجيل أن شيخك تشيع ولقد رأيناه بأعيننا يصلي مرسلا يديه لا متكتفا فقام ذلك السيد وتوضأ وصلى مرسلا يديه ثم قال: شيخنا عالم حاشاه من الغلط.

ولقد استشرت رجالا من أبناء قريتي وعمومتي ممن أثق بهم فسكت بعضهم وعارض البعض الآخر وكل ذلك كان سرا ثم أعلنت الحق والله لا يقضي إلا بالحق، وعلى إثر ذلك تفرق الناس من حولي وخلعوا بيعة الطريقة وأساؤا الظن وحكموا علي بأحكام لم يرض بها الله تبارك وتعالى.

فبعض الناس شمت وشتم فأصبحت هدفا للسهام وعبرة لمن يعتبر ولا مشاحة هنا فإن الناس أعداء ما يجهلون.

وبعضهم اعذرني ولكن باعتقاد أنني مجنون.

وبعضهم يقول أنه سياسي يستتر بالدين. وبعضهم يقول أنه ترك دينه لأجل الأطماع.

وبعضهم يقول أنه لا يستطيع أن يرجع إلى دينه فلو رجع فالشيعة يقتلونه، وللأسف الشديد أن مثل هذه الهراءة يطلقها أحد السملحات.

وبعضهم ظن أنني أبحرت في العلم فاختلط أمري وذلك انطلاقا من المقولة الشائعة بين الناس: أن العالم عندما يبعد في خوض العلم يدخل على عقله.

وبعضهم اعتقد أنه قد غرر بي فلذا قام بعض الأصدقاء يعرضونني على العلماء طلبا للشفاء فكنت أقول:

يا طالب الطب من داءٍ أُصبـــتَ بــهِ إن الطبيب الذي يبليـــك بـــالداءِ

٨ ـ فاقد الشيء لا يعطيه

شرع الناس يلتقون بـي فيسـألونني ويـردون علـيَّ كـلٌّ حسـب عقليتـه ومستواه، فواحد يقـابلني بـاللوم والعتـب وآخـر بالشـدة والانتقـاص وثـالث يذكّرني بثقة الناس والقيمة الاجتماعية وأنها ذهبت مني ورابع يطعن ويســب بكلمات جارحة وأليمة.

إلى الآن لهـا صـدىً في قلـــبي، وأنـــني لأعرفــهم، وإلى الآن لم أذكرْهُـــم ولم أذكِّرهُمْ، وكنت أدافع عن نفسي بكتاب الله وسنة رسوله فأتلو الآية وأذكـر الحديث فيكون الجواب: ألم يقرأ الآية إلاّ أنـــت؟ ألم يعـرف الحديـث إلا أنـت؟ ألم يقرأه العلماء؟ ألم يقرأه الناس؟ فلماذا لم يغيروا دينهم؟ وعندها يتمزق قلـبي أسفاً على جماهير الناس الذين لا يعرفون عن الدين شـيئاً، وكنـت أكـرر هـذه الكلمات «يا ليتني لم أعرف الناس ولم يعرفوني».

وبعد مدة غيرت حديثي مع الناس فـأصبحت أقـول: لعلـي مريـضٌ وأنـني أخشى على نفسي، والمريض يعالجُ عند الطبيب ومرضي مـن نـوعٍ آخـر لا يشـفيه إلاّ الدليل، خذوني إلى الأطباء خذونـي إلى العلمـاء، ومـن البديـهي أن مثـل هـذه الكلمات تبعث الأمل في أذهان بعــض المحبـين فنـهضوا بجـد ونشـاط يعرضونـني على ذوي الاختصاص من أهل الفضل والمعرفة.

٩ ـ يهربُ طبيبٌ فيترك مريضاً

أبلغني ذات يومٍ أحد المحبين الغيارى أنه يعتزم عقد لقاء بيني وبين أحد

العلماء فقلت: له يا ليت فإن وَضَحَ الحق وَشُفِيَتْ نفسي لكَ الأجرُ والثواب، وأنني خائف من زلة القدم ولكنني أطلب منك أن يحضر ندوة الحوار بعض المثقفين لأنهم أقدر على الفهم فيحكموا لي أو عليٍّ وبعد أيامٍ أبلغني بأنه عيَّن العالم والزمان والمكان فذهبنا في الوقت المحدد ووجدنا الشيخ بالانتظار وقد حضر أحد المثقفين وكان عدد الحضور سبعة رجالٍ وما أن استقر بنا المجلس إلا ونطق أحدهم قائلاً: شيخنا هذا السيد الذي كلمناك بشأنه وعندها بدأنا الكلام واليك عزيزي القارئ نص الحوار بكامله.

أشاح الشيخ بوجهه ناظراً إلى وجهي فقال: ﴿**هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**﴾

فقلت له: شيخنا أ صحيح أن عمر بن الخطاب دخل على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فوجده ميتاً مسجًّى ببردته فأغلق الباب عليه وشهر سيفه يهدد الناس ويمنعهم من القول بأن محمداً قد مات ويقول: بما معناه من قال محمد قد مات ضربته بسيفي هذا، محمد لم يمت وإنما ذهب إلى ميقات ربه كموسى بن عمران وسيرجع بعد أربعين يوماً فيقطع أيدي رجالٍ وأرجلهم؟

فقال: نعم هذا الحديث صحيح لا غبار عليه.

فقلتُ له:شيخنا هل الله قال: أن محمداً لم يمت؟

قال: لا.

قلت: فهل رسول الله قال إنني لم أمت؟

قال: لا.

قلت: فهل جبريل نزل على عمر فقال له إن محمداً لم يمت؟

قال: لا.

قلت: أما كان عمر يقرأ قول الله: ﴿إنك ميت وانهم ميتون﴾[١]؟

قال: بلى.

قلت: إذا كان الله لم يقل بما قال به عمر ورسول الله لم يقل ذلك وجبريل لم ينزل على عمر وكان عمر يقرأ ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾[٢] معنى ذلك أن عمر تكلم بما لا يتطابق مع الواقع بل تكلم ضد الله ورسوله وجبريل والقرآن.

ثم سكتُّ قليلاً انتظر الجواب ووجه الشيخ يتغير وقبل أن يتكلم قلت: اللهم إلا أن يقال أن عمر كان يهجر وحتى هذا الاعتذار ساقط من الحسبان لأن الرجل عندما يهجر يختل كلامه لفظاً ومعنىً لأنه فاقد الشعور لا يدرك ما يقول، على عكس ما يقوله عمر حيث تكلم بكلامٍ فصيح فلا ركة في المعنى ولا هجر في القول.

ثم سكتُّ قليلاً أنتظر الجواب وإذا بالشيخ ينظر إلى الساعة في يده قائلاً عندي موعد «يا الله !!» فينهض قائماً فتفرقنا بلا عودة.

ثم التقيت بالرجل المثقف فقلت له: بماذا حكمت فقال: إذا كان دليل الشيعة هكذا وعلماء السنة هكذا فعلى هذا الأساس اعتبرني شيعياً وبعد مدة استبصر ذلك المثقف والحمد لله.

١٠ ـ عمامة بلا معمَّم

اصطحبني ذات ليلة أحد المحبين إلى بيت أحد المشايخ لغرض الاستشفاء!! فاستقبلنا ورحب بنا فقبّلت يده، ولما استقر بنا المجلس قال الشيخ:

يا حاج حسين أ صحيح ما سمعناه عنك؟

فقلت له: نعم شيخنا.

فقال: تكلم لنا كيف استحوذ عليك الشيعة بأعظم مصيبة هي المصيبة في الدين؟

فقلت له: شيخنا لقد قرأت بعض كتبهم العقيدية والجدلية والتاريخية وسيرة الصحابة وغيرها فوجدتهم يثبتون صحة مذهبهم من كتب أهل السنة وبالأخص صحيحي مسلم والبخاري وسائر الكتب الستة وكذلك يثبتون غلط مذاهب أهل السنة من كتبهم ولقد راجعت الكثير فوجدته كما يقولون وكلما يزداد شكي في التسنن يزداد يقيني في التشيع، وفي مثل هذه القضايا تزل الأقدام فخفت على نفسي من زلة القدم وأصبحت مريضا ولا علاج لي إلا عند العلماء. وإلا فمرضي لا ترجى برأته.

فاطرق الشيخ دقيقة صمت ثم نظر إلي نظر العالم المتمكن والمتحدي؛ فقال: يا حاج حسين لا يمكن أن الصحابة يغلطون أو يزلون، وإذا الصحابة يغلطون أو يزلون أو يأثمون ويجرمون أو يتعاطون المعاصي فأنا أشرط عمامتي وأضعها في بيت الماء «يعني يمزقها ويضعها في المرحاض».

ولما أنهى الشيخ كلامه أطرقت رأسي ولم أرد جوابا وشرع ذهني يتجول بين ثلاثة محاور تارة في مكتبة الشيخ التي تضم صحيحي مسلم والبخاري وتارة في عمامته التي أصيغت على طراز أبدع ما تصاغ به العمائم وثالثة أفكر في المرحاض الذي لا يبعد كثيرا عن مجلس الحوار فأخذني صراع داخلي فتارة تحمل علي نفسي فأكاد أن أقول للشيخ: آتني بمجلد كذا ورقم كذا وباب كذا وكذا في مسلم والبخاري وتارة أحمل عليها فأسكتها فوالله ما منعني عن رد

التحدي إلا شيمي وأخلاقي ولأن الرد خطير والرهان رهان عمائم.

وبعد الحوار الذي هو أقرب إلى كونه صبياني تفرقنا، ولما دخلت بيتي وأخذت مضجعي أدركتني بركة الشيخ فاستفدت كثيرا غير أنها من نوع سلبي ونتيجة عكسية حيث قررت أن لا أموت إلا شيعيا على طريق آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلمت بأن الشيخ مأسور الفكر والدراسة وأدركت أن كثيرا ما يوجد في العالم الإسلامي من عالم بلا علم وعمامة بلا معمم وأيقنت أن طلب العلم للعلم هو غيره عن طلب العلم للوظيفية والاكتساب.

١١ ـ طبيب مراوغ ومريض صوري

باعتبار أن النخوة والحمية والغيرة على الدين من المآثر الحميدة بين المسلمين اجتمع بعض الأخوة المحبين واقتادوني إلى شيخ هو من أعاظم مشايخ المنطقة فرحب بنا وأكرمنا، ولما استقر بنا المجلس أظهرت شكواي بأنني مريض وهو طبيب، وكلمه أصحابي في هذا الشأن فضرب صفحا وشرع يتحدث عن قضايا لا تمت لقضيتي بصلة لا في اللفظ ولا في المعنى، ولما طال الكلام نظر أحد أصحابي إلى الآخر فذكروا الشيخ بقضيتي فقال لهم «الشيعي خير من الشيوعي» وسكت فانصرفنا عن سراب الشيخ عطاشى.

وكان ذلك الشيخ ذكي وبعيدة مراميه فلا أدري هل قصد بكلامه «أن الإيمان خير من الكفر؟» أم قصد مثلما صرح ابن تيمية حيث قال: «أقرب الملاحدة إلى الإسلام محي الدين بن عربي» وما ذاك إلا لأنه فرق بين الثبوت والوجود وبعبارة أوضح: «أن العالم قديم بالزمن حادث بالذات» وهذه التفرقة حدت بابن تيمية أن يعطي ابن عربي ذلك القرب.

وعندما دخلت بيتي أحسست بقلبي ينثلج بذكر آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ويبتعد عن غيرهم إلى درجة أن نفسي أصبحت تتخيل أن أعظم دليلا على صحة التشيع وخطأ غيره هو عجز علماء محافظة كاملة عن إقناعي ولو بحديث واحد يصيب الهدف إلا بعض مراوغات وشائعات سبرنا أغوارها فلم نجد لها واقعا من الواقع والحمد لله.

١٢ ـ فصل الأحكام بالإلهام

ذكر لي بعض الاخوة أن هنالك شيخا عالم بالظاهر والباطن «أي بالشريعة والاستجلاء الباطني» وأنه يصلح أن يكون طبيبا ويجب أن تعرض نفسك عليه، فلم يزل بي حتى أقنعني فنهضنا نلتمس منه العلم والاستشفاء فأكرمنا ورحب بنا ثم عرضت نفسي عليه وطلبت منه العلاج الناجع وقلت له: أنني على مفترق الطرق واضع قدمي على مثل حجر عثرة حادة الانزلاق، ولئن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم .. وكلام من هذا القبيل.

وكلمه صاحبي ثم صمتنا ننتظر الجواب فشرع الشيخ يتكلم بكلام في الربع الخالي وقضيتي في مكة المكرمة وكلما يزيد في الكلام أكثر يبعد عن الغرض اكثر ونحن على حين غرة والشيخ يتكلم وإذا به يغمض بقية عينه ويهدر قائلا: «آه ... الآن جاءتني الهامة ! لقد رأيت الآن رسول الله وأبا بكر وعمر وعثمان وعليا ومعاوية جالسين تحت العرش على كراسي من نور لا خلاف بينهم».

وفي حينها شعرت وكأن قلبي ينصفق على أضلعي فقلت في نفسي: وأين

ذهبت صفين وشتائم معاوية لأهل البيت الطيبين الطاهرين؟! وأين ذهبت دماء سبعين ألف من المسلمين؟! وأين؟ وأين؟... إلى درجة أنني غرقت في بحر التفكير فلم أعد أسمع كلام الشيخ إلا همهمة ولا افهم ما يقول فتفرقنا وأنا مكسور الخاطر على هكذا علماء وهكذا مسلمين.

ثم أقسمت على نفسي بالله العظيم أن لا أموت إلا شيعيا ولا أحشر إلا شيعيا ولا أصدق كلاما ينقل منسوبا إلى الشريعة الإسلامية إلا ما كان آية صريحة محكمة أو حديثا صحيحا يوافق صحيح ما نقل عن الأطهار عن جدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

١٣ ـ فتوى طازجة

هناك شاب من بني عمومتي ومن أصهاري ـ ولما تشيعنا ـ خاف على دينه «حسب المدعى» فسارع يناشد العلماء حل المشكلة بما معناه «أن آل الرجا أصبحوا مركزا من مراكز التشيع وأنني صهرهم ومضطر للذهاب إليهم في الأفراح والمآتم وكل مناسبة كما هو في العرف والعادة، فلو ذهبت إليهم فما يحل لي وما يحرم علي» فجاءت الفتوى على لسان بعض السماحات بما يلي:

«اشرب ماءا وكل خبزا ولا تأكل لحما، فذبائحهم لا تؤكل لأنهم على غير دين» ولما بلغني خبر الفتوى الطازجة قرأت قول الله تبارك وتعالى: **﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم﴾**[1] وقلت هل صحيح أن الإسلام يحرم على مثل هؤلاء المفتين طعام أتباع آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في الوقت الذي يبيح لهم طعام الذين أوتوا الكتاب ثم تلفظت بالشهادتين جهرا

---

١ - سورة المائدة: آية ٥.

«اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله» وقلت لمن حولي: إن هاتين الشهادتين تعصمان الدم والمال والعرض وتبيحان الطعام والسلام والنكاح والميراث.

ولقد شاهدت مؤخرا الكثير من سماحات المنطقة يتناولون طعام أتباع آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فلست أدري هل هو إجماع سكوتي كما هو المقرر في كتب الأصول ومنها الكتاب الأصولي للأستاذ عبد الوهاب خلاف ـ أستاذ الشريعة بكلية الحقوق بجامعة القاهرة سابقا ـ حتى وإن لم يكونوا مجتهدين؟ وهل الإجماع السكوتي المتأخر ينسخ الفتوى المصرح بها سابقا ؟.

١٤ ـ نصف العلم لا

استشارني أحد رجال التشيع بالذهاب إلى أحد المشايخ لغرض المناظرة وسبر غور الشيخ والكشف عما يكن في خلده تجاه التشيع فالتقينا به فرحب بنا وعلى أعقاب ذلك بحثنا الموضوع فاعتذر قائلا: لا أستطيع النقاش لأنني لم ادرس التشيع ولم أطلع عليه فلا يجوز أن أتكلم بما لا أعلم فأعذرناه وصدقته وكبر في عيني وعظم في قلبي وبالفعل كان ذلك الشيخ تقيا ورعا صوفيا تلوح عليه سيماء الرجل العاقل وله سمت خاص ومرضي عليه جماهيريا.

١٥ ـ التيس والناس

على أعقاب أن انغرست بذرة التشيع وتجذر جذعها وعلت أغصانها ورفرفت نسائم آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بأوراقها وكشف بدو الصلاح عن طيب ثمارها تجمع أوباش الناس حانقين يريدون اجتثاثها

من جذورها وإخماد جذوتها وإسكات أصحابـها وحملـهم علـى أشـواك طـرق غير مأمونة لكثرة التعرج وجهالة المسار واحتمالية النتائج، فهم لا يلوون علـى شيء ولا يألون جهدا، فتارة بالدعاية والإشاعات وأخرى بالتهويل والتخويـف، لا يرقبون في مسار آل محمد (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) إلا ولا ذمـة إلى درجـة أن بعضهم شتم أمير المؤمنين علي بن أبـي طـالب وبعضـهم تـبرأ مـن الحسـين (عليهما السلام).

أقول: على أعقاب ذلــك كلـه فجـأة وإذ بالنـاس يقدسـون تيسـا يقطـن في بلدة أبي كمل الواقعة آخر المنطقة الشرقية السورية مما يلـي العـراق فـذاع صيـت ذلـك التيـس وعـلا ذكـره وتمكنـت قدسـيته مـن قلـوب النـاس بسـبب خاصيـة التخنيـث فـهو يملـك أنثيـي ذكـر وضرعـي أنثـى فلذلـك اشـتهر أن لبنـه شـفاء من كل داء عضل، فطفق الناس يزورونه مــن كـل حـدب وصـوب طلبـا للعافيـة والشفاء العاجل وأن قطرة من لبنه عـلاج للعقـم عنـد الرجـل والنسـاء، ويشـفي مرض السل والسرطان وغيرهما فـهو لا يوفـر وكـأن اختصاصـه جميـع الأمـراض وذلك لا يحصل إلا مـن مخنـث خرجتـه كليـة التيـوس ومنحتـه شـهادة التخريـف واسـتأجرت لـه بيتـا في أذهـان الأغبيـاء واختصتـه بـزرع التخلـف في كـل دمـاغ يصلح لتقبل وباء ذلك الزرع المشؤوم.

وعادة أن أصحاب الكراجات يتنـادون باسـم البلـد الـذي يؤمـه المسـافرون فلم تمـض إلا مـدة لا تطـول وإذا بأصحـاب الكراجـات وبأمكنـة خاصـة يتنـادون مصبحـين حتـى المسـاء (عـالتيس عـالتيس عـالتيس) فيقلـون جمـهرة النـاس مـن محليين ووافدين من شتى أنحاء الخليج والجزيرة العربيـة وغيرهـا متجـهين إلى بلـدة أبي كمل ليحظوا ببركة تيس مخنث كما هو شأن بعض الخنـاثى مـن بـني البشـر

في الوقت الذي يحرم بعض المسلمين زيارة الصالحين ومراقد الأطهار من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

ثم أن كم الزوار الهائل أخذ بالازدياد فلو بقي لعله يضاهي أضرحة الأقطاب الأربعة الجيلاني والرفاعي والبدوي والدسوقي من حيث الزائرين.

ولا أدري إلى أين تؤول الأمور لو بقي تيس أبي كمال، فهل نضاهي به عجل السامري في بني إسرائيل؟

وهل لو سمع الإنجليز بتيس أبي كمال فهل يشرونه بالثمن الباهظ؟ أم يشرون قطرات من حليبه كعلاج عالي التركيز ضد الجنون البقري الذي أخذت عدواه تهدد المواطن البريطاني؟ غير إننا نشكر الجهات المختصة التي أوقفت هذه المهزلة بمصادرتها تيس التخنيث وطبيب التخلف تخليصا للناس من دور الخرافة والتخريف.

أقول: حري بنا أن نصف حطلة بأنها قرية التحرر الفكري واللاجمود في التقليد لسببين: الأول لانتشار فكر الأطهار من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في أرجائها، والثاني لأنها تعج بالمثقفين من مختلف الكفاءات والمؤهلات العلمية. حيث لم يدنسوا أذهانهم بتقديس تيس مخنث تضرب به الأمثال للدلالة على الغباء فلو أردت أن تصف رجلا سفيها أو لا يتعقل تقول: «أنه تيس لا يدري ولا يفهم فتأمل».

١٦ ـ سماحة مفتي المياذين

التقيت ذات يوم برجل صاحب دين ورجاحة عقل وذو شخصية بارزة يتحسس الغيرة على الدين وناصح لي وبعد كلام ألوى بعنقي إلى سماحة مفتي

وناصح لي وبعد كلام ألوى بعنقي إلى سماحة مفتي المياذين الأستاذ الشيخ محمود مشوح أبو طريف وذات ليلة توجهنا إلى منزله فأهل وسهل ورحب بنا وأكرمنا وبعد الاستقرار بدأ الحوار الهادئ وفي ما يلي نلخص بعض ما دار في ذلك اللقاء المبارك.

الصاحب:

قال صاحبي: يا أبا طريف إن هذا السيد متدين ومعروف بدعواه وإرشاده للناس ومن عائلة كريمة وكان والده من أولياء الله... غرر به الشيعة فانحرف عن السنة وشتم الصحابة وحكى على أم المؤمنين عائشة وها هم في قرية حطلة يشتمون أبا بكر وعمر... ثم جاء بكلمات تغري الشيخ بالشيعة بعضها تصريحا وبعضها تلويحا ولكن الشيخ لم يضلل مذهب أهل البيت ولا معتنقيه بل تكلم بما يلي:

سماحة المفتي:

إن كان هذا الرجل يتشيع ويشتم الصحابة بدافع عواطفه وحبه لأهل البيت؟ فهو آثم وضال لأن العواطف قد تخالف الحق وإن كان هذا الرجل يقرأ المذهب فيتشيع ويقرأ التاريخ فيشتم فلا تثريب عليه لأنه قد يجد مالا يتحمل (فهو معذور ...).

الصاحب:

أراد صاحبي أن يورد حديثا عن ابن عباس يذم به الشيعة ويذكر به الشيخ فقال: «روى ابن عباس رضي الله عنه» فسارع سماحة المفتي وقطع حديث صاحبي عن ابن عباس وقال: «رحم الله ابن عباس لا تضطرني أحكي عليه فقد ولّاه علي بن أبي طالب بلد كذا وكذا فأخذ فيء المسلمين وهرب به

إلى المدينة المنورة وتمرّد على علي بن أبي طالب» فسكت صاحبي.

سماحة المفتي:

كل ذلك يجري وأنا ساكت ثم التفت إليّ سماحته قائلاً يا حسين: «أ أنت بعواطفك تسب وتشتم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أم تقرأ في التاريخ! وأيُّ كتاب قرأت؟ وكم كتاب قرأت؟»».

حسين الرجا:

فقلت له: شيخنا الكريم لقد جئتك لا متعنتاً ولا متزمتاً ولا مناظراً ولم أسب ولم أشتم وإنما جئتك مسترشداً فاعتبرني مريضاً وأنت الطبيب وإنني قرأت من كتب العقيدة في السنة والشيعة كذا وكذا ومن المذاهب كذا ومن التاريخ كذا ومن الجدل والحوار كذا فأخذت أعدد من الكتب ... فنظر إليّ نظرة ترافقها ابتسامةٌ خفية لا يدركها إلا ممارس فقال: أقرأتها وتفهمتها؟ قلت: نعم فقال: من يقرأ كتبك هذه يحق له الاجتهاد فلمَ أنت لا تجتهد، لقد كنتُ شافعياً والآن أنا سلفي ولكنني أحترم الشافعي، وأنت وإن انتقلت إلى مذهب جعفر يجب أن تحترم المجتهدين.فقلتُ:شيخنا معاذ الله أن اجتهد لأنني مضطرب النفس حيث شككت في المذاهب وأنا الآن على أعتاب مذهب لم اسبر أغواره ولم أطلع على خفاياه بعد.

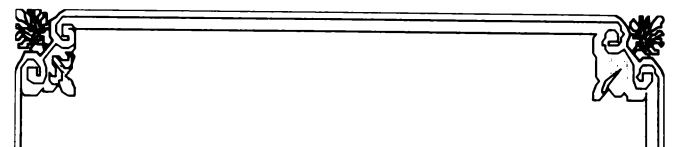
سماحة المفتي:

وفي نهاية المطاف نظر إلينا سماحته فقال: إن الذي بين السنة والشيعة وكل المسلمين (٩٩٪) وفاقاً و(١٪) خلافاً وأن واحد الخلاف (٩٩٪) منه وفاقاً و(١٪) خلافاً وقَسَّمْتُ فيما بعد ما نص عليه فوجدته (٩٩٫٩٩٪) وفاقاً وواحد من عشرة آلاف هو الخلاف، ثم قال لي يا سيد حسين مذهب جعفر معتبر

ومبرئ للذمة إن شاء الله ولكن لا تشتم أحداً.

ومن الإنصاف بمكان أن أقول: إن سماحة المفتي محمود مشـوح عـالمٌ ضليـع واسعُ الاطلاع حاضر الذهن وسلفيٌ جريئ، بعيد عن حدة السلفيين لا يتملـق ولا يقلد أصحاب المذاهب الأربعة وإنما يأخذ مـن قطوفـها اليانعـة ويدعـو إلى فتح باب الاجتهاد الذي أغلقته أحداث ظالمة للإسلام والمسـلمين وكأنـه يحـذو حذوَ السيد سابق في كتابه فقه السنة وهي خطوة أنا أرحِّب بها بغية أن يلتقـي المسلمون عند مجتهد واحد في عصرٍ من الأعصار يعيش بينهم ويحل مشـاكلهم ويوحد صفوفهم ومذاهبهم وكذلك نرجو الله واليه نرغب.

ولقد رأيت سماحته بعد بضعة أشـهر ماشـياً علـى قدميـه يحوطـه رجـال خيِّرون فسلمت عليه وعليهم فأوصاهم بي خيراً ولكنني لا أملك ما أوصي بـه له إلاّ أنني أقول: «اللهم يا رباه أدعوك متضرعاً أن تكثر من أمثال هـذا الشـيخ وان توفقه لكل ما تحب وترضى وأن تحشره مع أعـز الخلـق إليـك محمـد وآلـه الأطهار صلى الله وسلم عليه وعليهم صلاة وسلاماً دائمين متلازمـين إلى يـوم الدين» وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الفصل الأول

الشيعة والصحابة




قول أهل السنة

أطلق الكثير من أخوتنا أهل السنة كلمة الكفر على المسلمين الشيعة فتفوه بها الشارد والوارد ولاكها الجهلة بأنياب حداد وعركتها ألسن البعض حقابا من الزمن، جرى ذلك على لسان مالك بن أنس[1] في إحدى الروايتين (ت١٧٩ هـ) ومحمد بن يوسف الفرياني[2] (ت٢١٢ هـ) وأحمد بن حنبل[3] (ت٢٤١ هـ) في إحدى الروايتين، وأبي زرعة الرازي[4] شيخ مسلم (ت٢٦٤ هـ) والطحاوي[5] (ت٣٢١ هـ) وعبد العزيز الحنبلي[6] (ت٣٦٣ هـ) والقاضي حسين الشافعي[7] (ت٤٦٢ هـ) في احد الوجهين، والخطيب البغدادي[8] (ت٤٦٣ هـ) والسرخسي[9] (ت٤٨٣ هـ) والحميدي[10] (ت٤٨٨ هـ) والقاضي عياض[11] (ت٥٤٤ هـ) والقرطبي[1] (ت٥٦٧ هـ).

---

١ – الصواعق المحرقة ص٢١٠ تفسير ابن كثير ج٤ ص٢٠٤

٢ – الصواعق المحرقة ص٢٥٨

٣ – الصواعق المحرقة ص٢٥٥ ونقله الكبيسي عن الصارم المسلول لابن تيمية ص٥٧١.

٤ – الصواعق المحرقة ص٢١١ وانظر مقدمة محب الدين الخطيب على العواصم من القواصم ص٣٤ والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ص١٨ ج١.

٥ – صحابة رسول الله للكبيسي نقلا عن العقيدة الطحاوية ص٥٢٨

٦ – صحابة رسول الله للكبيسي نقلا عن طبقات الحنابلة ج ص١١٩.

٧ – الصواعق المحرقة ص٢٦٠

٨ – حيث نقل عن أبي زرعة وسكت عليه ونقله ابن حجر العسقلاني في الاصابة في تمييز الصحابة ج١ ص١٨.

٩ – صحابة رسول الله للكبيسي نقلا عن اصول السرخسي ج٢ ص١٣٤

١٠ – صحابة رسول الله للكبيسي نقلا عن اصول السنة للحميدي ج٢ ص٥٤٦.

١١ – الصواعق المحرقة ص٢٥٧.

وتقي الدين السبكي[٢] (ت٧٧١ هـ) وأحمد بن يونس[٣] (ت١٠٢٥ هـ) وأبي بكر بن هاني[٤] وأبي يعلى الحنبلي[٥] وعبد الله بن ادريس الكوفي[٦] وعبد الرحمن بن أبزى الصحابي[٧] ومن المتحاملين المعاصرين الشيخ نوح الحنفي[٨] ومحب الدين

الخطيب[٩] وابن الجبهان[١٠] وموسى جار الله التركستاني[١١] (ت١٣٦٩ هـ) وإحسان إلهي ظهير[١٢] وفي القديم مذهب ابي حنيفة في انكار خلافة الأول والثاني[١٣] ومعظم الحنفية[١٤] وغيرهم.

وأهم الأدلة التي يحتج بها هؤلاء المكفرون اربعة:

---

١ - صحابة رسول الله للكبيسي نقلا عن جامع لاحكام القرآن ج١٦ ص٢٩٧.

٢ - الصواعق المحرقة ص٢٥٣ وما بعدها.

٣ - الصواعق المحرقة ص٢٥٨

٤ - المصدر السابق

٥ - المصدر السابق.

٦ - المصدر السابق.

٧ - المصدر السابق.

٨ - الفصول المهمة لعبد الحسين شرف الدين في الرد على الفتاوى الحامدية والتي نقحت بإمضاء الشيخ نوح الحنفي ص١٤٣.

٩ - مقدمة العواصم من القواصم لمحب الدين الخطيب ص٣٤.

١٠ - قاطع البرهان في الرد على ابن الجبهان لأحمد بن عزيز الفالي ص٣ وما بعدها.

١١ - انظر الشيعة بين الحقائق والأوهام في الرد على وشيعة موسى جار الله للسيد محسن الأمين ص٤٤٨ وغيرها.

١٢ - انظر كتاباته عن الشيعة.

١٣ - الصواعق المحرقة ص٢٥٧.

١٤ - صحابة رسول الله في الكتاب والسنة لعيادة أيوب الكبيسي نقلا عن الأجوبة للآلوسي ص٥٠.

١ - إن سب الصحابة فيه إيذاء للنبي وانتقاص[١] له والاستهانة بهم استهانة به والاستخفاف بهم استخفاف به (صلى الله عليه وآله وسلم).

٢ - الطعن فيهم يؤدي إلى ابطال الشريعة[٢].

٣ - في سبهم إنكار لما قام عليه الإجماع قبل ظهور المخالف[٣].

٤ - لما روى البخاري ومسلم واللفظ للأول عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (الأنصار لا يحبهم إلاّ مؤمن ولا يبغضهم إلاّ منافق...)[٤].

وكذلك استأنسوا بحزمة كبيرة من الآيات الكريمة التي لا علاقة لها بهذا الموضوع ولا تفي بالغرض المطلوب لا من حيث التكفير ولا من حيث عدالة الصحابة لأنها لا تشمل جميعهم إلا ما كان منها شاملاً للخيرين منهم ومن الأمة إلى يوم القيامة واليك بعضها قال تعالى:

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس...﴾[٥] وقال: **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾**[٦] وقال: **﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة...﴾**[٧] وقال: **﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم...﴾**[٨] وقال: **﴿السابقون السابقون أولئك المقربون﴾**[١]

---

١ - الصواعق المحرقة ص٢٥٥ ـ ٢٦١.

٢ - مقدمة العواصم لمحب الدين الخطيب ص٣٤ الإصابة في تمييز الصحابة للعسقلاني ص١٨ ج١.

٣ - الإصابة للعسقلاني ج١ ص١٧ الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي ص٢١١ ومقدمة العواصم للخطيب ص٣٤.

٤ - البخاري ج٢ باب حب الانصار ت د بغا ج٣٥٧٢ ص١٢٩٠ مسلم بشرح النووي ج١ جزء٢ ص٦٣.

٥- سورة آل عمران: آية ١١٠.

٦- سورة البقرة: آية ١٤٣.

٧- سورة الفتح: آية ١٨.

٨- سورة التوبة: آية ١٠٨.

وقال: ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾[٢] وقال: ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا... أولئك هم الصادقون والذين تبوءو الدار والإيمان... فأولئك هم المفلحون﴾[٣].

وكذلك يقدم المكفرون المتشددون عشرات الأحاديث التي تقدس الصحابة وتهدد من يجرح أحدا منهم، والغريب أنهم يقدمونها في كتاباتهم للجماهير محذوفة أسنادها ومسكوتا عن درجات الحكم عليها من صحة وضعف ووضع واختلاق وهي طريقة لا يحسد على مثلها.

وعرفوا الصحابي واختلفوا في حده فآثر المتأخرون مذهب المحدثين على الاصوليين لأنه أكثر شمولا ليدخل تحت اسم الصحبة عشرات الألوف من الذين رأوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولو مرة واحدة في حجة الوداع أو غيرها، لذلك عرفه البخاري في صحيحه تعليقا بصيغة الجزم قائلا: (ومن صحب النبي أو رآه من المسلمين فهو من اصحابه)[٤] ويرد عليه ايرادات لأنه لا مانع ولا جامع[٥] وقال: جمهور المحدثين (هو من لقى النبي يقظة مؤمنا به بعد مبعثه حال حياته ومات على الإيمان)[٦].

وعليه فكل من أسلم ورأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولو طرفة عين فهو صحابي ومن أسلم ثم هاجر ثم كتب لرسول الله (صلى الله

---

١ – سورة الواقعة،آية ١٠.

٢ – سورة الأنفال،آية ٦٤.

٣ – سورة الحشر،آية ٨.

٤ – صحيح البخاري ج٢ باب فضائل الصحابة ت. د. بغا. ما قبل ح٣٤٤٩ ص١٢٤٦.

٥ – تدريب الراوي بشرح تقريب النواوي للسيوطي ج٢ ص٢٠٩.

٦ – انظر المصدر السابق وكتاب صحابة رسول الله الكبيسي نقلا عن محاضرات في علوم الحديث ج١ ص١٣١.

عليه وآله وسلم) وحي القرآن الكريم ثم ارتد عن الإسلام ثم هاجر هجرة الكفر إلى ديار المشركين في مكة المكرمة ثم اسلم مع الطلقاء خوفا من السيف الذي يهشم رأسه لأنه مهدور الدم مثل عبد الله بن أبي سرح فهو صحابي، ومن أسلم ثم ارتد بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع عشرات الالوف من المرتدين بحروب الردة مع غيره مثل قرة بن ميسرة والأشعث بن قيس فهو صحابي كما جزم به شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني، واستشكل ذلك العراقي باعتبار (نص الشافعي وابي حنيفة على أن الردة محبطة للعمل فقال: الظاهر انها محبطة للصحبة السابقة) وسار عليه الأحناف.

ويدخل في الصحبة الصبيان بشرط التمييز كما نص عليه يحيى بن معين وابو زرعة وأبو حاتم وأبو داود وغيرهم ونقل السيوطي عن العراقي صحبة الجن المؤمنين (لأن الجن من جملة المكلفين الذين شملتهم الرسالة)[١] وعلى هذا سار ابن حجر العسقلاني ومن اسماء الصحابة من بين الجن (زورعة سمهج، وعمر، ومالك، شاصر ماصر، منشي لا شي، حس مس)[٢] وبعض اسماءهم في حياة الحيوان للدميري باب الجيم فصل الجن.

فأصبح كم الصحابة على هذا التعريف يتنامى ليبلغ ١٢٤٠٠٠ ألف كما صرح به الشيخ أبو زرعة الرازي[٣].

وكلهم عدول ومقبولو الشهادة كما صرحوا بذلك ودافعوا عنه، وكلهم في الجنة كما نص على ذلك ابن حزم[٤].

---

١ - انظر تدريب الراوي للسيوطي ج٢ ص٢٠٩ ـ٢١٠.

٢ - صحابة رسول الله الكبيسي نقلا عن ارشاد الساري ج٥ ص٣٠٦.

٣ - الباحث الحثيث لابن كثير ص١٨٥ وغيره.

٤ - الإصابة لابن حجر العسقلاني ج١ ص١٩.

وكلهم أنقى من ليلة القدر[1] التي هي خير من الف شهر كما صرح بذلك الآلوسي، وكل من ينال منهم فإنه كافر كما نص عليه المكفرون ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

١ – صحابة رسول الله للكبيسي نقلا عن الأجوبة العراقية للآلوسي ص١٠.

نداء

أيها الأخوة المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها.

كبرت كلمة لا مسؤولة تخرج سوداء مظلمة يجب أن تموت غير مرغوب فيها ولا مأسوف عليها أورقت خلط الاوراق وأثمرت عقاب الأبرياء وكفرت المؤمنين، فتولد عنها نصب الحواجز بين المسلمين، فهي تحمل في طياتها بذور التشتت والتمزق!!

وها هي سنن التاريخ البشري تشهد فكم من أمم بادت وعقائد اندثرت وحضارات ذابت ومواريث خيرة وصالحة للإستمرار اهملت فتلاشت وكم من خلاف واختلاف حل ورحل ودساتير وقوانين غيرت وبدلت، وها نحن المسلمين لم نحافظ على ميراث او ثروة او تراث أكثر مما حافظنا على الخلاف والاختلاف وبالتالي التشتت والتمزق في الوقت الذي أصبحت وحدة المسلمين ضرورة ملحة أكثر من أي وقت مضى، وها هي الأمم تتداعى علينا كعرب ومسلمين كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها كما اخبرنا وحذرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاستمعوا إلى نداء الله فالله ينادينا ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾[1] وفي نداء آخر يبين الآثار السلبية للتفرق والنزاع ﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾[2].

ولو قدر لنا ان نسأل اخوتنا أهل السنة الأفاضل أحياء وامواتا لم اطلقتم كلمة الكفر على اتباع آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والتي يلهج بها ملايين الناس من المسلمين في العالم فالجواب عندهم سهل وموفور لديهم،

---

١ - سورة آل عمران،آية ١٠٣.

٢ - سورة الأنفال،آية ٤٦.

وسرعان ما ينطلقون به (الشيعة ينكرون خلافة الشيخين ويسبون الصحابة وإلى ما هنالك من إدعاءات تفتق الرتق وتبعد التقارب وتعفي وحدة المسلمين ولو اعترفنا بقول أهل السنة: (ان الشيعة على ضلال) وبالمقابل لو تصورنا ردود أفعال من الشيعة تقضي (بأن اهل السنة على ضلال) واعترفنا بهذا وذاك إذا أين الإسلام والإيمان، واين المسلمون والمؤمنون، ومن أي سوق نشتري إسلاما وإيمانا، ومن أي أمة نستورد مؤمنين ومسلمين والسلام عليكم.

قول الله ورسوله

قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾[١] نستفيد من هذه الآية الكريمة أنه يحرم على المؤمنين أن يقولوا لمن ألقى إليهم تحية الإسلام او أظهر الانقياد بكلمة الشهادة التي هي امارة على الإسلام ـ لست مؤمنا فإن شكوا أنه يتقي فليتبينوا فإن ظهر صدقه فهو أخو الإسلام قال تعالى: ﴿إنما المؤمنين إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله﴾[٢] وكذلك نسترشد من هذه الآية الكريمة أن المؤمنين بقلوبهم وألسنتهم أخوة في الدين ويجب عليهم ان يصلحوا بين أي طائفتين منهم عند الشقاق ولا يجوز تكفير أي منهما إلا إذا كان الإمام الشرعي في احديهما فتكفر الثانية حتى الإفاءة وذلك حكم عام في الشقاق سواء كان لمصلحة دنيوية او اعتقاد في الدين لأن كليهما مكمن للتشتت والتمزق.

فالتكفير داء في الدنيا والآخرة والإصلاح دواء قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أيما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه)[٣] فالحكم المستفاد هنا أنه يحرم التكفير بلا موجب ومن استحل ذلك من أخيه المسلم فإن الكفر يعود إليه.

وبعد ذلك يأتي من لا علم له من اخوتنا أهل السنة ـ أوله علم ولكنه يغالط ـ فينتقد بمر الانتقاد ويحلو له القول مشيرا إلى من يوحد الله ويسجد له هذا شيعي والشيعة كفرة حتى وان كانت عين المغالط تبصره يصلي ويصوم

---

١ – سورة النساء:آية ٩٤.

٢ – سورة الحجرات:آية ١٠.

٣ – صحيح مسلم بشرح النووي ج١ جزء٢ ص٩٤.

وان كان يعلم ان هذا المسلم يؤمن بالله واليوم الآخر.

هذا كله يجري بحجة ان الشيعة يسبون الصحابة وينكرون خلافة الشيخين والغريب في الأمر أن المغالط يصدر احكاما جزافا يخرج بها على إجماع الجمهور من أهل السنة حيث اجمعوا على ان خلافة الشيخين بل مطلب الخلافة مطلقا ليس من أركان الإيمان الستة: (١) الإيمان بالله، (٢) وملائكته، (٣) وكتبه، (٤) ورسله، (٥) واليوم الآخر، (٦) والقدر خيره وشره. ولا من اركان الإسلام الخمسة: (١) الشهادتان، (٢) والصلاة، (٣) والزكاة، (٤) وصوم رمضان، (٥) وحج البيت من استطاع اليه سبيلا.

وهذا الحكم غيره في علي ابن ابي طالب إذ ذاك حبه وخلافته من الإيمان كما صرح بذلك مسلم حيث وضعه في ابواب الإيمان عنه قال: (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة أنه لعهد النبي الأمي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلي ان لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق)[1].

وعلى افتراض ان أحدا من المسلمين تورط في سب بعض الصحابة فليس هو من الكفر والفسق في شيء وإلا فإن توهمنا ذلك فقد حكمنا على الكثير من الصحابة الكرام بالكفر لا سمح الله لأنهم تعرضوا للسب فيما بينهم ومنهم وعليهم واليك عزيزي القارئ في مايلي قائمة من النصوص نستلهمها من بخاري المحدثين ومسلم المسلمين وابن جرير المؤرخين وغيرهم ثم نعتمدها دليلا ونناقشها حوارا ونقسمها طائفتين الأولى نجسد بها الحق ونقتنص الحقيقة من على مسرح الأحداث في عصر النبوة وعصر الخلفاء تحت عنوان المسلم لا يكفر بلا موجب والثانية إيراد دليل القوم واتخاذه دليلا بعنوان السنة والصحابة وسنفردها في بحث مستقل فإليك أول القسمين وأولى الطائفتين.

---

١ - صحيح مسلم بشرح النووي ج١ جزء٢ ص٦٤.



المسلم

لا يكفّر بلا موجب

الحديث الأول

سعد بن عبادة

إن أول من استعمل وعمل بالشتم والسباب وأفتى بقتل نفس بلا نفس وبلا موجب بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو عمر بن الخطاب في سقيفة بني ساعدة روى ذلك ابن قتيبة واليعقوبي وابن كثير وابن جرير واللفظ له قال:

(فأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر وكادوا يطؤون سعد بن عبادة فقال ناس من أصحاب سعد: اتقوا سعدا لا تطؤوه فقال: عمر اقتلوه قتله الله ثم قام على رأسه فقال: لقد هممت أن اطأك حتى تندر عفوك فأخذ سعد بلحية عمر فقال: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة)[51] وفي البخاري قال عمر: (قتله الله)[52].

تأمل أخي المسلم فهذا عمر ينال من سعد بن عبادة، يشتمه وينتقص ويفتي بقتله، وهاهم المسلمون عبر الأجيال المتتالية والقرون المتعاقبة وعلى رأسهم حملة الشريعة ولواء الاستنباط والفتوى لم يتفوه أحد منهم بأن هذا الشتم ـ الذي يرافقه الافتاء بالقتل ـ هو كفر أو يؤول إلى الكفر، رغم أنه لا يحل دم امرئ مسلم إلا بشرطه ومن شرطه النفس بالنفس والكفر بعد الإيمان والزنا بعد الإحصان، ولكن المكفرون يأبون إلا أن يحكموا بالكفر لي

---

٥١ – الامامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص١٧ اليعقوبي ج٢ ص١٢٤ الكامل لابن الاثير ج٢ ص٣٢٨ تاريخ الامم والملوك لابن جرير الطبري ج٣ ص٢٥٨

٥٢ – صحيح البخاري ج٢ ت. د. بغا. باب لو كنت متخذا خليلا ح ٣٤٦٧ ص١٢٥٣.

أي مسلم تورط في سب أدنى صحابي.!

والذي نـراه في تشـريعات السـماء وقوانـين المفكريـن وحكّـام التعقـل ومقلدي الأعراف الكريمة في كل مجتمع كريم: أن السـباب أخـف جرمـاً وأقـل جريرة من الشتم زائد حلال الدم الحرام، فمـا الفـرق بـين الحـادثتين فـهل الله يحابي من ذنبه أكبر من مناط الحكم ويفرق بين الْحُكْمين وان اتحد الموجب كما يصنع اللامعصوم من البشر؟ حاشا لله.

وفي منطق الشرع والعقل يجب أن يكون الحكم عادلاً، له مصداقيـة مـن الواقع وأن يلتزم المسلم بما يُلْزِمُ به غيره ليكون على الأقـل منطقيـاً مـع نفسـه وإلا فهذا الحكم من باب أُلزِمُك بما لا التَزِمُ به، ولو قيل أن عمر بـن الخطـاب أفتى بالقتل غاضباً قاصداً نقول: يتم ذلك لو لم يرد في التاريخ انه نفّذ ما أفتـى به انظر الحديث الثاني.

الحديث الثاني

سعد بن عبادة

روى البلاذري (أن سعد بن عبادة لما لم يبايع أبا بكر وخرج إلى الشام فبعث عمر رجلا وقال: ادعه إلى البيعة واختل له وان أبى فاستعن بالله عليه، فقدم الرجل الشام فوجد سعدا في حائط بحوارين فدعاه إلى البيعة فقال: لا أبايع قريشا أبدا قال: فإني أقاتلك قال: وإن قاتلتني قال: أ فخارج أنت مما دخلت فيه الامة قال: أما من البيعة فإني خارج فرماه بسهم فقتله)[1].

وقيل في تشخيص القاتل: (انه خالد بن الوليد ورجل آخر من قريش)[2] قيل هو المغيرة بن شعبة وقيل محمد بن مسلمة.

وعلى أية حال فإن سعد بن عبادة هاجر من المدينة المنورة في أول خلافة عمر كارها لجواره إلى حوران من أرض الشام ونزل قرى غسان لأنهم من عشيرته وقتل غيلة، ولم يعلم الناس بموته حتى أخضر جلده، ولم يعلم من القاتل إلى أن شكلت محكمة بين عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد بعد خلاف دام سنين فقال عمر:

(يا خالد أنت قتلت مالك بن نويرة ـ وكان حليفا له في الجاهلية ـ فقال خالد: ان كنت قتلت مالكا لهنات كانت بيني وبينه لقد قتلت لكم سعد بن عبادة لهنات كانت بينكم وبينه فاعجب عمر... وقال له: أنت سيف الله

---

١ - الحقائق في تاريخ الإسلام والفتن والأحداث د. ج. م . ت ص ١٣٢ نقلا عن انساب الاشراف والبلاذري ج١ ص٥٨٩.

٢ - الاستغاثة لأبي القاسم الكوفي ص١١.

وسيف رسوله)[1].

هذه الحادثة تذكرنا بحادثة اغتيال شريف: كان أبو عفك من بني عمرو بن عوف.. وكان يهوديا وكان يحرض على رسول الله ويقول: الشعر فقال سالم بن عمير الكباء البدري: علي نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه فجاءه على غرة في ليلة صائفة وهو نائم فقتله وأراح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من شره ونصر الإسلام[2].

بون شاسع بين اغتيال عفك اليهودي وبين اغتيال سعد بن عبادة عقبي البيعة اتفاقا وبدري الجهاد على قول أكثرهم، ومن أعجب ما حكم به اخوتنا أهل السنة: أن قاتل سعد ـ إن اعترفنا بان قاتله من الانس بل من الصحابة بالذات ـ لا تثريب عليه وكأنه لا مائز بين اغتيال سعد العقبة وبدر الجهاد وبين اغتيال عفك عدو الله ورسوله وذلك تمرد على اجماع معتنقي الاديان السماوية حيث اجمع أهل الملل الخمسة على خمسة: (١) حفظ الدين، (٢) حفظ النفس، (٣) حفظ العقل، (٤) حفظ النسب، (٥) حفظ المال. وحسبنا قول الله تعالى: ﴿**ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما**﴾[3].

ولكن لو أن أحدا من المسلمين تورط فسب من يغتال سعد الصحابي الجليل فإن المتشددين من أخوتنا أهل السنة يحكمون عليه بالكفر وعلى الأقل بالفسق، ولو أن صحابيا قتل سعدا وألف سعد فإنه لا يكفر ولا يفسق لأنه مدعوم بكلمة تأول فأخطأ وله أجر، وإن شئت قل يحتمي من عذاب الله عندنا

---

١ – المصدر السابق.

٢ – انظر طبقات ابن سعد ج٢ ص٢٨.

٣ – سورة النساء/آية ٩٣.

تحت رايات دعاوى الاجتهاد وانا لله وانا إليه راجعون.

والغريب في الأمر قولهم: أن سعداً قتله الجن كما روى سعد بن سعيد بن سعد قال: (توفى سعد بن عبادة... فما علم بموته بالمدينة حتى سمع غلمان في بئر منبه أو بئر سكن.. قائلاً يقول من البئر:

قد قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة

ورميناه بسهمين فلم نخطي فؤاده

فحفظوا ذلك اليوم فوجدوه اليوم الذي مات فيه سعد فإنما جلس يبول في نفق فاقتتل فمات من ساعته ووجدوه قد إخضرَّ جلده).

وروى أيضا عن محمد بن سيرين (أن سعد بن عبادة بال واقفا فلما رجع قال لأصحابه لاني لأجد دبيبا فمات فسمعوا الجن تقول: (قد قتلنا سيد الخزرج...)[1].

أقول: دلالة الحديث إن الجن القتلة كانوا شعراء وان المغيرة بن شعبة وخالد بن الوليد كانوا أبرياء وأن الجن سارعوا شكورين إلى الاعتراف بالجريمة ابراءا للذمة ورحمة بالصحابة وابعادا لهم عن الفتنة حتى لا يتهم به المغيرة بن شعبة ولا خالد بن الوليد ولا محمد بن مسلمة ولا غيرهم فتأمل.

ومن الغريب جدا أنهم كيف عرفوا أن سعدا بال واقفا فعوقب بالقتل، والحال أنه مات ولم يعلم به أحد حتى اخضر جلده والأكثر غرابة: أن الفقهاء ينقلون في أبواب الدخول إلى الخلاء فصل المكروهات قولهم: يكره أن يبال في الحجر ـ الثقب المستدير النازل ـ ثم يعللون ذلك بأنه مأوى الجن وشاهد التعليل: أن سعدا بال واقفا في ثقب فقتله الجن وهكذا تنتهي حياة سعد بن عبادة[2].

---

١ - الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٦١٧.

٢ - انظر مغني المحتاج بشرح المنهاج للشربيني ج١ ص٤١.

الحديث الثالث

جماعة من الصحابة

روى البخاري ومسلم وغيرهما واللفظ للأول: ان انسا قال (قيل للنبي (صلى الله عليه وسلم) لو أتيت عبد الله بن أبي.فانطلق إليه النبي (صلى الله عليه وسلم) وركب حمارا فانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة فلما أتاه النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: إليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك.فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه فغضب لكل منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال فبلغنا أنها نزلت **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما﴾**[1].

تأمل أخي المسلم في هذا الحديث ثم تعال معي نتحاور حوله بما يلي:

١ - يجب أن نعلم - ونعمل بحجية العلم -: أن الطائفة التي قاتلت دون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هي طائفة الايمان وأن التي قاتلت دون عبد الله بن أبي بن سلول بالجريد والايدي والنعال ضد رسول الله والمؤمنين هي طائفة النفاق.

٢ - أن العلم يقسم إلى تصور وتصديق والتصديق يقسم إلى نظري وضروري والضروري هو البديهي الذي لا يحتاج معه إلى أعمال نظر وإنما يتعلق بوقوع النسبة أو لا وقوعها مباشرة غير ان الذهن الغافل يخفى عليه

---

[1] - البخاري ج٢ ت. د. بغا كتاب الصلح ح ٢٥٤٥ ص ٨٩٧ مسلم بشرح النووي كتاب الجهاد باب ما لقى النبي من أذى المشركين والمنافقين ج ٦ جزء ٢ ص ١٥٩.

أوضح الواضحات لذلك أجدني مضطرا لتوضيح: إن الطائفتين اللتين نعتهما الله بالإيمان إحداهما منافقة بالأدلة التالية:

أ. لا يجوز أن تكون كلتا الطائفتين منافقة بقلبها ولسانها وإلا لما وصفها الله بالإيمان.

ب. لا يجوز أن تكون كلا الطائفتين مؤمنتين حال التلبس بالقتال لأن احديهما بمجرد أن قاتلت ـ انتصارا لعبد الله بن أبي سيد المنافقين ضد الله ورسوله والمؤمنين ـ فإنها تكفر مباشرة قال تعالى: ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا**﴾[1] .

ج. تبين مما سبق أن الصحابة الذين جاؤوا مع رسول الله (صلى الله وسلم) إلى سيد المنافقين ليدعوه إلى الإسلام ثم انقسموا عليه فقاتلوا انتصارا لسيد المنافقين هم منافقون وانما سماهم الله مؤمنين لأنهم آمنوا بألسنتهم، ولما يدخل الإيمان في قلوبهم.

وثمة موارد للنظر نأخذها من مفهوم السياق وقرائن الأحوال ونكتفي منها بما يلي:

١ـ إن المنافقين غير منفكين عن اسم الصحبة، ومفهوم الصاحب لا يأباهم، ومن العسير جدا تمييزهم لأنهم يتشهدون ويصلون وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقبل من الناس ظواهرهم حتى تأتيه البينة إما عن طريق افتضاحهم في احرج الظروف حيث يفقدون السيطرة على أعصابهم فيصفون بصفوف المنافقين كما في الحديث المبحوث وإما عن طريق الوحـ

---

[1] سورة النساء آية ١١٥.

ولقد اشار القرآن الحكيم إلى كثرتهم وأنهم في خفاء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فضلا عن المؤمنين حيث كانوا يتشددون في ستر عوارهم كما يتشدد المصلون في ستر عوراتهم قال تعالى: **﴿وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾**[1] والذي يمنحهم الخفاء علينا أكثر أن الله تعالى سماهم مؤمنين كما في آية الحديث محل البحث تأليفا لقلوبهم وحفاظا لئلا ينفضوا من حول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ريثما يشتد عود الإسلام أو يتمكن من قلوب الناس.

٢- لم تتوقف هذه الفتنة بين الصحابة على الشتم والسباب بل جعلت من ذلك جسرا يسمح بالعبور إلى الضرب بالجريد والايدي والنعال.

فإذا فهمت ذلك كله فالعتب الجميل على المتشددين من اخوتنا أهل السنة بخصوصهم ومالك بن أنس مؤسس المذهب المالكي بأخصه لأن الله يسمي طائفة عبد الله بن أبي بن سلول مؤمنة لأنهم فقط يقولون لا اله إلا الله كما قال تعالى: **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾**[2] ومالك في إحدى الروايتين يكفر كل مؤمن تورط في سب أدنى صحابي، وأدهى من ذلك وأمر أنهم يلتمسون العذر لكل صحابي حتى وإن غدر وفجر وإن قتل المهاجرين والأنصار ويحتجون لكل ظالم منهم بآية: **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾** وكأنه لم تكن إحدى الطائفتين آنذاك هم المنافقون الذين عتم التاريخ عليهم ولم يعرف منهم إلا أقل القليل، ولو سمعوا أن مسلما انتقد ذلك الظالم يكفرونه ويقولون إنه شيعي أو مبتدع أو ضال.

---

١ - سورة التوبة:آية ١٠١.

٢ - سورة الحجرات:آية ٩.

ومن عظيم زلة القدم أن يُعذَر من يقتل الصحابي ويكفر من يسبه، وها هو مسرف بن عقبة المرّي يغزو مدينة رسول الله بأمر من يزيد بن معاوية وينضم إليه مروان بن الحكم فاستباح الجيش الشرف الحرام ثلاثة أيام في الشهر الحرام وبحرم رسول الله وقتلوا نحواً من عشرة آلاف نفس مؤمنة (٧٠٠) منهم مهاجرون وأنصار و(٨٠) منهم أهل بدر ولم يبقَ بدري بعدها[١] ويسمون هذه الكارثة وقعت الحرة، أقول: أين مالك بن أنس وأين المتشددون، بالله عليكم أَشَتْمُ رجل من أدنى الصحابة أعظم أم وقعة الحرة؟ أ فأنتم كفَّرتم أولئك المجرمين أم ظللتم لهم من حرّ الكفر بآية: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ ؟ وبالتالي لعله لا يجوز لنا أن نعتب على الإمام مالك بن انس لأنه مجتهد قد يصيب وقد يخطئ وفي كلا الحالين له أجر وإلا فمن أخطاء مالك في الاجتهاد انه افتى بطهارة الكلب وما فتئ يترضّى ويترحَّم على من قتل أصحاب رسول الله وتعجل في تكفير من سبهم.

ومن عثرات اجتهاد مالك أنه افتى بمن شتم معاوية أو عمرو بن العاص حيث قال: فإن قال: كانوا على ضلال يقتل، ومن سب آل محمد (صلى الله عليه وسلم) يضرب وجيعاً ويسجن طويلاً حتى يظهر توبته لأنه استخفاف بحق رسول الله[٢] فتأمل ما الفرق اصحيح من استخف برسول الله يسجن ومن استخف بعمرو بن العاص يقتل؟! كلا إلا إذا كان مناط الحكم بلحاظ ان عمرو بن العاص ومعاوية هما الأعظم وهذا ما لا يقول به مسلم، وإذا كان الأمر هكذا فهذا معاوية استخفّ برسول الله وشتم آل محمد طويلاً فهل أفتيت بمعاوية أن يضرب وجيعاً ويسجن طويلاً أم صححت خلافته يا مالك ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

١ - انظر الامامة والسياسة ج١ ص ١٨٥ وما قبلها وحياة الحيوان الدميري ج١ باب الهمزة ص٧٦.

٢ - الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي ص٢٥٨ ـ ٢٥٩.

الحديث الرابع

أبو بكر

روى أحمد في المسند انه (أغلظ رجل لأبي بكر... فقال ابو برزة ألا أضرب عنقَهُ؟. قال فانتهره وقال ما هي لأحد بعد رسول الله) [1].

وجه الدلالة في الحديث أنه من سب النبي (صلى الله وعليه وآله وسلم) أو انتقده أو انتقصه ولو هازلاً أو تكلم بما يؤول إلى ذلك فإنه يكفر وذلك بإجماع المسلمين وأنه من سب صحابياً فلا يكفر ولا يفسق وانما يحرم سب الكثير منهم في الكثير من الموارد هذا كله في غير قربى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولكن المتشددين من اخوتنا أهل السنة أعذروا من أغلظ لابي بكر وكفروا من صنع مثل صنيعه، ومما يلفت النظر حقا ازدواجية الشيخ أبي زرعة الرازي حيث قال: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق... وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة) [2] ثم اتخذ اخوتنا أبناء العامة فتوى أبي زرعة وكأنها آية نزل بها جبريل على قلبه، فيا لها من بلية عمت وأعمت.

ويجدر بنا أن نقول: أخطر الزلل زلات العلماء على رغم أننا نهيب بالشيخ أبي زرعة عن مثل هذه الفتوى اللامسؤولة وليته ألف لنا كتابا صحيحا كما فعل تلميذه مسلم في صحيحه ولم يلته بمثل هذه الإرجافة على

---

١ - مسند أحمد حديث أبي بكر ج١ ح ٥٥ ص١٨.

٢ - الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج١ ص١٨ نقلا عن الخطيب البغدادي في الكفاية.

اننا نستطيع أن نثبت بمناهج البحث العلمي أو قـل بالحقـائق العلميـة خطـر وخطأ فتواه من عدة وجوه.

١- قوله: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله فـاعلم انه زنديق) غلط فادح لأن الزنديق من الثنوية أو القائل بالظلمة والنور أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية أو يبطن الكفر ويظهر الإيمان[1] فالزندقـة لا تنطبـق على المسلم الساب والشاتم لا كـلا ولا بعضـا ولا الانتقـاص مـن مصاديقـها وحتى لو كان السباب من مصاديقها لم تكن لأنـه أظـهرها. وعليـه يكـون أبـو زرعة حكم على المسلمين دون أن يشق قلوبهم بما لم يحكم به الله ورسوله.

٢- قوله: (يريدون أن يجرحوا شهودنا). باعتقادي انها عثرة لا تقال ولقد فات أبا زرعة أن الصحابة شـهود لكـل المسـلمين وليـس لطائفـة دون أخـرى وليس الأمر عضالا اللهم إلا إذا جرحنا (١٢٤) ألف صحابي ونعـوذ بـالله مـن ذلك، ولهذا عمر بن الخطاب وغيره جرحوا الكثير مـن الصحابـة ومنـهم أبـو هريرة ولا تثريب على الجارحين ولا اشكال رغم أنهم جرحوا أعظم شاهد مـن شهود الشيخ ابي زرعة، والذي يحز في القلب انه لم يرفض حديث المجروح مثـل أبي هريرة ولم يخطئ الجارح مثل عمر بن الخطاب ومـا ذلـك إلا ازدواج وكسـر لا جبر بعده.

٣- قوله: (ليبطلوا الكتاب والسنة) فالذي نـراه ونؤمـن بـه أن الخـوف على الكتاب والسنة واجب على كل مسلم، وباعتبـار أن خـوف الشـيخ ابـي زرعة أكثر من غيره فمن حقنا أن نسأل من أين دخل الخوف على قلبه وما هـي

---

١ - القاموس المحيط ج٣ ص٢٤٣.

أسبابه؟ ألم يقرأ القرآن فيطمئن لقول الله ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[1] فبموجب هذه الآية اعتقد عامة المسلمين أنه لو لم يبق على وجه الأرض مسلم يرقب القرآن عن التغيير والتبديل واراد أحد أن يزيد فيه حرفا أو ينقص منه حرفا لأنطق الله الحجر والشجر والمدر ليشهد على المحرفين ويكذبهم.

وعلى هذا فطلب الاطمئنان على كتاب الله تحصيل حاصل. وإن كان الخوف استولى على قلب الشيخ ابي زرعة غيرة على السنة فهو واجب على كل مسلم ولكن ليس بتكفير المسلمين وإنما بأخذها عن العدل الضابط عن مثله عن المعصوم ورحمة الله على عمر بن الخطاب فإنه هو الذي تولى جناية المنع من كتابة الحديث ولولاه لما اختلف اثنان في سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو الذي أصدر المرسوم المبتكر ورسول الله في مرض الموت حيث قال: (هلم اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال عمر: أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت فاختصموا... ومنهم من يقول ما قال عمر فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي... قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): قوموا)[2] ومعنى غلبه الوجع أي أن النبي يهذو.

وعلى كل حال استمر عمر بن الخطاب يمنع من كتابة الحديث والتحدث بما لم يسمعه هو في عصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واستمر الحال خلفا عن سلف نحوا من (٩٠) سنة هجرية فاختلط حابل السُّنة الشريفة بنابلها من كثرة الكذابين، هذا هو السبب في اضطراب السنة واختلاطها وتعارضها

---

١ - سورة الحجر:آية ٩.

٢ - البخارى ت. د. بغا. ج٤ باب قول المريض قدموا عني ح٥٣٤٥ ص٢١٢٠٧.

لا لأن مسلما انتقد صحابيا أليس كذلك يا شيخنا؟!

وعلى أية حال قد تهاوت كواكب السنة بأحد العمرين واعزها الله بأحد العمرين حيث بعث الله عمر بن عبد العزيز حيث كتب إلى عامله أبي بكر محمد بن عمر بن حزم (انظر ما كان من حديث رسول الله... فاكتبه فإني قد خفت دروس العلم وذهاب أهله) وكذلك كتب إلى عماله في الأمصار وأهل الآفاق .

٤- جرح الشهود الذي يخيف أبا زرعة لا علاقة له لازمة بالانتقاص لأن الجرح حالة متلبس بها المجروح وهي غير الجارح وغير الساب فكم من مجروح مسكوت عنه ومرضي عليه وكم من ولي من أولياء الله يسب على المنابر عشرات السنين كما وقع لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب فالسباب بما هو هو لا يجرح نعم قد يلتقي بالمجروح في كثير من الموارد ويفترق في كثير منها ولأن الصحابة كل منهم تعرض للسب منه وعليه ولم يكن جرحا بما هو سب وإنما العامل هو الحالة المتلبس بها المجروح كما قلنا فعلى ضوئها يجرح ويترك حديثه.

٥- الشيعة يقولون بعدالة الالوف من الصحابة وهو عدد كاف وكفيل بايصال الكتاب والسنة إلى الاجيال وباعتبار أن الشيخ ابا زرعة كلف نفسه مهمة احصاء الصحابة ـ واعطى الرقم الاخير (١٢٤) ألف صحابي لا زيادة ولا نقصان وتباكى على عدالة جميعهم حفاظا على الكتاب والسنة، وكفر من سب صحابيا واحدا ـ نقول له ولمن قلد فتواه (إن جميع من صنف في الصحابة لم يبلغ مجموع ما في تصانيفهم عشرة آلاف مع كونهم يذكرون من توفى في

---

١ – طبقات ابن سعد ج٢ ص ٣٨٧ ترجمة عمرة بنت عبد الرحمن.

٢ – انظر علوم الحديث د. صبحي الصالح ص ٤٥.

حياته (صلى الله عليه وآله وسلم) وعاصره أو ادركه صغيرا)[1] وعلى هذا فلو أن مسلما نال من ١١٤ ألف منهم لا يكون جرحا لأن هذه الأعداد الهائلة لم يصلنا منها ولا حرفا واحدا من الدين على أنه نفس العشرة آلاف الكثير منهم لم يرو لنا إلا الحديث أو الحديثين والكثير لم يرو ولا حديثا واحدا والكثير عد في الصحابة وليس منهم والكثير اختلف في صحبته، وانا لله وانا إليه راجعون.

---

١ - تدريب الراوي بشرح تقريب النوادي للسيوطي ج١ جزء ٢ ص٢٢١.

الحديث الخامس

رجلان من الصحابة

روى أحمد في المسند والبخاري في صحيحه واللفظ له عن سليمان بن صُرَد قال:

(استب رجلان عند النبي (صلى الله عليه وسلم) فغضب أحدهما فاشتد غضبه حتى انتفخ وجهه وتغير فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد فانطلق إليه الرجل فأخبره يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) وقال: تعوذ بالله من الشيطان فقال: أترى بي بأساً أ مجنون أنا؟ اذهب)[1].

أقول لا ريب أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يبلّغ أصحابه الكرام أن السب كفر ولم يقل للمتسابين انما كفرتما، أولاً: لأن السباب كفر، وثانياً: لأنكما من أصحابي فسبابكما يؤذيني، وثالثاً: لأنكما آذيتموني بإختلافكما أمامي وفي مجلسي، ورابعاً: لانكما لم تحكما الله ورسوله فيما اختلفتما فيه وعليه، وخامساً: لانكما حكّمتما السباب الذي هو من مقدمات حكم السيف والشقاق، كل ذلك لم يجرِ.

وبناءً عليه أعود فأقول: لا تثريب على المتشددين من اخوتنا أهل السنة في موارد الاشتباه فلعل هذا الحديث الصحيح وأمثاله غير ظاهر الدلالة عندهم لان الناس معادن يتفاوتون في الفهم، هذا إن لم نقل أنهم جهلوه أو تجاهلوه، ولكن لنا

---

١ - مسند احمد ج٦ ح ٢١٥٨٢ ص ٣١٨ صحيح البخاري ت: د: بغا. باب ما ينهى من السباب ج٤ ص٢١١٧ ح ٥٧٠١.

عتاب عريض مع الإمام أحمد بن حنبل كعتاب التلميذ مع استاذه باعتبار أنه امام مذهب يمثل أمة وهو نفسه روى حديث المتسابين، وباعتبار آخر انه اخباري ظاهري سلفي، وباعتبار ثالث أنه محدث أقرب منه إلى كونه فقيه يلزم ظاهر النص، وعلى رغم ذلك كله يترك ما رواه من النصوص ويفتي بأضعف موارد القياس الخفي (الاستحسان) في أخطر قضايا الاعتقاد ـ وهكذا عثرات الكثير من المجتهدين ولكل أجر على الخطأ والصواب ـ حيث قال: (شتم عثمان زندقة) ووجهه انه بظاهره ليس بكفر وبباطنه كفر لأنه يؤول إلى الطعن بالمهاجرين والانصار فهم الذين اختاروه خليفة والطعن بالمهاجرين والأنصار كفر)[1].

ويَرِدُ عليه موارد من وجوه:

١- إن العقلاء الصادقين إذا اختاروا اميراً عليهم ثم نأى عن المعروف من أفعالهم بما يستحق الشتم منهم فإنه لا تثريب عليهم قطعاً قال تعالى: **﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما اخذهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي أهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾**[2].

فهذا موسى (عليه السلام) يختار سبعين رجلاً للميقات وعلى الطريق قالوا **﴿لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾**[3] فسماهم سفهاء بعد اختياره لهم فإذا شتمهم الله ورسوله والمؤمنون وأحمد ابن حنبل ونحن معهم فلا يكون شتماً لموسى (عليه السلام) لا باعتباره محل اختيارهم ولا باعتبارٍ آخر.

٢- يلاحظ وجه الشبه بين الحادثتين فالمهاجرون والأنصار هم الذين

---

١ - انظر الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي ص٢٦٠.

٢ - الأعراف آية ١٥٥.

٣ - سورة البقرة آية ٥٥.

اختاروا عثمان خليفة يوم الشورى وأن عبد الرحمن بن عوف سأل حتى النساء في الحجال ـ على رأي اخوتنا أهل السنة ـ وهم الذين سفهوا الخليفة كما موسى (عليه السلام) هو الذي اختار سبعين من قومه وهو الذي سفههم عندما تلبسوا بحال التسفيه.

٣- إن المهاجرين والأنصار هم الذين طعنوا بعثمان وتبرؤوا منه وخلوا بينه وبين الثائرين عليه بعد ادانة وحوار ونصح ونقد وارشاد دام ثلاث سنين تقريبا.

ومن بحث عن فتنة عثمان في مظانها يرى العجائب فقد ذكر ابن الاثير ما نصه: (فكاتب نفر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وغيرهم بعضهم إلى بعض: إن اقدموا فإن الجهاد عندنا وعظم الناس على عثمان ونالوا منه وليس أحد من الصحابة ينهى ولا يذب عنه إلا نفر)[1] وقالت عائشة: (والله لاطلبن بدمه ـ يعني عثمان ـ فقال لها ابن أم كلاب ولم فوالله إن أول من أمال حرفه لأنت ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلا فقد كفر... فقال لها ابن أم كلاب:

منك البداء ومنك الغير ومنك الرياح ومنك المطر

وأنت أمرت بقتل الإمام وقلت لنا إنه قد كفر[2]

٤- لا ريب أن أكثر المهاجرين والأنصار شتموا الخليفة وحرضوا على قتله وكاتبوا من تفرق منهم في الأمصار يطلبون منهم العودة لجهاد الخليفة وهذا كله لم يحل بينهم وبين رضى الله عنهم، ولو سألنا أحمد بن حنبل عن

---

١ - الكامل في التاريخ لابن الاثير ج٣ ص١٥٠.

٢ - تاريخ الامم والملوك لابن جرير الطبري ج٢ جزء ٢ ص١٧٢.

الذين ثاروا على عثمان من الصحابة ومنهم عمار بن ياسر لأجاب رضـي الله عنهم وأرضاهم، وضمن اطار البحـث المطـروح نسـأله ثانيـا: مـا الـذي حمـى الصحابة الثائرين من الزندقة حتى وإن شتموا الخليفة، ثم بقطـع النظـر عـن العلة فالمادة التشريعية في الإسلام الـتي حـالت بـين الصحابـة الثـائرين وبـين الزندقة ـ وإن آل ذلك إلى الطعن بالمهاجرين والأنصار ـ فهل اصبحت عـاجزة أن تغيث مسلما من الاجيال اللاحقة تورط ونال من الخليفة؟.

اللهم إلا إذا حلال الدين وحرامه غير مستمرين.. وعدل الدين لا ينـاط ببعض المسلمين!. وحاشا لله.

تنبيه:

الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما واللفظ للأول عن زبيـد قال سألت أبا وائل عن المرجئة فقـال حدثـني عبـد الله ـ أي ابـن مسـعود ـ ان النبي قال: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)[1] هذا الحديث ليـس علـى اطلاقـه وإنما ينصرف إلى غير الفاسق والصائل والظالم والبـاغي وفي مـا يلـي تفصيـل ذلك.

أما الفاسق فلا غيبة له بدليل ما أخرج البخاري ومسلم واللفظ لـلأول (عن عائشة قالت: استأذن رجـل علـى رسـول الله (صلى الله عليه وسلم) فقـال: ائذنوا له بئس أخو العشيرة أو ابن العشيرة فلما دخل ألان له الكلام فقلـت: يارسول الله قلت الذي قلت ثم ألنت له الكلام قال: أي عائشة إن شر النـاس

---

١ - البخاري ج١ باب خوف المؤمن أن يحبط علمه ت. د. بغا. ح٤٨ ص٢٧ مسلم بشـرح النـووي ج١ جـزء ٢ ص ٥٤.

من تركه الناس أو ودعه الناس اتقاء فحشه)[١] واحتج البخاري بهذا الحديث على جواز غيبة الفاسق حيث بوب له بقوله: (باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب) واحتج النووي في رياض الصالحين بحجة البخاري وذكر قبل ذلك في السبب الخامس جواز غيبة الفاسق بشرط المجاهرة)[٢].

ولقد لعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أحد الفاسقين قبل فسقه بل وهو في المهد مثل مروان بن الحكم عندما أدخل عليه فقال: (هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون)[٣] وكذلك ترد شهادة الفاسق ويجب التبين من أمره قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا**﴾[٤].

ويجوز لعنه باعتبار أن تعريف الفسق في اللغة الخروج وفي الشرع الخروج عن الطاعة[٥] ومفهوم الفسق كلي ينطبق على جزئيات كل فاسق من بني البشر لذلك لعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال: هم سواء[٦] ولعن سارق البيضة[٧] ـ أي الخودة التي توضع على الرأس في القتال ـ ولعن سارق الحبل[٨] والواشمات والمستوشمات

---

١ – البخاري ج٤ باب ما يجوز من اغتياب اهل الفساد والريب ت. د. بغا. ح٥٧٠٧ ص ٢١١٩ مسلم بشرح النووي ج٨ جزء ٢ ص ١٤٤.

٢ – نزهة المتقين شرح رياض الصالحين د: الخن والبغا وآخرين ج٢ ح ١٥٣٢ ص ١٠٤٧-١٠٤٨

٣ – المستدرك على الصحيحين للحاكم ج ٤ كتاب الفتن والملاحم ص ٤٠٧٩ وقال (هذا الحديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه).

٤ – سورة الحجرات آية ٦.

٥ – انظر شرح النووي على مسلم ج١ جزء ٢ ص ٥٤.

٦ – مسلم شرح النووي ج ٦ باب الربا ص ٢٦.

٧ – انظر البخاري ج٤ ت. د. بغا. ح٦٤٠١ ص ٢٣٣٣.

٨ – انظر مسلم شرح النووي ج ٦ جزء ١ ص ١٨٥

والواصلات والمستوصلات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات[١] والراشي والمرتشي[٢] والمتشبهات بالرجال والمتشبهين بالنساء[٣] ومن قطع السدر[٤] والنائحة والمستمعة[٥] والخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه[٦] والمحلل والمحلل له[٧].

وأما الصائل المعتدي فهو فاسق وظالم يجوز عليه كل ما يجوز عليهما ويجب دفعه فإن لم يفد فقتله دفاعا عن النفس والمال والعرض ولا قصاص عليه ولا دية ولا كفارة[٨] لقول الله تعالى: ﴿**ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل**﴾[٩] وإن قتل المظلوم فهو شهيد كما أخرج الشيخان ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (من قتل دون ماله فهو شهيد)[١٠].

وأما الباغي فهو كذلك فاسق وظالم إذ بينهما نسبة التساوي فكل فاسق ظالم والعكس مثله وإنما فرقنا استجلاء للموضوع إذ لكل منهما اطلاقات خاصة فقد تطلق كلمة ظالم ويراد بها الكافر وتطلق ويراد بها غيره والفاسق

---

١ – انظر البخاري ج٣ ت. د. بغا. ح٤٦٠٤ ص١٧٤٦ مسلم بشرح النووي ج ٧ جزء ٢ ص ١٠٥.

٢ – انظر سنن ابن داود ج ٣ باب في كراهة الرشوة ح ٣٥٨٠ ص ٣٢٤.

٣ – انظر سنن أبي دواد ج ٢ باب لباس النساء ص ٤٥٨

٤ – انظر سنن ابن داود ج٢ باب قطع السدر ٧٨٢

٥ – انظر سنن أبي داود ج٢ باب في النوح ص٢١١

٦ – انظر سنن ابي داود ج٢ باب في العنب يعصر للخمر ص٣٥١

٧ – انظر سنن أبي داود ج١ باب في التحليل ص٦٣٣

٨ – انظر كفاية الأخيار للحسيني الدمشقي الشافعي ج٢ ص١٢٠

٩ – الشورى آية ٤١

١٠ – البخاري ج٢ باب من قاتل دون ماله ت. د. بغا. ح٢٣٤٨ ص٨٢٠ مسلم بشرح النووي ج١ جزء ٢ ص ١٦٤

كذلك والصائل المعتدي ما هو إلا مصداق من مصاديقهما.

وعليه يجوز على الباغي كل ما يجوز على الظالم و الفاسق إذ هو عينهما والبغي في اللغة هنا هو التعدي، وعدا عدوا وعدوا واعتدى وتعدى كله بمعنى والعداء تجاوز الحد في الظلم والعدوان الصراح[١].

وفي البخاري عن أبي سعيد وهو في صدد الكلام عن بناء مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فرآه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فينفض التراب عنه ويقول: ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار)[٢].

وقال الدكتور مصطفى البغا عند شرح الفاظ هذا الحديث: (الفئة الباغية: الجماعة التي خرجت عن طاعة الإمام العادل).

ويجب قتل الباغي وقتاله إن لم يتب قال تعالى: ﴿**فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيئ إلى أمر الله**﴾[٣] فلذلك أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بقتال ثلاث فرق من البغاة تنفيذا لأمر الله كما خرج الطبراني في الأوسط عن ربيعة بن ناجذ قال (سمعت عليا يقول: «أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين»)[٤].

ونقله الهيثمي في المجمع وقال: (رواه البزار والطبراني في الأوسط وأحد اسنادي البزار رجاله رجال الصحيح غير الربيع بن سعيد

---

١ – مختار الصحاح للرازي.

٢ – البخاري ج١ ت. د. بغا. ح٤٣٦ ص١٦٧.

٣ – سورة الحجرات:آية ٩

٤ – المعجم الأوسط للطبراني ج٩ ت. د. محمود الطحان ج ٨٤٢٨ ص ١٩٨ حديث موسى بن أبي حصين الواسطي.

ووثقه ابن حبان)[1] والناكثون هم البغاة الخارجون على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في حرب الجمل، والقاسطون هم الخارجون عليه في حرب صفين، والمارقون هم البغاة الخارجون عليه في موقعة النهروان.

وبعد هذا كله أعتقد انه أصبح واضحا لدى المستقرئين للحقائق والقادرين على احتواء المواقف من هو المسلم الذي يكون سبابه فسق وقتاله كفر.

١ - مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٤١.

الحديث السادس

أبو بكر

روى الإمام احمد (أن رجلا شتم أبا بكر والنبي جالس فجعل يعجب ويبتسم...)[١].

أقول: ان هذا الحديث لم يصرح بالشتم الموجه لأبي بكر لا نوعا ولا كما ولا كيفا غير إننا لا نشك بأن الشتم بحضرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع سكوته انتقاص للمشتوم وأن ذلك لم يؤذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بل أعجب إعجابا ترافقه ابتسامة نبوية شريفة.

وعلى اية حال فهذا رسول الله لم يقل للرجل أنت كفرت أو فسقت لأنك شتمت صاحبي أبا بكر وشتمه يؤذيني ومن يؤذيني يكفر أو يفسق لم يستعمل (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه المقدمات أصلا توصلا إلى نتيجة هي تكفير الرجل لأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يؤمن بالرأي والقياس الفاسدين كما صنع الكثير من المسلمين ولأنه لا علة جامعة بين الساب والمسبوب وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإلا فلو صح ذلك لحكمنا على كل المسلمين بالكفر لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يتأذى من كل الاعتداءات الظالمة والمعاصي من أمته وهذا كله بخلاف من سب آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنه يكفر لأنهم منه حقيقة وكما نطق بذلك الوفر الهائل من النصوص الذي ليس هنا محله وإنما نكتفي بضرب مثال واحد للفارق بين آل محمد (صلى الله عليه

---

١ - مسند احمد ج٣ ص١٦٧ ح٩٣٤١ من حديث ابي هريرة.

وآله وسلم) وبين غيرهم فاقرأ وتأمل.

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مثل الشمس وآله من المعصومين مثل نورها وحرارتها من حيث الضوء والدفء.

والصحابة مثل الأرض ولا شك ان الأرض هي غير الشمس وغير نورها وحرارتها ولا تستقيم حياة الأحياء بل ولا الأرض تعطي الحياة مع غياب الشمس وتجلياتها لفقدان شرط من شروط تجلي الحياة.

ولا يقال ان ظروف الحياة على الأرض العائدة للشمس هي شمس ولذا قد تشتم أرض دون أرض من حيث أصباخها وإنباتها وطبيعتها ولا تشتم الشمس من حيث نورها وحرارتها إلا اعتداء وهكذا الصحابة وآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فافهم.

ولكن أصحاب الرأي والقياس قالوا ـ وبلا حساب ومنهم العالم الجليل الطحاوي ـ بتكفير المؤمنين بحجة انتقاص بعض الصحابة ومن الغريب جدا أن السرخسي والطحاوي وغيرهم ـ من اتباع أبي حنيفة وإن كان الطحاوي لا يقلده في كثير من المسائل ـ يكفرون المؤمنين ويا ليت شعري بأي عذر يعتذرون لو قلنا لهم ان ابا حنيفة طعن في بعض الصحابة كما روى محمد بن الحسن عنه قال: (أقلد جميع الصحابة... إلا ثلاثة نفر «أنس بن مالك وأبو هريرة وسمرة»... أما أبو هريرة فكان يروي كل ما سمع من غير أن يتأمل في المعنى ومن غير ان يعرف الناسخ والمنسوخ)[1] وكأن أبا حنيفة يشير إلى الحديث الذي رواه مسلم في ما بعد عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة نفسه

---

١ – أبو هريرة لمحمود أبو رية ص١٤٦ نقلا عن مرآة الأصول شرح مرقاة الوصول للملا خسرو الحنفي ص ١١٥.

قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (كفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما سمع)[١] وهكذا حالنا مع الطحاوي والسرخسي وغيرهما وهكذا حال أبي حنيفة مع أبي هريرة ـ على مبدأ من فمك أدينك ـ حال المضطر للأخذ بالقياس والرأي واسقاط بعض مرويات أبي هريرة المجروح على لسان كبار الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب. وروى الخطيب في تاريخه عن أبي صالح الفراء قال سمعت يوسف بن أسباط يقول (رد أبو حنيفة على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أربعمائة حديث أو أكثر)[٢].

عزيزي القارئ إذا قرأت وتأملت ذلك كله حق لك أن تسأل: بأي دستور سماوي وبأي عرف عقلائي فهمه الطحاوي والسرخسي ان أبا حنيفةَ لا يؤاخذ وإن طعن صحابيا يتوقف عليه جزء كبير من الأحاديث التي عليها مدار الدين عند إخوتنا أهل السنة. أما لو أن مسلما من أتباع آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) جرح أبا هريرة يؤاخذ بل يكفر. بربك ما الفرق اخبرني، كلا الفعلين صدرا من غير صحابي وكلا الفعلين تنازعا مفعولا واحدا فكيف يكون ـ من هذه الحيثية ـ أحدهما في النار والآخر في الجنة مع اتحاد السبب والموجب فبأي مسوغ يستسيغ به الطحاوي والسرخسي وأكثر الاحناف أن أبا حنيفة ينتقد أبا هريرة فيعذر ولو أن مسلما صنع مثل صنيعه فهو ضال ومبتدع وله النار يوم القيامة والصحيح أن رحمة الله التي وسعت أبا حنيفة حتى وإن طعن ببعض الصحابة ووسعت كل شيء أعتقد ان الطحاوي والسرخسي لا يخصصان عمومها.

---

١ – صحيح مسلم بشرح النووي ج١ جزء ١ ص٧٣.

٢ – الكنى والالقاب للشيخ عباس القمي ج١ ص٥٤ نقلا عن تاريخ الخطيب ج١٣.

الحديث السابع

سعد بن عبادة وسعد بن معاذ

أخرج البخاري ومسلم واللفظ للأول عن عائشة قالت: (.... فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أُبَي بن سلول فقالت: فقال: رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو على المنبر «يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلاّ خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت منه إلاّ خيراً وما كان يدخل على أهلي إلاّ معي».

فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله أنا أعذرك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن خضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين فتثاور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قائم على المنبر فلم يزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يخفضهم حتى سكتوا وسكت)[1].

تأمل أخي المسلم في مضمون هذا الحديث وما يحمل من عويصات الأمور تجد أن الأنصار بأوسهم وخزرجهم في مسجد رسول الله (صلى الله عليه

---

١ - صحيح البخاري ج٣ تفسير سورة النور ت. د. بغا. ح٤٤٧٣ ص١٦٦٩ صحيح مسلم بشرج النووي ج٩ جزء ١ ص١١٠.

وآله وسلم) وفي اللحظات التي فيهن كان (صلى الله عليه وآله وسلم) واقفاً على منبره يخطبهم وإذا بهم يتسابّون ويتشاتمون ويهمون للقتال، فكادت ان تكون ارض المسجد الطاهر ميداناً له! وهذا سعد ابن عبادة وأسيد بن خضير وسعد بن معاذ يتبادلون كلمات الوصم بالنفاق! ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا.

ثم أعد النظر في الحديث ثانية تجد أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يقل للأنصار انتم كفرتم من علة وجوه مسوغة له أهمهما ما يلي:

١- الله شرع الجهاد في سبيله وأنتم هممتم به في سبيل الشيطان وحمية الجاهلية.

٢- لا فرق في الاعتداء عندكم حتى ولو كان في اقدس أرض كمثل أرض المساجد وخاصة في مسجدي هذا وبحضرتي.

٣- الحمية الجاهلية والعصبية الموروثة إلى الآن لم تفارق قلوبكم.

٤- تنتصرون للمنافقين بأسيافكم.

٥- شهدتهم على أنفسكم بالنفاق المستكن في قلوبكم في أحلك الظروف وأشد ساعات الامتحان.

٦- اختلفتم في شيء لم تردوه إلى الله وإلى الرسول وهو بين أظهركم.

لم يقل لأسيد بن خضير أنت كفرت لأنك وصمت صاحبي سعد بالزندقة وتكفير من أطْلِق عليه اسم الصحبة يزعزع الأيمان ويُخْرِجُ من ربقة الإسلام.

هذا كله لم يقله نبي الرحمة الموصوف بانه لا ينطق عن الهوى ولا يسكت على ضلال وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) أقضى من يقضي بالحق لأن قضاءه

قضاء الله والله لا يقضي إلاّ بالحق. ولكن القاضي حسين الشافعي والقاضي عياض المالكي وعبد العزيز الحنبلي والشيخ نوح الحنفي والمتشددين من مكفِّري المؤمنين لا يستسيغون هذا الاستدلال بل لا يخطر لهم ببال إذ هم عنه غافلون وإنما السائغ عند القاضي الأول نكاح الرجل بنت زناه وعند القاضي الثاني القطع بطهارة الكلب وجواز أكله والثالث فقيه يجوز عنده التجسيم والرابع مفتي يجيز شرب النبيذ، وأجمع القاضيان والفقيهان على تكفير أو تفسيق اتباع آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بحجة سب الصحابة ويا لها من رزية في الدين.

الحديث الثامن

حاطب بن أبي بلتعة

أخرج البخاري ومسلم واللفظ للأول عن علي قال: (بعثني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنا والزبير والمقداد بن الأسود قال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة ومعها كتاب فخذوه منها ..» فانطلقنا فإذا نحن بالظعينة فقلنا اخرجي الكتاب فقالت ما معي من كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين... يخبرهم ببعض أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «يا حاطب ما هذا» قال يا رسول الله: لا تعجل علي إني كنت امرءا ملصقا في قريش... فأحببت إذ فاتني.. النسب فيهم أن اتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلت كفرا ولا ارتدادا ولا رضا بالكفر بعد الإسلام فقال: رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لقد صدقكم» قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق قال: «إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله ان يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»)[1].

هذا الحديث يحمل قضية اعتقادية خطيرة يتجاذب اطراف الكلام فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعمر بن الخطاب وحاطب بن أبي بلتعة. وحاصل المشكلة ان حاطبا كان صحابيا شهد مع رسول الله (صلى الله عليه وآله

---

١ - البخاري ج٢ ت. د. بغا. باب الجاسوس ج٢٨٤٥ ص١٠١٠

وسلم) بدرا وفي عام ثمانية للهجرة أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يغزو مكة فورى عن ذلك وعتم. ولكن حاطبا بعث كتابا لأهل مكة يفشي فيه سر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليتخذ يدا عند كفار قريش فافتضحه الوحي فاعتذر لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن منشئ الكتاب اتخاذ اليد وليس عن سوء سريرة ونفاق فصدقه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقبل عذره ولكن عمر كذبه ورفض عذره وافتى بقتله ونفاقه.

أقول: عزيزي القارئ أعد النظر في نص الحديث محل البحث يظهر لك من المنطوق سلب ما يلي:

١ -لم يقل (صلى الله عليه وآله وسلم) لحاطب: انت تكتم الكفر المستكن في قلبك وتظهر الإيمان، والدليل على نفاقك أنك خنت الله ورسوله ففضحك الوحي بل قبل عذره لأنه مسلم أو مؤمن أو لأنه من أهل بدر.

٢ -لم يقل (صلى الله عليه وآله وسلم) لعمر: انت انزلقت في مهاوي الكفر من ثلاث نواح موضحة في ما يلي:

أ. حكمت بالنفاق على صحابي سابق في الإسلام وبدري في الجهاد.

ب. إذا جاز عليه النفاق في هذا الموطن فإنه يجوز عليك في مواطن مماثلة من بعض الوجوه.

ج. لأني صدقته وأنا الصادق المصدق فلا أنطق عن الهوى لا في التصديق ولا في التكذيب وأنت كذبته فيكون تكذيبك له صراحة هو تكذيب لي حقيقة.

تأمل كيف صفح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن عمر وهو يفتي

بقتل حاطب وكيف صفح (صلى الله عليه وآله وسلم) عن حاطب وهو يفشي سر الله ورسوله ويتخذ الكافرين اولياء من دون المؤمنين فلم يكفّر (صلى الله عليه وآله وسلم) أحداً منهما ولم يفسقهما ولكن المتشددين من اخوتنا أهل السنة أمثال الخطيب وابن الجبهان وموسى جار الله وإلهي ظهير فإنهم يعذرون حاطباً وامثاله ويفسّقون من يجرحهم وهكذا أحكام مزدوجة منسوبة إلى الإسلام وإلا فإليك المثال التالي:

لو ان رجلاً كفّر زيداً وافتى بقتله، وآخر شتمه فقام زيد ورفع شكواه للمحكمة وجيئ بالرجلين ماثلين بين يدي القاضي، وكلاهما ادلى بحجة واهية ردها القاضي.

والآن أخي المسلم كلنا ننتظر صدور الحكم فإن صدر على أساس ان هذا أبوه أمير أو غني وذاك فقير أو حقير فالقاضي ظالم، وإن صدر الحكم على أساس أن هذا مسلم أو ذو قربى وذاك ذمي أولا يعرفه فالقاضي ظالم وفاسق حسب تفاوت اطلاقات المفهومَيْن، وإن تساوى الرجلان في الاعتبارات وصدر الحكم أن من أفتى بكفر زيد وقتله قد برأته يد العدالة وأما من سبه او شتمه فقط فإنه يكفر ويستتاب ويسجن مع أعمال شاقة خمس سنوات تأديباً له وان أعاد الكرَّة يُقْتَلُ فالقاضي هنا ظالم وفاسق وفاقد الإنسانية، وهذا مما لا يختلف فيه اثنان.

والقول الفصل إن الإسلام منزَّه عن مثل هذه الأحكام ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يقول إلا حقاً والله أحكم الحاكمين.

ولا أدْهى من ذلك وأمَرّ إلاّ قاصمة الظهر التي في ذيل الحديث محل البحث وهو قولهم: (لعل الله اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد

غفرت لكم) لَعَمْرُ الله أنها قاصمة الظهر حقيقة. وعليه أن البدري ان شاء لا يصلي ولا يصوم ولا تثريب عليه وإن شاء سرق وقتل ولا تثريب عليه وإن شاء كفر وهو بهذا كالمؤمن وفي الجنة وهذا مما لم يقل به أحد من المسلمين اجماعاً ونعوذ بالله من سوء الخاتمة.

الحديث التاسع

علي بن أبي طالب (عليه السلام)

أخرج مسلم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال (أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك ان تسب أبا التراب فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلن أسبه لأَنْ تكون لي واحدة منها أحب إليّ من حمر النّعَم...).

وأخرج عن سهل بن سعد قال: (استعمل على المدينة رجل من آل مروان قال: فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم علياً فأبى سهل فقال له أمّا إذا أبيت فقل لعن الله أبا تراب فقال سهل: ما كان لعلي اسم أحب اليه من أبي التراب وأنه كان ليفرح إذا دعي بها...)[1].

أفاد الحديث الأول ان معاوية كان يأمر الناس بسب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ويجبر أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المتورّعين على سبه صراحة وتقدير الكلام (أمر معاوية سعداً أن يسب أبا التراب فامتنع فقال: ما منعك ان تسبه) بدليل ان فعل الأمر (أمَرَ) متعدي يتطلب مفعولاً غير ان الرواة استفظعوا المفعول فحذفوه تخفيفاً عن معاوية.

ثم انظر الحديث الثاني تجده أدل دليلاً على ما قلناه وأن الولاة كانوا يسبون آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على منبر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في مسجد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينة المنورة تنفيذاً لمرسوم الشتم والسباب المشرَّع من قبل معاوية.

١- صحيح مسلم بشرح النووي ج٨ جزء١ ص١٧٥ -١٨٣.

ويلاحظ في الحديث الثاني أن الرواة كذلك تستروا على اسم الأمير المرواني ولكن التاريخ يعرفه.

ألا ترى عجبا أن معاوية يصدر مرسوما مشرعا من عندياته يفرض فيه لعن آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم يعممه على منابر المسلمين أين ما كانت وكانوا باعتبار أن الاعتداء على آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بضاعة مطلوبة في حينها فما فتئ يجبر أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على سب معشر من لم يصل عليهم لا صلاة له فكيف مصير من ينصب لهم العداء.

والأكثر عجبا أن اخوتنا أهل السنة برغم ذلك كله يتجاوزون عن معاوية ويعدون لعنه لآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اجتهادا منه وله أجر وكأنهم جعلوا الاعتداء على آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) زكاة ورحمة لمعاوية تكتب في صحائفه حسنات عند الله، وحبه الكثير منهم في أعماقهم وكافؤوه بقولهم: سيدنا معاوية خليفة المسلمين وخال المؤمنين وكاتب الوحي ورضي الله عنه وأرضاه والله اضحك وأبكى.

أخي المسلم بربك اخبرني بأي كتاب سماوي أو سنة صحيحة وجدت أنه من يسب معاوية يكفر أو يفسق ومعاوية يسب آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على المنابر ويأمر بسبهم ولا يكفر ولا يفسق، ولكن لا تثريب عليك وكل العذر لديك لأن التاريخ عتم على الحقيقة وأوصد أبوابها وفيما يلي بعض ما يتعلق بموضوع معاوية بن أبي سفيان.

١- إن معاوية لم يكن من كتبة الوحي ولا كتب من القرآن الحكيم ولا حرفا واحدا على معنى أنه كاتب وحي بدليل أن القرآن الحكيم كان ينزل على قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منجما حسب الحوادث تتعاقب

آياته وسوره طوال إحدى وعشرين سنة قمرية، حيث لم يبق منه إلا اليسير، وفي كل هذه المدة ومعاوية كافر يشن الحرب على الله ورسوله والمؤمنين.

٢- اسلم معاوية عام ثمانية للهجرة عندما فتح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مكة المكرمة ولم يبق امام قريش إلا القتل أو الإسلام فطفق الناس يدخلون في دين الله أفواجا بعد أن من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على قريش بقوله: (اذهبوا فأنتم الطلقاء) ولا عبرة بقول الواقدي أنه اسلم بعد الحديبية ولا عبرة بقول معاوية كما عند أحمد في المسند: (قصرت عن رسول الله عند المروة) بدليل ما رواه مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص انه قال في العمرة في اشهر الحج: (فعلناها وهذا يعني معاوية يومئذ كافر)[1].

٣- نعم لما أسلم معاوية وأبوه يوم الفتح طلب أبو سفيان أشياء من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نسمعها من مسلم في صحيحه عن ابن عباس قال: (كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه فقال للنبي: يا نبي الله ثلاث اعطينهن قال: نعم... قال: ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك قال: نعم..)[2] ولذلك جعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) معاوية يكتب له رسائل فقط ولم يأمنه على وحي بدليل رواية المدائني قال: (كان زيد بن ثابت يكتب الوحي وكان معاوية يكتب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما بينه وبين العرب)[3] وفي مسلم أنه يتأخر عن أوامر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ففي يوم بعث اليه ابن عباس مرتين وفي كل منهما يقول: هو يأكل فقال: (صلى الله عليه

١- مسلم بشرح النووي ج٤ جزء٢ ص٢٠٤.

٢- مسلم بشرح النووي ج٨ جزء ٢ فضائل ابي سفيان ص٦٣.

٣ - الاجابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ترجمة معاوية ج٣ ص٤١٢

وآله وسلم): (لا أشبع الله بطنه)[١].

٤- كيف نؤمن وكيف نوفق بين أن معاوية أمين على الوحي وبين ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (اعطاه مئة ناقة وأربعين اوقية ذهب وزنها له بلال)[٢] ليؤلف قلبه للإسلام لإنه كان من المؤلفة قلوبهم)[٣] في حين ان المهاجرين والأنصار سهامهم الشاة والشاتان.

٥-قد أمرنا ان نصلي على آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ضمن كل صلاة ذات ركوع وسجود وغيرها وفي كل حال من الأحوال، ولكن معاوية يفرض على الصحابة والتابعين وكل مسلم آنذاك أن يلعنوا آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) دبر كل صلاة وفي القنوت وعلى المنابر وآخر الخطب في الجمعة وفي السوق والشارع وفي الأعياد والأفراح وكل المناسبات. والأدهى من ذلك أن اخوتنا أهل السنة يترضون عليه، ومن يذكره ولم يترض عنه يوصم بالتشيع تارة وبالزندقة تارة اخرى.

فيالله وللمسلمين فمن اين لكم إن الله راض عن معاوية أليس الله بمحرم شهادة الزور؟

---

١ - مسلم بشرح النووي ج٨ باب من لعنه النبي او سبه جزء ٢ ص٤١٢.

٢ - نور اليقين للخضرسي ص٢٥٩ طبقات بن سعد ج٧ ص٤١٦ الكامل في التاريخ لأبن الأثير ج٢ ص٢٧٠.

٣ - تاريخ الخلفاء وللسيوطي ص١٨١.

الحديث العاشر

معاوية وعمرو بن العاص

أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (... لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)[١].

وجه دلالة الحديث أن ضرب الأعناق بالباطل إما ان يكون كفرا كما هو ظاهر اللفظ وإما أن يؤول إلى الكفر، وقد ذكر النووي في شرحه على مسلم سبعة أقوال سنذكرها في محلها إن شاء الله.

أقول: أيا كان المعنى فإن ضرب الأعناق بالباطل يساوي جزاء الكافر من حيث الخلود في جهنم إن جزاه الله حق الجزاء فكيف بمن قتل وقتل قال تعالى: **﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيماً﴾**[٢].

ومن الإجماع المحفوظ بين المسلمين خلفا عن سلف أن الخليفة خلافة شرعية بشرطها وشروطها يجب عليه قتال البغاة الخارجين عليه وضرب أعناقهم حتى يفيؤوا إلى أمر الله ويكون ذلك جهادا في سبيل الله لقوله تعالى: **﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيئ إلى أمر الله﴾**[٣].

وأما قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) فمنصرف إلى الفئات الباغية حيث لا يجوز لهم

١- البخاري ج١ باب الخطبة ايام منى ت. د. بغا. ج١٦٥٢ ص٥٧١ مسلم بشرح النووي ج١ جزء ٢ ص٥٥.

٢- سورة النساء: آية ٩٢.

٣- سورة الحجرات: آية٩.

الخروج على الامام ولا ضرب اعناق اصحابه فكل واحد من الفعلين كفر أو يؤول إلى الكفر حسب وجهات النظر كما سيأتي ذلك مبحوثا في ما بعد إن شاء الله ومنها قتلة عمار بن ياسر وقد تواتر ذلك عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نختار منه ما رواه البخاري أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار)[1].

أخي المسلم بعد أن فهمت هذا كله فحري بك أن تعجب من اخوتنا اهل السنة فإنهم اعتذروا لمعاوية بما لم يعتذر هو به لنفسه فقالوا: إن معاوية اجتهد فأخطأ وله أجر الاجتهاد وهو معذور ومغفور له وله الجنة ورضي الله عنه وارضاه، واليك عزيزي القارئ في ما يلي قليلا من الإيضاح:

١- لا نريد هنا ان نتعرض للاجتهاد والأسس التي يقوم عليها وظروفه وشروطه وشخصية المجتهد ومتى يبلغ رتبة الاجتهاد غير أنني أقول: إن حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (ويح عمار تقتله الفئة الباغية) محفوظ لدى عامة الصحابة ومنهم معاوية ومشهور لدى المسلمين كشهرة المعلقات السبع ـ على جدار الكعبة ـ عند العرب فلو كان عند معاوية اجتهاد في الدين أو متى يجوز في الدين الخروج على علي أمير المؤمنين او على الأقل لو كان عنده ضمير قريب من الرقابة لأرعوى بمجرد أن وجد عمار والمهاجرون والأنصار في جيش أمير المؤمنين.

٢- لما دق في أذن معاوية ناقوس عمرو بن العاص فأخبره أن عمار قتل وقص عليه الحديث قال له معاوية: (أسكت أنحن قتلناه؟ ـ استفهام استنكاري ـ إنما قتله من جاؤوا به فألقوه بين رماحنا ـ فصار من عسكر معاوية، ـ إنما قتل

١- البخاري ج١ باب التعاون في بناء المسجد ت. د. بغا. ج ٤٣٦ ص١٦٧.

عمار من جاء به)[1].

فبالله عليك أخي المسلم اخبرني أين محل اجتهاد معاوية من قتل عمار عندما يزعم أن قاتليه من جاؤوا به فتمتعت فتوى معاوية برواج باهر بين عسكرة من شاميين ومصريين وشاع بينهم أن قاتل عمار هو علي بن أبي طالب حتى وإن كان القاتل حقيقة ابو الغادية لا كثر الله أمثاله. فبالله عليك ثانية هل هذا اجتهاد أم أعلى درجات الكذب وأخبثه يغرر به عقول السذج من المسلمين وأهل الشام بخصوصهم؟.

وهل هذا اجتهاد في الدين أم أخبث درجات الدهاء والمكر والاحتيال ليحول بين الشعب المسلم وبين الحق ليقتل المهاجرين والأنصار بسيوف أوباش الناس. فيا له من اجتهاد قتل به فقط من أهل بيعة الرضوان تحت الشجرة ثلاثمائة وستون نفسا في موقعة صفين على ما حدثنا به الصحابي عبد الرحمن بن أبزى مولى بني خزاعة)[2].

وإذا ما تجاوزنا اجتهاد معاوية فناهيك بلجتهاد عمرو بن العاص روى ابن جرير الطبري قال:

(كان عمرو بن العاص على مصر عاملا لعثمان فعزله... فلما قدم عمرو بن العاص المدينة جعل يطعن على عثمان... وهو محقد عليه يأتي عليا مرة فيؤلبه على عثمان ويأتي الزبير مرة فيؤلبه على عثمان ويأتي طلحة مرة فيؤلبه على عثمان ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان.. خرج ـ أي عمرو ـ من المدينة حتى انتهى إلى ارض له بفلسطين... فبينما هو جالس... مر

---

١ - تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب سيدنا معاوية بن ابي سفيان لابن حجر اليهثمي في ذيل الصواعق ص٣٣.

٢ - أنظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج٢ ص٣٨١.

بهم راكب... قال: ما فعل الرجل يعني عثمان قال: تركته محصورا شديد الحصار قال عمرو: أنا ابو عبد الله قد يضرط العير والمكواة في النار... مر به راكب آخر... ما فعل الرجل يعني عثمان قال: قتل قال: أنا أبو عبد الله إذا حككت قرحة نكأتها إن كنت لأحرض عليه حتى أني لأحرض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل... وكانت عند عمرو أخت عثمان لأمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ففارقها حين عزله)[١].

والآن جاء دور الاجتهاد فانظر أخي المسلم ـ هداك الله ـ إلى اجتهاد الصحابي عمرو بن العاص في الدين والدماء ثم أعد النظر في النص ثانية يخلص لك ما يلي:

١- عمرو امير على مصر من قبل عثمان وراض عنه.

٢- عثمان يعزل عمرو فيغضب ويطلق زوجته لأنها أخت الخليفة عثمان.

٣- يأتي عمرو المدينة المنورة فيؤلب عليا والزبير وطلحة على قتل عثمان.

٤- يؤلب الناس على قتل عثمان بكل وسيلة حتى الرعاة في شعاف الجبال.

٥- وعندما يشتد الحصار على عثمان يخرج قاصدا فلسطين.

٦- عندما يأتيه خبر الحصار ثم خبر كارثة القتل يقول: (أنا أبو عبد الله قد يضرط العير والمكواة في النار ـ أنا أبو عبد الله إذا حككت قرحة نكأتها).

والآن أنا وأنت أخي المسلم عرفنا اجتهاد عمرو في هذا الحدث الذي إلى

---

١ - تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري ج٥ حتى ١٠٨ ـ ١٠٩.

الآن ونحن نتجرع مرارته ولكن تعال معي إلى اجتهاد آخر في حدث آخر لعمرو بن العاص نفسه فأقرأ ما يلي:

روى ابن جرير وذكر ابن الأثير (إن عمرا لما بلغه قتل عثمان قال: أنا أبو عبد الله أنا قتلته وأنا بوادي السباع إن يلي هذا الأمر طلحة فهو فتى العرب نسيبا وإن يله ابن أبي طالب فهو أكره من يليه إلي... وكان معاوية أحب إليه من علي فدعى ابنيه عبد الله ومحمد فاستشارهما وقال... أما علي فلا خير عنده وهو يدل بسابقته وهو غير مشركي في أمره فقال له ابنه عبد الله... فأرى أن تكف يدك... حتى يجتمع الناس «على إمام فتبايعه» وقال: له ابنه محمد: أنت ناب من أنياب العرب... وليس لك فيه صوت [أي الأمر] فقال عمرو: أما أنت يا عبد الله فأمرتني بما هو خير لي في آخرتي وأسلم لي في ديني وأما أنت يا محمد فأمرتني بما هو خير لي في دنياي وشر لي في آخرتي ثم خرج... حتى دخل على معاوية... فقال له: ... أما والله.. أن في النفس... ما فيها حيث تقاتل من يعلم سابقته وفضله وقرابته ولكنا إنما اردنا هذه الدنيا)[1] وفي رواية ابن قتيبة (قال معاوية... هلم فبايعني، فقال عمرو: لا والله لا أعطيك ديني حتى آخذ من دنياك. قال معاوية صدقت... فكتب معاوية لعمرو: مصر طعمة)[2].

وهكذا يجتهد في الدين ابن العاص فيحارب عليا أمير المؤمنين وله أجر الاجتهاد على رأي اخوتنا أهل السنة ولا أريد منك أخي المسلم أكثر من أن تعد النظر في النص لتجد اجتهاد عمرو ملخصا في البيانات التالية:

أ- كان عمرو يؤلب الناس على قتل عثمان ولما ورده مقتله اعترف أنه

---

١ - تاريخ الأمم والملوك لإبن جرير الطبري ج٥ ص٢٣٤ الكامل لابن الأثير ج٣ ص٢٧٥.

٢ - الإمامة والسياسة لإبن قتيبة ج١ ص٨٨.

هو القاتل من وراء الكواليس.

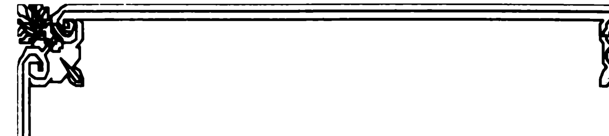
ب ـــ لما سمع عمرو بـأمرة أمـير المؤمنـين يئـس أنـه لا يشـركه بـأمره أي لا يجعله مشيرا ولا واليا على أحدى البلاد.

ج ـــ استشار ابنيه فأشـــار عبـد الله بـالدين والجنـة وأشـار عليـه محمـد بالدنيا والنار فلختار الدنيا والنار.

د ـــ ذهب عمرو إلى معاوية يتاجر في دينه لشراء مثمن ثمنه دينـه إذ كـان فيه من الزاهدين.

هـــ وبالتالي أخذ معاوية دين عمرو كله ولم يعطه من دنياه إلا مصر.

تدبر عزيزي القارئ فوالله لو كان لابن هند وابن النابغـة حـرف واحـد من الدين أو حرف واحد اسمه اجتهاد أو ضمير يشهد لهما في الخروج على امير المؤمنين لتابعتك وأخذت برأيك، ولو أنهما أحتجـا بحـرف واحـد مـن الديـن لتابعتك، والذي يعصر القلب أنه لو تورط مسلم فأنتقدهما وفقا للدين يجـب قتله عند المالكي (راجع آخر الحديث الثالث) والذي يعصـره أكـثر أن سـبعين ألف دم أريق بسببهما والنتيجة معذوران عنـد أخوتنـا أهـل السـنة ومجتـهدان ومأجوران ولهم الجنة ورضي الله عنهما وأرضاهم وهكذا يحمون آلاف المجرمـــين تحت رايات دعاوى الاجتهاد، وانا لله وانا إليه راجعون.





أهل السنة والصحابة

أخي المسلم قبل الخوض في البحث ذرني أدع الغلاة المنتسبين إلى الشيعة جانبا باعتبار أنهم كانوا يؤلهون آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كمثل الخطابية أصحاب أبي الخطاب محمد بن مقلاص الأجدع الذي يتحمل الشيعة أو زاره إلى اليوم لسعة مفهوم كلمة «شيعة» وهم منه براء، وذرني واعذرني أن أدع الغلاة المنتسبين إلى أهل السنة جانبا كمثل الكثير من الصوفية الذين يؤلهون أنفسهم بعد إيمانهم بالحلول أو الاتحاد أو وحدة الوجود وهم أشر من فرعون موسى لأنه أدعى الربوبية بما يقابل رب موسى وهارون وأولئك ادعوا الألوهية على معنى نفي الغيرية أو حلول جزء الهي لا يتجزأ من الإنسان المحل فيه وتعال معي إلى الفرقتين العظيمتين من المسلمين الشيعة والسنة علنا نستجلي قضايا غامضة على اخوتنا أهل السنة ما فتئ الضباب يلفها مما تولد عنها التحامل على المسلمين الشيعة والابتعاد عن التشيع وفيما يلي أدلة إخوتنا والجواب عليها.

قول أهل السنة

سبق منا وعد أن نذكر أدلة اخوتنا أهل السنة فنتخذها دليلاً ونناقشها حواراً ونفرد لكل دليل منها عنواناً خاصاً والله الموفق للصواب.

الدليل الأول

قال إخوتنا أهل السنة: أن النيل من الصحابة يؤذي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والشيعة ينالون منهم إذن فالشيعة يؤذونه (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى هذا الأساس أفتى المتشدّدون منهم بكفر من ينال من أي صحابي كان.

قول الله ورسوله

قال تبارك وتعالى: ﴿**ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إنَّ ذَلِكُم كان عند الله عظيماً**﴾[1] وقال تعالى: ﴿**إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة**﴾[2].

وأخرج مسلم والبخاري واللفظ له في شأن فاطمة الزهراء عن المسور بن مخرمة سمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: (فإنما هي بضعة مني يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها)[3] وفي إحدى روايات البخاري (فاطمة بضعة مني

١- سورة الأحزاب: آية٥٣.

٢- سورة الأحزاب: آية ٥٧.

٣ - البخاري ج٣ ت. د. بغا. باب ذب الرجل عن ابنته ح ٤٩٣٢ ص ١٨٧٨ مسلم بشرح النووي ج٨ جزء٢ ص٢.

فمن أغضبها أغضبني)[1].

وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خطبنا بماء يدعى خماً وقال: (وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله ... وأهل بيتي)[2].

وبعد أن نقلنا دليل اخوتنا أهل السنة فيمن يؤذي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأقررناه بل واتبعناه بآيتين وحديثين فيهما من الوعيد ـ لمن آذى الله ورسوله وأهل البيت ـ ما يكفي لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وخلاصة البحث في الفقرات التالية:

١ـ أقول: تصفق لكم قلوبنا وتهتف بما قلتم ألسنتنا وندين بما اعتقدتم: انه من يؤذي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مباشرة أو بالأسباب التي تؤول إلى أذاه فإنه يكفر شريطة أن يكون الحكم فيمن آذاه حكماً عاماً شاملاً لأفراده لا ازدواجية فيه لأن حكم الله فينا واحد لضرورة اتحاد الموجب ولذا يتحتم علينا في مثل هذه المسألة الخطيرة أن يكون (الحكم الله والزعيم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)) كما قالت سيدة نساء العالمين.

٢ـبعد إفتاء اخوتنا أهل السنة بتكفير أو تفسيق من يؤذي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ (١٣٥٠) عاماً للهجرة أو تزيد، وبعد الاستبصار واللحاق بالطائفة الحقة والفرقة المحقة وإذا بي أفلجأ بقاصمة الظهر وهي أن اخوتنا أهل السنة لا يكفّرون ولا يفسّقون من يؤذي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وانما اتخذوا هذا الكلام مغالطة وتغطية لتكفير اتباع آل محمد

---

١ – البخاري ج٢ ت. د. بغا. باب مناقب قرابة رسول الله ح ٣٥١٠ ص ١٢٧٢.

٢ – مسلم بشرح النووي ج٨ جزء١ ص ١٨٠.

(صلى الله عليه وآله وسلم) وحصانة لشذاذ الصحابة من أمثال وحشي قاتل الحمزة وبعد أن قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إسلامه عام الفتح قال له (فهل تستطيع أن تغيّب وجهك عني)[١] فمات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم ير ذلك الوجه وهو أول من جلد في الخمر[٢] في الإسلام، ومثل الحكم بن أبي العاص عم عثمان ووالد مروان حيث تسوّر على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شق الجدار وهو مع زوجته فلعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) ونفاه إلى الطائف ولم ير ذلك الوجه إلى أن مات (صلى الله عليه وآله وسلم) ومثل أبي الغادية قاتل عمار بن ياسر وغيرهم من ناكثين وقاسطين ومارقين.

٣ـ وأدل دليل على ما قلناه: أن اخوتنا أهل السنة يكفّرون أو يفسّقون من ينتقص صحابياً بحجة أن ذلك يؤذي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ببعض أصحابه ولا يكفّرون ولا يفسّقون من يؤذيه بذاته وبأهل بيته فبالله عليك أخي المسلم أخبرني على أي شريعة وردنا ومن أي دليل ارتشفنا أنه من يسب معاوية يكفر ومعاوية يسب آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا يفسق ولا يكفر! فهل كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يتأذى ممن ينتقد معاوية ولا يتأذى ممن يسب علياً والحسن والحسين وغيرهم من العترة الطاهرة؟!

أقول جازماً: أن هذه الأحكام المعوّجة لا يقبلها الشرع ولا يقرها المنطق وما هي إلا من باب تلزمني بما لا تلتزم به.

الذي يلوح لي ولا يخفى على أحد اختصه الله بأدنى إلمام في البحث والنظر ـ إن اخوتنا أهل السنة لا يملكون دليلاً يحكم بالفسق على مسلم شتم صحابياً ـ

١ـ البخاري ج ٣ ت. د. بغا. باب قتل حمزة ح ٣٨٤٤ ص ١٣٨٩.

٢ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٢٥١.

لا في العقل والمنطق ولا في قياس جلي أو خفي «الاستحسان» ولا في مصدر من مصادر التشريع العشرة التي أولها كتاب الله وآخرها العرف العام غير أنهم يقلدون فتاوى سائبة وأحكام متمردة على التشريع وحكايات غير مسؤولة وتقليد لعداء موروث مرتبط بأحداث سجلها التاريخ في عصر لم تبين فيه السبل بوضوح الفواصل والحدود بين ثلاث وسبعين فرقة وإلا فما بال عشرات الألوف بل مئات الألوف من غير الصحابة يسبون عليا بن أبي طالب في عصر بني أمية ما يزيد على ستين عاما، ألم يكن أولئك هم من غير الصحابة؟ ألم يكن علي من كبار الصحابة؟ ألم يكن من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فلم أولئك الألوف المؤلفة يسبون عليا بن أبي طالب ـ البطل البهلول وابن عم الرسول وسيف الله المسلول وزوج الزهراء البتول إمام العلم وحاكمه وقاضي الشرع وعالمه المتصلق في الصلاة بخاتمه ـ ولا يكفرون ولا يفسقون ويا ويل ويلك أخي المسلم إن سببت الفاسق بنص القرآن كمثل الوليد بن عقبة قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة..﴾**[1] وإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

١ – سورة الحجرات:آية ٦.

الدليل الثاني

أخيرية الأمة

قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنـهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[1].

استدل أخوتنا أهل السنة بأدلة منها هذه الآية الكريمة على أن «عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم واخباره عن طهارتهم فلا يحتاج أحد منهم إلى تعديل» ولذلك قال: المتشددون من اخوتنا أهل السنة أن من ينتقص صحابيا فهو زنديق.

أقول: عندما كنت أبحث في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ومقدمة محب الدين الخطيب على كتاب العواصم من القواصم وجدت كليهما ينقل هذه الآية الكريمة: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾[2] عن كتاب الكفاية للخطيب البغدادي للدلالة على عدالة جميع الصحابة، فذهبت أفكر وأعجب فقلت في نفسي: قاتل الله التقليد الأعمى فما علاقة الآية الكريمة بعدالة جميع الصحابة وأين العلاقة بين الآية وبين الحكم بالزندقة على مسلم انتقص صحابيا؟ وخطر في ذهني العلاقة التي كنا نسمعها من آباءنا والناس من حولنا ونحن في أول شبابنا أنهم كانوا يأتون إلى البقرة إذ تحفى ظلفها فيدهنوا بالزيت قرنها وإذا مرضت البقرة الصفراء يضعون المكواة في النار فيكوون الحمراء وذلك من البديع السلبي ومن أغرب ما سمعنا.

---

١ – سورة آل عمران: آية ١١٠.

٢ – المصدر السابق.

وإليك ملخص البحث في الفقرات التالية:

١ـ الصحيح أن هذه الآية عامة في جميع الأمة كل قرن بحسبه وكل فرد من حيث هو (إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها) كما نص على ذلك ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية الكريمة ولعل بعض الأحاديث النبوية تعطي الأخيرية بشرطها لكثير من افراد الخلق مر الاجيال أكثر منه في أفراد السلف كما روى احمد بن حنبل في المسند عن أبي جمعة الانصاري قال: (تغدينا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعنا ابو عبيدة بن الجراح فقال: يا رسول الله أيوجد أحد خير منا؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك قال: نعم قوم يكونون بعدكم يؤمنون بي ولم يروني)[1] وفي بعض الروايات عن أبي جمعة أيضا (بل قوم بعدكم يأتيهم كتاب بين لوحين يؤمنون به ويعملون بما فيه أولئك أعظم منكم أجرا مرتين).

والمقصود هنا استمرارية الأخيرية في هذه الأمة كما هو منطوق الآية الكريمة وليست وقفا على الصحابة الكرام إلا تحكما.

٢ـ العموم الذي نلمسه في الآية الكريمة والذي يوفر للأمة العدالة والأخيرية ففي الوقت نفسه لا يعطي هذه الرتبة لكل فرد من أفراد الأمة بعد المعصومين وذلك لأن الأخيرية في مقام التفاضل على الأمم ولأنها مشروطة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والفاسق هو فاعل للمنكر وتارك للمعروف وذلك يعني أنه ليس كل فرد من أفراد الأمة هو عدل ومن الأخيار.

وعلى ضوء هذا المفهوم أجمعت الأمة على عدم قبول شهادة الفاسق وإن كان من هذه الأمة التي هي ﴿خير أمة أخرجت للناس﴾ ولذلك رد الله خبر

---

١ - مسند أحمد ج٥ ح ١٦٥٢٩ ص ٧٦.

الفاسق الوليد بن عقبة وإن كان صحابيا قال: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾[١] ولما كان عبث الفاسق في الدين أكبر وأخطر تصدى علماء الأمة من أهل الجرح والتعديل يتابعون أحوال الناس لاقتناص معرفة الفاسق والكاذب المستور ليرموا بأكاذيبه في نفايات التاريخ صونا للسنة الشريفة وليحفظوا الدين للمسلمين، فلله درهم من رجال. وعليه فلو كان العدل والخيار في كل فرد من الأمة فما الفائدة المرجوة من وجود علم الرجال والجرح والتعديل؟.

٣ــ من أوائل من عمل بعلم الرجال وتابع أحوالهم وراقب مجالسهم وجرح وعدل هو عمر بن الخطاب، فهو لم يقل للصحابة هنيئا لكم إن الله زكاكم وعدلكم بقوله: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ وانما جرح المجروحين منهم من أمثال أبي هريرة فهو أول راوية مجروح في تاريخ الإسلام والمسلمين.

وكان من مذهب عمر بن الخطاب أنه يستاء من الرجل يحدث بكل ما سمع عن كل من سمع وبالتالي يحجب الثقة عنه حيث قال كما في صحيح مسلم: «بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع»[٢] ولما رأى أن أبا هريرة ركب في الحديث كل صعب وذلول أساءه ذلك أكثر ثم عظمت الرزية أكثر فأكثر عندما رأى أنه يحدث عن كعب الأحبار ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في آن واحد فيخلط بينهما تارة أو يختلط الأمر على السامع تارة فينسب حديث كعب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحديث رسول الله إلى كعب وعندها دعاه فزجره وتوعده بالنفي إلى بلاده، كما أخرج ابن عساكر عن السائب بن يزيد انه (سمع عمر يقول لأبي هريرة لتتركن الحديث عن

---

١ - سورة الحجرات آية ٦.

٢ - مسلم بشرح النووي ج١ جزء ١ ص ٧٥.

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أو لألحقنك بأرض دوس[١] وقال لكعب الأحبار: لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض القردة[٢].

وذكر بن أبي الحديد عن أبي جعفر الاسكافي: أن عمر ضرب أبا هريرة بالدرة وقال: (قد أكثرت من الرواية وأحرى بك أن تكون كاذبا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)).

ونقل عن سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم اليتمي قال (كانوا لا يأخذون عن أبي هريرة إلا ما كان من ذكر جنة أو نار)[٣].

قلت: يجب عليهم أن لا يأخذوا عنه حتى ما جاء من ذكر جنة أو نار باعتباره مدخول ومروياته مدخولة ألم يخرج عنه مسلم والبخاري واللفظ للأول قوله المدعى على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله تقول قط قط قط)[٤].

٤ـ فلو كانت هذه الآية الكريمة تعدل وتعصم جميع أفراد الأمة أو على الأقل تعدل الصحابة فيكونوا عدولا بتعديل الله لهم «كما هو المدعى» ولا يجوز نقدهم ولا يخضعون لقانون علم الجرح والتعديل، فلو كان كذلك فما بال عمر بن الخطاب يحجب الثقة عن أبي هريرة ويحرجه بمر الانتقاد والانتقاص بل ويضربه ويهدده بالنفي وإبعاده عن المدينة المنورة، أما كان عمر

---

١ – انظر علوم الحديث ومصطلحه د: صبحي العالم ص٣٦٠ البداية والنهاية لابن كثير ج٤ جزء ٢ ص ١٠٦.

٢ – البداية والنهاية لابن كثير ج٤ جزء ٢ ص ١٠٦.

٣ – شرح النهج لابن ابي الحديد ج٢ جزء ٢ ص ٢٨٦.

٤ – مسلم بشرح النووي ج ٩ جزء ١ ص ١٨٢ البخاري ج٣ ت. د. بغا. باب هل من مزيد ح ٤٥٦٩ ص ١٧٢٩.

يقرأ هذه الآية الكريمة؟ وكيف يقدم على جرح من عدله الله «حسب الزعم»؟ وكيف وثقتم بمن جرحه عمر بن الخطاب؟ فهل أنتم أعلم بحال هذا الرجل أم من عاصره وتعايش معه سنين طوالا؟ وكيف أقدمتم على الحكم بالكفر أو الفسق أو الزندقة على مسلم يجري قانون الجرح والتعديل على الصحابة إبراء للذمة وصونا للدين وتباعا لعمر بن الخطاب!!

ولقد أخذ بمذهب عمر ـ الذي هو في الحقيقة مذهب كل صحابي جليل ـ كل من الآمدي والامام عضد الدين ونسب هذا القول إلى ابن القطان الشافعي البغدادي (ت ٣٥٩ هـ).

فيا ليت شعري بماذا يحكم أخوتنا أهل السنة على هؤلاء، أ بما حكموا على اتباع آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ أم يا نار كوني بردا وسلاما على عضد الدين والآمدي وابن القطاه كما كنت على إبراهيم (عليه السلام) بردا وسلاما. والله مع الصابرين!

٥ـ ما يغنينا عن مؤونة البحث الطويل هو أن الآية الكريمة **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾**[١] مشروطة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فمتى فقدت الأمة هاتين الصفتين فقدت عدالتها وأخيريتها وفقدت كل شيء فكيف بمن يأمر بالمنكر وينهي عن المعروف ولا أجد مثالا على ذلك هنا أنسب من قضية هي أم الرزايا معاوية يسنها وعمر بن عبد العزيز يبطلها فراجع الحديث التاسع تجد أن معاوية يأمر بسب آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على المنابر وذلك منكر ولكن عمر بن عبد العزيز يزيله ويضع مكانه **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾**[٢] وذلك معروف كما سيأتي إن شاء الله.

---

١ – سورة آل عمران،آية ١١٠.

٢ – سورة النحل:آية ٩٠.

الدليل الثالث

وسطيه الأمة وشهادتها

قال تعالى: ﴿كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكــــون الرسول عليكم شهيدا﴾[1].

استدل اخوتنا أهل الســنة بـهذه الآيـة الكريمـة علـى عدالـة الصحابـة بأجمعهم وانطلاقا من هذا المنظـار وعمـلا بشـمول التطبيـق أصبـح الصحابـة قاعدة مستثناة دون السلمين إلى يوم القيامة لانخرام شرط علم الرجال من جرح وتعديل لأن الله عدل جميعهم «حسب الزعم».

ولما كان الكثير من الصحابة تمرد على تعديله له بتلبسه ثوب الفواحش والبغي والموبقات مما يمزق ثوب التقوى والعدالـة ـ هـرع اخوتنـا أهـل السـنة مستجيرين بدعاوى الاجتهاد فمنحوا هذه الرتبة لكل صحابي حتى وإن بلغت أعدادهم (١٢٤) ألف صحابي مجتـهد حسـب إحصائيـات أبـي زرعـة الـرازي، ثم تسارعوا إلى إقفال باب الاجتهاد مؤخرا إقفالا محكما فلا يجـوز للمسـلم أن يجتهد مهما بلغ علمه وإنما واجبه التقليد لأحـد المذاهـب الأربعـة، وكـل مـن يتحرر من تقليد أحدها فهو لا مذهبي «واللامذهبة قنطرة اللادينية» كما صرح به بعضهم، والويل والثبور لمن يجتهد من الأمة وبخاصة إن اعترف بأن صحابيـا زل أو غلط أو أجرم وهكذا دواليك.

أقول أخطأ الرماة الهدف باعتبار أن هـذه الآيـة الكريمـة كسـابقتها عامـة في أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى يوم القيامة كما أخرج البخاري عن أبي

١- سورة البقرة: آية: ١٤٣.

سعيد قال: قال رسول الله: (يجيء نوح وأمته فيقول الله تعالى: هل بلغت؟ فيقول: نعم أي رب فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: لا ما جاءنا من نبي فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد (صلى الله عليه وسلم) وأمته فنشهد أنه قد بلغ وهو قوله جل ذكره: **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس﴾** والوسط العدل)[1].

أفاد الحديث أن العدل والشهادة هما للأمة إلى يوم القيامة وليس قصرا على الصحابة والشواهد على ذلك كثيرة وإليك البحث في الموضوع ضمن الفقرات التالية:

١ــ إن العدالة والشهادة المذكورتين في الآية الكريمة لا يعدم الكثير من أفراد الأمة تحصيلها فهي عامة في الأمة بإجماعها ولذا فإن الاستشهاد بها والاحتكام إليها نوع مغالطة. وعليه لا يجوز قصرها على الصحابة بلا مخصص يخص أشقياءهم دون أشقياء الأمة فمن العبث والمغالطة بمكان أن نستشهد بها لتعديلهم جميعا لأن الاستشهاد على عدالتهم هو عين الاستشهاد لجميع أفراد الأمة وعندها يكون الناس كلهم عدولا وإن كانوا فاسقين وهذا مما لا يرضاه الدين والأمة.

٢ــ حيازة العدالة شرط لقبول الشهادة والشهادة غاية جعل الله الوسطية في هذه الأمة لأجلها كما قال تعالى: **﴿جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء﴾** فالذين فقدوا العدالة حجب الله عنهم الثقة بهم وردت شهاداتهم قال تعالى: **﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون﴾**[2].

---

١ – البخاري ج٢ ت. د. بغا. باب إنا أرسلنا نوحا ح ٣١٦١ ص١١٢٨.

٢– سورة النور آية٤.

فالآية الكريمة عامة في الصحابة وغيرهم من أفراد الأمة إلى يوم القيامة فالمورد لا يخصص الوارد كما هي القاعدة الأصولية وإن شئت فقل: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

فائدة: كون الشريعة الإسلامية تقبل شهادة الصادق وترد شهادة الكاذب، ذلك لا من حيث أن الصادق لا يكذب والكاذب لا يصدق لأنه في حقيقة الأمر والواقع لا يستحيل أن تكون شهادة الصادق كاذبة عدا المعصومين وشهادة الكاذب صادقة وهذا يحتاج إلى تفسير ومزيد من الإيضاح لذلك أقول:

إن الله سبحانه وتعالى لم يرد الشهادة الصادقة بما هي صادقة من العاقل الصادق ـ بما هو عاقل وصادق ـ لأن الوقائع الكونية والحوادث الواقعية تنقدح في صفحة الذهن قسرا فيسجلها ويحتفظ بها ويتحملها ثم يؤديها في الوقت المناسب وما ذاك إلا لأن في الذهن قابلية الالتقاط مثل المرآة وانطباع الصور بجامع كل منهما يصور لا من حيث المحو والإثبات ـ وإنما رد الله بعض شهادات العقلاء ومن فيهم قابلية التعقل بسبب تلبسهم بحالة تحجب عنهم الثقة بهم مثل الكفر والفسق والصبا، فالكافر والفاسق لا تقبل شهادتهما في الحدود والمعاملات والروايات عن سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله وسلم) وغيرها باستثناء العقود والمعاهدات وبعض الأحكام الأخرى مع غير المسلمين في العلاقات الانسانية، فلو أسلم الكافر وتاب الفاسق وبلغ الصبي قال النووي: «تقبل رواية المسلم البالغ ما تحمله قبلهما»[١].

٦ـ تكلمنا آنفا عن الشهادة والرواية وتحملهما ومتى يقبل منهما أداؤهما في هذه الحياة ونتكلم في الفقرات التالية عن شهادة الأمة

---

١ - تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي ج١ جزء ٢ ص٤.

في اليوم الآخر والتي سيقت الآية الكريمة لشأنها ﴿**جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس**﴾.

والمقصود هنا هل يشهد على الأمم السابقة كل فرد من أفراد الأمة المحمدية؟ أو العدول منها فحسب؟ أو هم الذين ذكرهم الله بقوله ﴿**والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم**﴾[١] وهل هي مطلقة تعم جميع المؤمنين من جميع الأمم؟ أو هم الذين ذكرهم الله بقوله ﴿**ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون**﴾[٢] وإذا كان الله يبعث من كل أمة شهيدا فمن يبعث للشهادة من هذه الأمة؟ فهل يبعث الذين ذكرهم بقوله: ﴿**ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس**﴾[٣] على أن إبراهيم ليس أبا لكل المسلمين، أو هم الذين ذكرهم الله بقوله: ﴿**قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب**﴾[٤]؟ تساؤلات مطروحة للإجابة عليها يراجع في عويصها المتبصرين من محققي المفسرين.

٧ــ قال اخوتنا أهل السنة في مروياتهم: أن أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) تشهد بأجمعها على الأمم يوم القيامة بعد أن يسأل الله رسوله عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم.

أقول: هذه زلة لا تقال وعثرة ليس بعدها جبر بل أكبر زلة في بابها، إذ كيف نوفق بين القتلة والمجرمين من هذه الأمة والذين عاثوا فسادا في كل مكان

١- سورة الحديد:آية ١٩.

٢ – سورة النحل:آية ٨٤.

٣ – سورة الحج:آية ٧٨.

٤ – سورة الرعد:آية ٤٣.

ومن كل جيل وعاشوا على دماء الأطهار والأبرياء وارتكبوا الموبقات وماتوا لغير توبة؟ فكيف نوفق بينهم وبين أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعدلهم ويزكيهم في المحشر العظيم يوم لا ينفع مال ولا بنون؟ وبين ولوجهم في جهنم وبين قبولهم شهداء على الامم؟ وبين أن الله ورسوله والمؤمنين لم يزكوهم في هذه الحياة الدنيا ولم تقبل شهادتهم؟ وهذا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول كما أخرج أبو داود في سننه: «لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا زان ولا زانية»[1].

ولقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى قائلا: «المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا في حد أو مجربا عليه شهادة زور أو طعنا في ولاء أو نسب»[2].

فكيف نوفق بين هذا كله وبين قول الله تعالى: **﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾**[3].

فهل الذين أعد الله لهم العذاب من الآن ومغضوب عليهم وملعونون أترى يزكيهم رسول الله في المحشر ثم يؤدون شهادة العادلين؟ ثم يقول الله لهم أنتم فاسقون فادخلوا جهنم داخرين؟ فالحمد لله الذي نزهنا عن مثل هذه الأحكام الـ'لية وحاشا لله وإنا لله وإنا إليه راجعون.

٨ـ نقتطف من كلام العلامة صاحب الميزان ما يناسب الموضوع قال: «وهذه الشهادة وإن كانت في الآخرة يوم القيامة ولكن تحملها في الدنيا ... والحاصل أن هذه الشهادة ... هي تحمل حقائق أعمال الناس في الدنيا.

---

١ - أبو داود ج٢ ص٣٣٠.

٢ - تدريب الراوي للسيوطي على الحاشية ج١ جزء ١ ص٣٠٣.

٣ - سورة النساء:آية ٩٣.

ومن المعلوم أن هذه الكرامة ليس تنالها جميع الأمة .. وأخبار أخرى نقلها السيوطي في الدر المنثور وغيره من تزكية رسول الله لأمته وتعديله إياهم لعله يراد به تعديله لبعضهم دون جميعهم وإلا فهو مدفوع بالضرورة الثابتة من الكتاب والسنة، وكيف نصحح أو نصوب هذه الفجائع وكيف يزكي ويعدل فراعنة هذه الأمة وطواغيتها فهل ذلك إلا طعنا في الدين الحنيف؟ على أن الحديث مشتمل على إمضاء الشهادة النظرية دون شهادة التحمل .. وفي تفسير العياشي عن الصادق .. إن من لا تجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر يطلب الله شهادته يوم القيامة .. كلا!»[١].

٩ـ هكذا اخوتنا أهل السنة يمنحون رتبة العدالة لكل صحابي وإن سرق وإن قتل.

على أن بعض السلف يرفض حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إن جاء عن طريق حماد بن سلمة وما ذاك إلا لأنهم جاؤوا إلى حماد يوما يلتمسون الحديث فامتخط حماد فتفرقوا. وقد عقد الخطيب البغدادي بابا لذلك «أي للجرح بما لا يجرح» وروى فيه عن محمد بن جعفر المدائني قال:

«قيل لشعبة لم تركت حديث فلان قال رأيته يركض على برذون فتركت حديثه.

وروى مسلم بن ابراهيم أنه سئل عن حديث صالح المري فقال: وما تصنع بصالح ذكروه يوما عند حماد بن سملة فاستخط حماد»[٢].

عزيزي القارئ اختزن في ذهنك هذا الغلو في التجريح وتعال معي

---

١ – تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي ج١ ص ٣٢٠ وما بعدها.

٢ – تدريب الراوي للسيوطي ج١ جزء ١ ص ٣٠٦ علوم الحديث لابن الصلاح ص ٥١ حاشية محمد شاكر على الباعث الحثيث لابن كثير ص ٩٤.

واستمع لما يرويه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عبد رب الكعبة قال:

(دخلت المسجد فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة والناس مجتمعون فأتيتهم فجلست إليه فقال كنا مع رسول الله في سفر... إذ نادى منادي رسول الله الصلاة جامعة فاجتمعنا ... فقال: تجيء الفتنة ... فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر... ومن بايع إمام فليطعه ... فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر... فقلت أنشدك الله أنت سمعت هذا من رسول الله ... قال سمعته أذناي ووعاه قلبي فقلت له هذا ابن عمك معاوية بأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا ... قال فسكت ساعة ثم قال أطعه في طاعة الله وأعص في معصية الله)[١].

تأمل أخي المسلم فالمقصود هنا المقارنة. حماد يستنثر الأذى من أنفه ومعاوية يستنشق أموال المسلمين ودماءهم فبالله عليك في أي دين وجدت وعلى أي دليل اعتمدت على أن ترفض حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إن جاءك عن طريق حماد بن سلمة فقط لأنه امتخط وتأخذ بما ورد من دينك عن طريق معاوية وعمر بن العاص وغيرهما حتى وإن استنشق معاوية وعمرو أموال المسلمين ودماءهم وأرواحهم لصرفها على الجيش والحرب ضد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

١ - مسلم بشرح النووي ج٦ جزء ٢ ص ٢٣٤.

الدليل الرابع

رضى الله وبيعة الشجرة

قال تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾[١].

استدل اخوتنا أهل السنة بهذه الآية الكريمة على عدالة الصحابة ورضى الله عنهم. والواقع أن هذا الاستدلال خداج من حيث الشمول فالآية الكريمة لم تشمل جميعهم وإنما هي خاصة بأهل بيعة الرضوان الذين بايعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تحت الشجرة بأرض الحديبية على الموت الأحمر أو على أن لا يفروا، وقع ذلك في عام ٦ للهجرة وكان عددهم كما في الصحيحين «١٥٠٠» وفي الصحيحين أيضا أن عددهم «١٤٠٠» وفي البخاري أيضا «١٣٠٠»[٢] ونقل ابن كثير في تفسيره عن العوفي أنهم «١٥٢٥» ونقل صاحب تفسير الميزان في بعض الروايات انهم «١٨٠٠» وذكر ابن هشام في سيرته رواية ابن إسحاق في باب أمر الحديبية أنهم «٧٠٠» غير أن ابن كثير في تفسيره عد ذلك من أوهام ابن إسحاق.

وبإجماع المسلمين أن رضى الله ومنه وكرمه في هذه الآية مقصور على أهل بيعة الرضوان دون غيرهم على أن الشيعة يدينون بأن سبل العدالة ورضى الله مفتحة ابوابها أمام عشرات الألوف من الصحابة، ابتداء من أصغرهم سنا مثل الحسن والحسين أبناء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

---

١ - سورة الفتح:آية ١٨.

٢ - البخاري ج٣ ت. د. بغا. غزوة الحديبية ح٣٩٢٠ وما بعده ص١٤٢٠ وما بعدها ـ مسلم بشرح النووي باب مبايعة الامام ج٧ جزء ١ ص٢.

وانتهاءً بمتمم بن نويرة، وَرضَى الله المطلق واللامحدود ليس وقفاً على أهل بيعة الرضوان، فالقاعدة «أن إثبات الشيء لا ينفي ما عداه» وإنما هو سارٍ في هذه الأمة المرحومة لمن شاء منها أن يستقيم.

فائدة

لا ننسى أن الرضى غير العدالة، وهما صفتان طارئتان على الانسان وقابلتان للزوال، وقد تجتمعان عند شخص وتفترقان عند آخرين، فليس كل عادل وهو مرضي والعكس بالعكس، وعلى ضوء هاتين الصفتين يقيِّم الانسان من الخارج، والمراد هنا التقييم الإسلامي فقد يمنح الله عز وجل رضاه وتعديله وتزكيته لولي من أولياءه مثل علي بن أبي طالب، فتكون هذه الشخصية مرضياً عنها وعادلة عند الله وعندنا.

وقد يكون المسلم مرضياً عنه عند الله وهو غير عادل عندنا مثل مؤمن مستقيم امتهن من المباحات «الحرف الدنيئة كالحجامة وكنس الزبالة والدباغة وغيرها ممّا لا يليق بمقامه دون غيره ومرجع ذلك العرف فلا تقبل شهادته ولا روايته»[1] في سند الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عند جمهور المحدثين وهو معنى قولهم: أن يكون الراوي «سالماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة»[2]وهو معنى قول الفقهاء: «أنها مقيدة بالصلاح في الدين والاتصاف بالمروءة»[3].

وقد يكون المسلم فاسقاً عند الله عادلاً عندنا كمثل الوليد بن عقبة بن

---

١ – مغني المحتاج للشربيني ج٤ ص٤٣٢.

٢ – الباحث الحثيث لابن كثير ص٩٢.

٣ – فقه السنة للسيد سابق ج٣ ص٤٣٢.

أبي معيط فان الله سماه فاسقاً في كتابه الكريم حيث قال: **﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾** ولقد أكدت هذه الآية قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعقبة أبي الوليد عندما كان أسيراً وحكم عليه رسول الله بالقتل قال: (يا محمد من للصبية قال: «النار»)[1] ولكن هذا الفاسق هو عادل عند اخوتنا أهل السنة ومقبول الشهادة والرواية (وروى عن عثمان وروى عنه حارثة بن مضرب والشعبي وأبو موسى الهمذاني وغيرهم)[2].

ومما ينبغي التنبه له أن كل ما ذكرنا من التقسيمات في الرضى والعدالة فإنه يلزم اخوتنا أهل السنة حقيقةً حتى وإن لم يلتزموه. على انه حتى أهل بيعة الرضوان تحت الشجرة الذين نالوا رضى الله هذا لا يعني أنه تعالى يرضى بكل ما يقع منهم مستقبلاً، وبخاصة أن الانسان لا ينفك عن الخطأ والزلل إلا من عصم ربي، ولهذا اشترط الله عليهم الوفاء بعدم النكث قال تعالى في شأنهم: **﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾**[3].

فاشترط الله الرضى وإتيان الأجر بالوفاء وعدم النكث، باعتبار أن هذه البيعة لم تأتِ عبثاً ولا اعتباطاً وإنما جاءت تالية لسخط ونكث وشك وهلكة فاستمع لما رواه البخاري عن نافع قال:

(إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر وليس كذلك ولكن عمر يوم الحديبية أرسل عبد الله إلى فرس له عند رجل من الأنصار يأتي به ليقاتل عليه ورسول الله يبايع عند الشجرة وعمر لا يدري فبايعه عبد الله ثم

---

١ - الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج٣ ص٦٠٠ ترجمة الوليد.

٢ - المصدر السابق ص٦٠١.

٣ - سورة الفتح:آية ٩.

ذهب إلى الفرس فجاء به إلى عمر وعمر يستلئم للقتال فأخبره أن رسول الله يبايع تحت الشجرة قال فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله فهي التي يتحدث الناس أن ابن عمر اسلم قبل عمر)[١].

عزيزي القارئ ضع في ذهنك حديث إسلام عمر في صلح الحديبية واحتفظ به ثم تعال معي نبحث السبب الذي زعزع عقيدة أهل البيعة وأورث في قلوبهم الشك في نبوة محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاستمع ما يلي:

رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في نومه أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين، فأخبر المسلمين أنه يريد العمرة، واستنفر الأعراب الذين حول المدينة من قبائل جهينة ومزينة وغفار وأشجع وأسلم ودئل فلم ينفروا، ولما أبطؤوا خرج (صلى الله عليه وآله وسلم) بمن معه وساق الهدي ثم سار الجيش إلى أرض الحديبية التي كانت تبعد عن مكة مرحلة واحدة وعن المدينة المنورة تسع مراحل، ففوجئ الصحابة بأمر ما كان بالحسبان وهو أن قريشا صدوهم عن المسجد الحرام وجمعوا الجموع من الأحابيش وغيرهم فوجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى قريش عثمان بن عفان مفاوضا ومعه عشرة رجال فلحتبستهم قريش وشاع عند المسلمين أن عثمان قتل وبعثت قريش خمسين رجلا ليلا للاستطلاع فأسرهم المسلمون ثم بعثت جمعا آخر (وابتدؤوا يناوشون المسلمين حتى أسر منهم «١٢» رجلا وقتل من المسلمين واحدا)[٢] فيكون المجموع «٧٠» أسيرا[٣].

---

١ - البخارى ج٣ ت. د. بغا. غزوة الحديبية ح ٣٩٥٠ ص١٤٢٨.

٢ - نور اليقين للخفرى ص٢١٤ وانظر السيرة الحلبية ج٢ ص٧٠٥

٣ - تفسير ابن كثير ج٤ ص ١٨٨.

كل ذلك يجري ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يفاوض بدلا من الحرب ويرضى بالرجوع إلى المدينة بلا عمرة لا طائفا ولا محلقا ولا آمنا.

على أن الصحابة يحفظون عليه أنه أخبرهم بالطواف آمنين محلقين ومقصرين ولا يخشون أحدا وعندها زلت أقدامهم وتزلزلت عقيدتهم وشكوا في نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا ما عصم ربي فتمردوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

قال ابن كثير: (وقع في نفس بعض الصحابة ... من ذلك شيء حتى سأل عمر بن الخطاب... قال فيما قال: أ فلم تكن تخبرنا أن سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى أ فأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا؟ قال: لا...)[١].

واستلئم الكثير من الصحابة للحرب تمردا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأخذ بيد علي وجلسا تحت الشجرة وتبعهما من عصمه الله ونزل الشاكون من المسلمين آخذين السلاح فحملوا على جيش الصد الذي وضعته قريش لصد المسلمين فحملت عليهم قريش فتراجع المسلمون وتبعتهم قريش وعند ذلك أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليا أن يرد قريشا فقام علي في وجوههم فصاح بهم صيحة انصتوا لها ثم قالوا: يا علي هل بدا لابن عمك فيما اعطانا كذا وكذا فقال: لا فهل بدا لكم أنتم قالوا: لا فانصرفوا ثم تم الصلح على اثرها وندم الصحابة بعد الهزيمة واعتذروا لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فوبخهم وذكرهم بالمواطن التي هربوا فيها وأسلموه في أحلك الظروف وحمي الوطيس مثل موقعة أحد وغيرها فاظهروا التوبة والاعتراف بالذنب فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا أن تعودوا إلى البيعة فبايعوه تحت

الشجرة[١] علـى الإسـلام لأنـهم شـكوا وعلـى أن لا يفـروا لأنـهم فـروا. وفي البخاري أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) بايع سلمة بن الاكوع مرتين[٢].

وفي تفسير ابن كثير ثلاث مرات[٣].

ومن آثار هذه البيعة انما أخافت قريشا فأرسلوا سهيل بن عمرو يفاوض للصلح وإخلاء سبيل الأسرى فقال له (صلى الله عليه وآله وسلم): (حتـى ترسـلوا من عندكم وعندئذ أرسلوا عثمان والعشرة الذين معه)[٤].

ولعل من مصاديق ما قلناه ومن شواهد ما قدمنـاه مـا أخرجـه البخـاري عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه:

(فقال عمر ... فقلت: أليس نبي الله حقا؟ قـال: بلـى قلـت: ألسـنا علـى الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى قلت: فلم نعطي الدنية (أي الذلة والأمـر الخسيس) في ديننا إذا؟ قال: إنـي رسـول ... قلـت: أ وليـس كنـت تحدثنـا أننـا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى أ فأخبرتك أنا نأتيه العام ... فقلـت: يـا أبـا بكر أليس هذا نبي الله (مستنكرا) حقا قال: بلـى... قلـت: فلـم نعطـي الدنيـة في ديننا إذا؟ قال: أيها الرجل إنـه لرسـول الله.... فاستمسـك بغـرزه فـوالله أنـه على الحق قلت: أ وليس كان يحدثنا أنـا نـأتي البيـت ونطـوف بـه قـال: بلـى أ فأخبرك أنك تأتيه العام ... قال عمر: فعملت لذلك أعمـالا... قـال رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأصحابه: قوموا فانحروا ثـم احلقـوا قـال: والله مـا قـام منهم رجل حتى قال ذلك ثـلاث مـرات فلمـا لم يقـم منـهم أحـد دخـل علـى

---

١ – انظر الاستغاثة لابي القاسم الكوفي ص١٧٦ وفي تفسير ابن كثير ما يقرب منه باختصار ج٤ ص ١٨٦.

٢ – البخاري ج ٢ ت. د. بغا. باب البيعة في الحرب على أن لا يفروا ح ٢٨٠٠ ص ٩٩٦.

٣– تفسير ابن كثير ج٤ ص ١٨٧.

٤ – نور اليقين للخضري باب صلح الحديبية ص ٢١٤.

أم سلمة ... فخرج فلم يكلم أحدا منهم كلمة ... نحر بدنه ودعا خالقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما)[١]. ولكن الكثير منهم خالف أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحلق فقصر ولم يحلق فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) كما في البخاري ومسلم:

(اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال: اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول وللمقصرين قال وللمقصرين)[٢] وزاد ابن اسحق في روايته عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس (... فقالوا يا رسول الله فلم ظاهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين؟ قال: لم يشكوا)[٣].

وأخرج أحمد والبخاري والترمذي وغيرهم واللفظ للأول عن عمر بن الخطاب قال: (كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في سفر فسألته عن شيء ثلاث مرات فلم يرد علي قال فقلت لنفسي: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب نزرت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاث مرات فلم يرد عليك قال: فركبت راحلتي فتقدمت مخافة أن يكون نزل في شيء قال: فإذا بمنادي ينادي يا عمر أين عمر قال: فرجعت وأنا أظن أنه نزل في شيء قال فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نزلت علي البارحة سورة هي أحب إلي من الدنيا وما فيها ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا... ﴾[٤].

---

١ – البخاري ج٢ ت. د. بغا. كتاب الشروط ح ٢٥٨١ ص ٩١٦.

٢ – البخاري ج ١ ت. د. بغا. ح ١٦٤١ ص ٥٦٨ مسلم بشرح النووي ج ٥ جزء١ ص ٥١.

٣ – سيرة ابن هشام ج٢ جزء١ ص ٢٣١.

٤ – مسند أحمد ج١ ح ٢٠٩ ص ٥٢ البخاري ح ٣ ت. د. بغا. باب انا فتحنا لك فتحا ج ٤٥٥٣ ص ١٧٢٢١ صحيح الترمذي ج ٥ ت كمال يوسف الحوت باب سورة الفتح ح ٣٢٦٢ ص ٣٥٩ وغيرهم.

هذه السورة المباركة نزلت في شأن أحداث الحديبية بعد أن غفلوا راجعين إلى المدينة المنورة.

تنبيه

ثم تعل عزيزي أنبأك اليقين: إن أهل بيعة الرضوان ـ والتي جاءت بعد شك وسخط وهلكة ـ بايعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تحت الشجرة على الموت أو على أن لا يفروا فنالوا بذلك رضى الله تعالى بشرط عدم النكث من جديد كما قال تعالى: ﴿**فمن نكث فإنما ينكث على نفسه**﴾[1] ولكنهم نكثوا البيع مع الله بعد أن اشترى منهم أنفسهم واموالهم بأن لهم الجنة فباعوا رضى بيعة الرضوان بلا ثمن وكانوا فيه من الزاهدين وباعوا الجنة بالفرار وتركوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طعمة لذؤبان العرب ومشركيها في يوم حنين عام«٨» للهجرة لولا أن أدرك الله رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنوعين من الجنود:

١ـ نوع جلي يقاتل بالسيف دون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يتألف من علي أمير المؤمنين وأهل بيعة العقبة من الأنصار بعد أن انهزم المسلمون هزيمة نكراء.

قال تعالى: ﴿**ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين**﴾[2].

٢ـ ونوع خفي قال تعالى: ﴿**ما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم**﴾[3]

١ ـ سورة الفتح: آية ١٠

٢ ـ سورة التوبة: اية ٢٥.

٣ـ سورة آل عمران: آية ١٣٦.

وهم الملائكة قال تعالى في شأن حنين: ﴿ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها﴾[١].

فذلكة القول

إن الكثير من الصحابة تشكك في وحي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في صلح الحديبية ولكن اخوتنا اهل السنة وبخاصة المحدثون منهم قد أسقطوا الكثير من الأحاديث عن تلك الاحداث العظيمة ـ التي تلبس بها الصحابة فمارسوها وتكلموا فيها ـ باعتبارها لا تناسب اعتقادهم وضعفوا الكثير منها وأماطوها عن صحاحهم إلا اقل القليل بالنسبة لفيضها لأنها شاهد عدل عليهم، واثبتوا بعضها في صحاحهم غير أنهم لا يذكرون مناسباتها واسبابها. وحتى إن ذكروها فإنهم يقتطعون من أول متونها أو يسقطون من وسطها أو يبترون آخرها حسب الحاجة إلا في النزر اليسير مما لا يخفى مثله على بصير، والشواهد على ذلك كثيرة، ولذا متى حاججتهم بجملة منها فإذا كانت صحيحة وفق قانون الجرح والتعديل عندهم قالوا هي غير صريحة وإن كانت صريحة قالوا هي غير صحيحة ومثال على ذلك: (أن أحد طلبة العلوم الشرعية في جامعة دمشق الفيحاء من أبناء منطقتنا أخبرني أنه كان يحضر دروس الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي فسمعه يوما يتكلم في شأن أحاديث المهدي (عليه السلام) قائلا: «صحيحها غير صريح وصريحها غير صحيح» قلت: طبعا وكيف لا يكون كذلك وتكميم الافواه وأضفى عليها مسحة من التكتم والتعتيم والتعمية، ومصداق ذلك في الأحاديث التسعة آنفة الذكر في فقرات

١- سورة التوبة: آية ٢٤-٢٥

الموضوع محل البحث فانظر فيها رعاك الله تجد على ظاهرها فعلا بصمات التحفظ والتعتيم والتعمية وإليك التفصيل التالي:

الحديث الأول: في عدتهم

وفيها أقوال:

أ ــ ورد أنهم «٧٠٠» صحابي.

ب ــ وورد أنهم «١٣٠٠» صحابي.

ج ــ وورد أنهم «١٤٠٠» صحابي.

د ــ وورد أنهم «١٥٠٠» صحابي.

هـ ــ وورد أنهم «١٥٢٥» صحابي.

و ــ وورد أنهم «١٨٠٠» صحابي.

وفي الحديث الثاني

ز ــ عمر لا يعلم بأن الناس يبايعون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تحت الشجرة على الإسلام وعدم الفرار مما يدل أنه كان بعيدا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ح ــ عمر يستلئم للقتال والحال أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يفاوض قريشا عن طريق الرسل.

ط ــ عمر آخر من يسلم حتى أن ولده عبد الله اسلم قبله مما يدل أن الناس كانوا في سخط ونكث وشك وهلكة، فدعاهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للبيعة على الإسلام من جديد فتابوا وبايعوا تحت الشجرة فرضي

الله عنهم بدلا من سخطه السابق عليهم فلذلك قال تعالى: ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها﴾[١] وكلمة التقوى هي (لا إله إلا الله محمد رسول الله) مما يدل على أن البيعة على الإسلام تحت الشجرة هي من أهم المقاصد.

وفي الحديث الثالث

ي ـ إن الصحابة اسروا جماعة من كتيبة الاستطلاع لجيش الصد بلا قتال مما يأذن بإيقاد نار الحرب في أصعب الظروف وبلا إذن من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والحال انه يفاوض للصلح عن طريق الرسل وبالفعل شرع جيش الصد يناوش المسلمين انتقاما لأسراهم فاستشهد من الصحابة رجل اسمه (ابن زنيم) وفي بعض الروايات (دهيم)[٢].

وفي الحديث الرابع

ك ـ تجد أن ابن كثير بدلا من أن يقول: وقع في نفس بعض الصحابة الشك في وحي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: وقع في نفس بعض الصحابة شيء فأراد أن يتكتم ويوهم ولكن الحديث الذي أورده يحدو به إلى التصريح وإن كان نفس الحديث تعلوه مسحة من التورية.

ل ـ عمر تلح عليه شكوكه برسول الله أن يحتج عليه بقوله (أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به) والحال أننا جئنا ولم نكن آمنين ولا طائفين

١- سورة الفتح،آية ٢٥.

٢- تفسير ابن كثير ج٤ ص١٨٨-١٩٣.

والأعظم منه أنك ترضى بالصلح والصد عن المسجد الحرام وكل ما طلبته قريش.

م ــ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مضطر للدفاع عن رؤياه أو أخباره عن وحي الرؤيا بقوله لعمر: (أ فأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا؟).

وفي الحديث الخامس

ن ــ الشكاكون يحملون على جيش المشركين في صلح الحديبية بلا إذن رسول الله بالحرب.

س ــ الشكاكون ينهزمون فتتبعهم قريش.

ع ــ علي بن أبي طالب يصيح بالمشركين فينصتوا له ويتهموا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالغدر فقالوا: (يا علي هل بدا لابن عمك فيما أعطانا) يقصدون التفاوض على الصلح فقال لهم: (لا فهل بدا لكم أنتم قالوا: لا فانصرفوا ثم تم الصلح).

ف ــ ندم الصحابة فاعلنوا التوبة والاعتراف بالذنب فأبى عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا البيعة على الإسلام وعدم النكث والهروب والاستسلام فبايعوه تحت الشجرة.

وفي الحديث السادس

ص ــ أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يأمر سلمة بن الأكوع بالبيعة مرتين أو ثلاث مرات ومن آثار البيعة أنها أخافت قريشا فجنحوا للسلم والصلح كما أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأرسلوا سهيل بن

عمرو يفاوض للصلح وتبادلوا الرهائن.

وفي الحديث السابع

ق ــ عمر يستفهم مستنكرا فيقول لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (الست نبي الله حقا)؟!.

ر ــ عمر يثني الاستنكار على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقول (ألسنا على الحق وعدونا على الباطل)؟!.

ش ــ عمر يثلث الاستنكار الحاد على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقول: فلم نعطي الدنية في ديننا (أي الذلة والأمر الخسيس) ويا عجبا كيف أدرك عمر أن الصلح خسة وكيف ترفع عنها ووقع صاحب الرسالة فيها؟!.

ت ــ عمر يربع القول ويبدي لنا شكوكه بنبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقول: (أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به)؟!.

ث ــ عمر يقول لأبي بكر (يا أبا بكر أليس هذا نبي الله)؟!.

خ ــ عمر يقول (فعملت لذلك أعمالا) ولكن الحديث لا يطلعنا على تلك الأعمال التي حيكت ضد رسول الله نتيجة لانفعال خلفته الشكوك بنبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

وفي الحديث الثامن

ذ ــ تجدد الشك بوحي رسول الله مرة ثانية في قلوب الكثيرين من الصحابة بعد البيعة، واكتتاب ورقة المعاهدة، وتمام الصلح، هذا من جهة، وتمرد الجميع على أوامر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من جهة أخرى، حيث

أمرهم بالحلق ونحر الهدي فرفضوا وبعد أن نحر (صلى الله عليه وآله وسلم) وحلق قاموا فنحروا وحلق بعضهم بعضهم فكادوا أن يقتلوا بعضهم من الغيظ على صنيع رسول الله وبعضهم عصى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عصيانا آخر حيث قصر ولم يحلق فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) اللهم اغفر للمحلقين أعادها ثلاثا، ولما سئل عن السبب نص على أن المحلقين لم (يشكوا) وبهذا نكثوا بيعة الرضوان قبل أن يغادروا أرض الحديبية أما قوله تعالى: **﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾**[1] فمنصرف إلى علي بن أبي طالب وكل من عصمه الله من الشك في تلك الواقعة وإلا فكيف السكينة وزيادة الإيمان يجامعا الشكوك والعصيان فتأمل.

وفي الحديث التاسع

ض ـ عمر يسأل رسول الله ليلا بعد الاقفال من الحديبية ثلاث مرات ولكنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يرد عليه جوابا.

ظ ـ عمر يقول لنفسه ثكلتك أمك يا عمر نزرت رسول الله ثلاث مرات فلم يرد عليك وبعدها ركب راحلته هاربا من رفقة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخائفا أن ينزل بحقه قرآن يفتضحه.

غ ـ عمر يناديه المنادي فيرجع وهو خائف أن ينزل فيه قرآن يفضح ما كان يبطن.

ونختم بالحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ونعوذ بالله من سوء العاقبة.

---

١ ـ سورة الفتح:آية ٤.

الدليل الخامس

السابقون الأولون

قال تعالى ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾[1].

أستدل أخوتنا أهل السنة بهذه الآية الكريمة على عدالة الصحابة ورضى الله عنهم أجمعين واتفقوا ان المراد من «والسابقون الأولون» في هذه الآية الكريمة هم الذين هاجروا إلى المدينة المنورة فيشمل مهاجري الحبشة حيث نالوا شرف الهجرتين، واختلفوا في نهاية السبق الأولي فعن الشعبي هم من أدرك بيعة الرضوان عام الحديبية، وعن أبي موسى الأشعري وابن المسيب والحسن وقتادة هم الذين صلوا إلى القبلتين مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[2] وفي تفسير الجلالين هم جميع الصحابة[3].

وهذا الأخير أشمل ليضفي على الطلقاء وأبناءهم ويدخل فيه وحشي قاتل الحمزة ويعم الأعراب من أجلاف قبائل جهينة ومزينة وغفار وأسلم وأشجع ودئل الذين تخلفوا عن غزوة الحديبية وبدخولهم هذه المنقبة ينزاح عنهم قانون الجرح في علم الرجال.

أقول: قاتل الله التقليد المميت كونه يضعف الرؤية، صاحبه يبصر ولا يتبصر وإلا فمن أين لنا وكيف تطمئن ضمائرنا وقلوبنا بأن المهاجرين

١- سورة التوبة:آية ١٠٠.

٢- انظر تفسير ابن كثير ج٢ ص٣٨٣.

٣- تفسير الجلالين ص٢٦٦.

من مكة إلى المدينة هم السابقون الأولون؟ كـلاً إنما هـو التخـرص والتـأويل المستكره.

وعلى أية حال فـإن الآيـة الكريمـة كمـا تشـمل السـابقين الأولـين مـن المهاجرين والأنصار كذلك تشمل اللاحقين منهم والتـابعين وتابعيـهم ونحـن معهم ومن يخلفنا إلى يوم القيامة ولكن بشرط الإحسان منـا ومنـهم كمـا هـو مفهوم الآية الكريمة إذ لا يقال يشترط الإحسان منّا ولا يشترط العدل والصـدق والإحسان من السابقين الأولين.

والصحيح الذي لا ريب فيه ان هناك ثلاث هجرات للمهاجرين وثلاث مراحل للأنصار واليك التفصيل التالي:

الهجرة الأولى إلى الحبشة

ذكر ابن الأثير وغيره واللفظ له قال: «لما رأى رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما يصيب أصحابه من البلاء ... وأنه لا يقدر علـى ان يمنعـهم قـال: لو خرجتم على أرض الحبشة فـإن فيـها ملكـاً لا يظلـم أحـد عنـده ... فخـرج المسلمون إلى أرض الحبشة ... فكانت أول هجرة في الإسلام ... تمام عشرة رجال وقيل أحد عشر رجلاً وأربع نسوة وكـان مسـيرهم في رجـب سـنة خمسٍ مـن النبوة... فأقاموا شعبان وشهر رمضان وقدموا في شـوال سـنة خمسٍ مـن النبـوة «بسبب خبر كاذب أوهم» أن قريش أسلمت.. فلم يدخل أحد منهم إلا بجـوار أو مستخفياً.. وأقام المسلمون بمكة يؤذَوْنَ فلما رأوا ذلك رجعـوا مـهاجرين إلى الحبشة ثانياً فخرج جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون إلى الحبشة فكمل بها

تمام اثنين وثمانين رجلاً»[١].

الهجرة الثانية إلى شعب ابي طالب

تم ذلك «لما رأت قريش الإسلام يفشو ويزيد وأن المسلمين قووا بإسلام حمزة وعمر وعاد اليهم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي أمية من النجاشي بما يكرهون من منع المسلمين عنهم وأمنهم عنده»[٢].

الهجرة الثالثة إلى المدينة المنورة

تم ذلك بعد ثلاثة عشر عاماً من نبوة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فتأمل عزيزي القارئ تجد أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) هاجر هجرتين الأولى إلى شعب أبي طالب والثانية إلى المدينة المنورة، وباعتبار أن الهجرة ذات قداسة في قلوب المؤمنين فلا نبحثها من حيث قيمتها وفضلها وإنما نبحث عن أفضلها عند التعدد ونستعين بالتساؤلين التاليين: أخي المسلم بالله عليك أي الهجرتين أعظم؟ أ هجرة من هاجر إلى الحبشة إبقاءً على نفسه وحفاظاً على دينه من فتنة المشركين أم من هاجر مع وإلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إبقاءً على نفس محمد وحفاظاً على دين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لِيَحيا فيخلد الدين ولو كلفه ذلك إزهاق نفسه باعتبار أنه في حينها كان الدين مرهوناً برسول الله، يموت بموته ويحيا بحياته؟ فاحكم بالذي تراه أنت.

ثم بالله عليك: أي الهجرتين أسبق؟ هل الهجرة مع وإلى رسول الله

---

١ – الكامل لابن الأثير ج٢ ص٧٨.

٢ – المصدر السابق ص٧٨.

بشعب أبي طالب عام خمس أو ستة للنبوة أم الهجرة إلى المدينة المنورة عام عشرة أو ثلاثة عشر للنبوة وما بعدها.

ومِمّا يجدر بالذكر ولا يخفى أن هجرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى شعب أبي طالب متزامنة مع هجرة الأصحاب إلى الحبشة.

ومن الطريف بالموضوع أن بعض كبار الصحابة لم ينل شرف ايٍّ من الهجرتين مثل أبي بكر وعمر حيث لم يهاجرا إلى الحبشة ولا إلى شعب أبي طالب اتفاقاً هذا كله ورسول الله وأبو طالب والحمزة وعلي وغيرهم من أهل الحصار يشدون الحجر على بطونهم من ألم الجوع حتى أن أحدهم بال ليلاً فوقع بوله على شيء له قرقعه فلمسه وإذا به قطعة من جلد بعير قديم فأخذه وأحرقه بالنار ثم التَهَمَهُ من شدة الجوع.

والصحيح أن أبا بكر وعمر لم يكونا مسلمين عام الهجرة للشعب في سنة ستٍ للنبوة وإلاّ فَلِمَ لم يهاجرا إلى الشعب أو الحبشة؟ ثم لِمَ لم تمسهما قريش بسوء وهما الأضعفان آنذاك؟ فتأمل!!

وهكذا يتجلى الحق بأن المقصود بقول الله في الآية الكريمة ﴿**والسابقون الأولون من المهاجرين**﴾ هم أهل الهجرة مع وإلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الشعب وحصارهم فيه ثلاث أو أربع سنوات لأن هذه الهجرة هي الأعظم بالنسبة لهجرة الحبشة وهي الأقدم بالنسبة لهجرة المدينة المنورة.

هذا إذا كان المقصود بالسابقين السبق إلى الهجرة مع رسول الله وأمّا إذا كان المقصود بالسبق السبق إلى الإيمان فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أول من آمن حيث «بُعِثَ رسول الله (صلى الله عليه

وآله وسلم) يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلاثاء»[١].

وروى الطبري وذكر ابن الأثير عن علي قال: «أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر صليت مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين»[٢].

وأما الأنصار فكانوا في الإسلام كذلك على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى للأنصار

ذكر ابن الأثير وغيره واللفظ له «خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)... فعرض نفسه على القبائل... فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج فدعاهم إلى الله... وقد كانت في بلادهم يهود.. فكانوا إذا كان بينهم شر تقول اليهود إن نبيا يبعث نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وثمود فقال النفر بعضهم لبعض: هذا والله النبي الذي توعدكم به اليهود فأجابوه... وكانوا سبعة نفر من الخزرج»[٣].

وفي رواية ابن جرير وابن هشام كانوا ستة نفر وهؤلاء النفر أخذ عن رسول الله الإيمان والإسلام وولوا إلى قومهم منذرين.

المرحلة الثانية

وفي العام الثاني وافى الموسم من الأنصار أثنا عشر رجلا منهم خمسة رجال من أهل المرحلة الأولى فالتقوا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالعقبة

١- تاريخ الأمم والملوك للطبري ج١ جزء٢ ص٢١١ سيرة ابن هشام ج١ جزء١ ص٢٥٤.

٢ - تاريخ الأمم والملوك للطبري ج١ جزء٢ ص٢١٢ الكامل لابن الأثير ج٢ ص٥٧.

٣ - تاريخ الأمم والملوك ج١ جزء٢ ص٢٣٤ سيرة ابن هشام ج١ جزء٢ ص٢٩ -٣٠.

وهي العقبة الأولى فبايعوا رسول الله بيعة النساء وهؤلاء النفر أخذوا عن رسول الله الإيمان والإسلام وبيعة النساء فقط وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿**يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم**﴾[1] ثم انصرفوا إلى قومهم وبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) معهم مصعب بن عمير وأمره أن يقرأهم القرآن ويعلمهم الإسلام.

المرحلة الثالثة الدم والهدم

لما فشا الإسلام في الأنصار اتفق جماعة منهم على المسير إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).... فساروا إلى مكة في الموسم في ذي الحجة مع كفار قومهم واجتمعوا به (صلى الله عليه وآله وسلم) وواعدوه... فلما كان الليل خرجوا... مستخفين يتسللون ... وهم سبعون رجلا معهم امرأتان ... وجاءهم رسول الله ومعه عمه العباس ... وهو كافر أحب ان يستوثق لابن أخيه ... فقال: يا معشر الخزرج... إن كنتم ترون أنكم مسلمون فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعه.

فقال الأنصار: قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك وربك ما أحببت. فتكلم وتلا القرآن ورغب في الإسلام ثم قال تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم. ثم أخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا «يعني ان العرب تكني عن المرأة وعن النفس بالإزر وتجعل الثوب عبارة عن لابسه» فبايعنا يا رسول الله فنحن

---

١ - سورة الممتحنة آية ١٢.

والله أهل الحرب.

فاعترض الكلام أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الناس حبالا وإنا قاطعوها يعني اليهود فهل عسيت إن اظهرك الله عز وجل ان ترجع إلى قومك وتدعنا؟

فتبسم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: (بل الدم الدم الهدم الهدم أنتم مني وأنا منكم أسالم من سالمتم وأحارب من حاربتم) «ومعنى الهدم الحرمة أي ذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم».

وقال لهم العباس بن عبادة بن فضلة الأنصاري: يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ تبايعونه على حرب الأحمر والأسود .. قالوا فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يا رسول الله، قال الجنة قالوا ابسط يدك فبايعوه.. ثم قال: ارفضوا إلى رحالكم «أي تفرقوا».

فقال له العباس بن عبادة «بن نضلة»: والذي بعثك بالحق نبيا لئن شئت لنميلن غدا على أهل منى بأسيافنا فقال: لم تؤمر بذلك فرجعوا[1].

أقول: لعل المقصود من السابقين الأولين من الأنصار هم هؤلاء السبعون الذين جاءوا إلى مكة فبايعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليلا عند العقبة على حرب الأحمر والأسود والدم والهدم بعد الإسلام والإيمان ولعل ذلك هو السر الذي دعا رسول الله أن ينتدبهم في غزوة حنين عندما انهزم السابقون الأولون من المهاجرين «حسب المدعى».

عجيبة إن عمر بن الخطاب إما أنه كان لا يقرأ القرآن ولا يعرف أحكامه ولم يسمع بها وإما أنه يعرف كل ذلك أو بعضه غير أنه أراد أن يتنكر لفضل

---

١ - الكامل لابن الأثير ج٢ ص٩٩ـ ١٠٠ وانظر سيرة ابن هشام ج١ جزء ٢ ص٣٨ وغيرهما.

الأنصار في الآية الكريمة، فقد أخرج أبو عبيد وابن جرير وابن المنذر وابن مردوية عن عمرو بن عامر الأنصاري أن عمر بن الخطاب قرأ: ﴿**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان**﴾ فرفع الأنصار ولم يلحق الواو في الذين فقال له زيد بن ثابت: «والذين» فقال عمر: «الذين» فقال زيد: أمير المؤمنين أعلم فقال عمر: إئتوني بأبي بن كعب فأتاه فسأله عن ذلك فقال أبي: «والذين» فقال عمر فنعم إذن نتابع أبيا)[1] ومقتضى اعتقاد وقراءة عمر يقتضي ما يلي:

١ـ لا فضل للأنصار أصالة وانما بالتبعية للمهاجرين إن أحسن الأنصار.

٢ـ رضى الله عن المهاجرين لا بشرط ورضاه عن الأنصار بشرط الإحسان.

٣ـ لا علاقة للأمة بهذه الآية الكريمة إنما هي خاصة في المهاجرين السابقين وشاملة للأنصار بشرط لا.

والظاهر من الحديث أن عمر أرعوى عن هذا الاعتقاد واقلع عن تلك القراءة الشاذة ـ التي تجهض حقوق الأنصار والأمة إلى يوم القيامة ـ خوفا من غضب الأنصار كما أخرج ابو الشيخ عن أبي أسامة ومحمد بن إبراهيم التميمي قالا:

(مر عمر بن الخطاب برجل وهو يقرأ ﴿**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان**﴾ فوقف عمر فلما انصرف الرجل قال: من أقرأك هذا قال: اقرأنيها أبي بن كعب قال: فانطلق إليه فانطلقنا إليه فقال:

---

١ - تفسير الميزان للطباطباني ج٩ ص٣٨٣ نقلا عن الدر المنثور للسيوطي.

يا أبا المنذر أخبرني هذا أنك أقرأته هذه الآية قال: صدق تلقيتها من في رسول الله قال فقال في الثالثة وهو غضبان:!!.

نعم والله لقد أنزلها الله على جبرائيل (عليه السلام) ولم يستأمر فيها الخطاب ولا ابنه فخرج عمر رافعا يديه الله اكبر الله اكبر)[1].

١ – أكذوبة تحريف القرآن ص٢٦ نقلا عن الدر المنثور للسيوطي ج٣ ص٢٦٩ وانظر تفسير ابن كثير ج٢ ص٣٨٣.

الدليل السادس

السابقون السابقون

قال تعالى: ﴿السابقون السابقون أولئك المقربــــون﴾[١] استدل اخوتنا أهل السنة بهذه الآية الكريمة على عدالة الصحابة ورضى الله عنهم ولعل الخطيب البغدادي من أوائل المستشهدين بها في كتابه الكفاية ونقل عنه ابن حجر العسقلاني في الإصابة ونقل محب الدين الخطيب عن الأول الاحتجاج بها واضعا إياها في حقل آيات اخرى كمقدمة صارخة لكتاب العواصم من القواصم.

أقول: لا أعلم وجه الاستدلال على عدالة الصحابة من هذه الآية الكريمة باعتبارها تخص السابقين منهم فيخرج عامتهم ويدخل في شمولها للسابقين سباق الأمم على أنه سابق هذه الأمة بل سيد سباق الأمم هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كما أخرج الديلمي عن عائشة والطبراني وابن مردوية عن ابن عباس ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (السبق ثلاثة فالسابق إلى موسى يوشع بن نون والسابق إلى عيسى صاحب يس والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب.

واخرج ابو نعيم وابن عساكر عن أبي ليلى ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (الصديقون ثلاثة حبيب النجار مؤمن آل يس قال: يا قوم اتبعوا المرسلين وحزقيل مؤمن آل فرعون قال: أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو أفضلهم).

---

١ – سورة الواقعة،آية ١٠.

وأخرج ابن النجار عن ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مثله)[1].

ونقل ابن كثير عن ابن أبي حاتم... عن ابن أبي نجيح عن ابن عباس في شأن هذه الآية الكريمة ﴿والسابقون السابقون﴾ قال: (يوشع بن نون سبق إلى موسى ومؤمن آل يس سبق إلى عيسى وعلي بن أبي طالب سبق إلى محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم))[2].

ومن أعجب الغرائب وأغرب العجائب أن علماء اخوتنا أهل السنة إذا استدلوا على عدالة الصحابة وضعوا هذه الآية الكريمة في حقل الأدلة بيد أنها لا تنطبق إلا على خصوص السابقين، ولا تعلم هل هذا جهلا أم تجاهلا. على أن عشرات الألوف من الصحابة لم يدعوا هذه المنقبة بل ولا خطر لهم ببال أنهم ﴿السابقون السابقون أولئك المقربون﴾.

فهل احتج معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة والوليد بن عقبة بن أبي معيط ووحشي قاتل الحمزة وأبو الغادية قاتل عمار بن ياسر وغيرهم من أمثالهم، فهل زعم هؤلاء بأنهم من أهل السابقة والفضيلة؟ أم تقولون أدركنا ما فاتهم؟ أو تيقظنا وكانوا من المغفلين؟ وهل موسى جار الله التركستاني وإحسان آلهي ظهير وغيرهما درسوا في الجامعات التي خرجتهم أن تفسير آية السابقين السابقين يعني جميع الصحابة؟ أو أن أسباب نزولها كان كذلك؟ وهل الأزهر الشريف الذي خرج محب الدين الخطيب لقنه ذلك؟ والعتب الجميل على مثل هؤلاء من دعاة العلم في قرن

---

١ - ارسل ابن حجر هذه الاحاديث في صواعقه ارسال المسلمات ص١٢٥.

٢ - تفسير ابن كثير ج٤ ص٢٨٣.

العلم والمعرفة ثم يخضعون أفكارهم لقضايا كلاسيكية مظلمة قذفتنا بها أمواج الأحداث آنذاك فلا تصلح ان تكون قوتا مدخرا.

فلو استدلوا على عدالة الصحابة بما استدل به المازري وابن العماد لأصابوا الحق ورفعوا الحرج وأراحوا الأجيال واحترموا قانون الجرح والتعديل، ولو استدلوا على عدالة الكثير من الصحابة بما استدل به الأستاذ عبد الوهاب عبد اللطيف المساعد بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف لكانوا منطقيين مع أنفسهم.

ونحن نقدر جهود الأستاذ عبد الوهاب وأن باءت بالفشل كونه لم يوفق للحقيقة، ولكنها نوع محاولة تفتح باب التدرج امام العلماء، فلو فعل ذلك الخطيب وظهير والتركستاني لأنصفوا أنفسهم بعض الشيء فالذي يريد ان يخلد كتابه وقوله وفتواه يلتزم بالكتاب والصحيح من السنة ليخلد التأسي به ما خلدا، واليك عزيز القارئ نص الأستاذ عبد الوهاب حيث قال: تطلق العدالة باطلاقات:

١ـ بالمعنى المقابل للجور والظلم فيقال للسلطان «أنه عادل» وتفسر بالإنصاف في المعاملات وإيصال الحقوق إلى مستحقيها.

٢ ـ بالمعنى المقابل للفسق والعصيان وتفسر بما تفسر به التقوى.

٣ ـ بمعنى العصمة وتفسر بالملكة الحاملة على اجتناب الفجور والعصيان وهي التي اتصف بها الأنبياء والملائكة.

٤ ـ بمعنى الحفظ من الذنب والخطأ بلطف من الله دون حصول ملكة وهي ما وصفوا بها الأولياء وأثبتها بعض العلماء، وأجاب عم نسب إليهم أنه لم يصح، وبعض علماء السنة يريد بالحفظ في شأن أهل البيت العصمة كما

يريدها الشيعة في أئمتهم.

٥- بمعنى الحفظ عن الخطأ في الاجتهاد فقط كما ذكره بعض العلماء في شأن المهدي المنتظر.

٦- بمعنى التجنب عن تعمد الكذب في الرواية والانحراف فيها بارتكاب ما يوجب عدم قبولها فلا يقع من الصحابة ذنب أو يقع ولا يؤثر في قبول مروياتهم)[1].

وبهذا تجاوز أستاذ كلية أصول الدين قنطرة التعمية والتعتيم ونهج في البحث طريق التفصيل وتجميع مفاهيم الإطلاقات المرادة من لفظ العدالة للمحدثين، والذي أفهمه من كلام الأستاذ انه اعترف بوقوع الذنب من الصحابة وانهم يفسقون ويجرمون وأغفل الكلام عن اجتهادهم وفرق بين الفسق والكذب حسب المتبادر لذهني، أي ان الفاسق قد يصدق وقد يحرم على نفسه الكذب لا من نلحية تدينيه وانما تجنبا عن خوارم المروءة التي تفرضها عادات صارمة عند الناس ومختلفة بلختلافهم، وهذه الظاهرة شيمة الكثير من أفراد البشرية وبخاصة العرب حيث كانوا يرون الكذب عارا وقتل النفس ظلما فخارا.

وعليه قد يجتمع الصدق والظلم والكفر في كثير من أشخاص البشر، وإلى هنا وبكل صدق فإنني أقدر للإستاذ جهوده كونها نوع محاولة تفتح امام المسلمين باب التصويب تجاه الحقيقة وان لم تدرك من أول مرة فهو بهذا عمل بعمل أهل الحقائق الحرة حتى لم يبق بينه وبينها إلا شبرا أو ذراع فسبق عليه الكتاب فعمل بالتقليد فلم يصل إلى الحقيقة وان كان يرى من نفسه الوصول،

---

١ - حاشية على تدريب الراوي للاستاذ الأصولي عبد الوهاب ج١ جزء٢ ص٢١٥.

واليك البيان في التقرير التالي:

أقول: إعترف الأستاذ بالإطلاقة السادسة بأن الصحابة يقع منهم الذنب ولكنه عصمهم من تعمد الكذب وكأن الكذب قسيما للذنب وليس قسما منه حيث إذا جاز عليهم الذنب فلا يجوز عليهم الكذب، وهي غفلة لابد منها وهكذا شأن المقلدين، وإلا فمن جاز عليه الذنب جاز عليه الكذب ومن جاز عليه الكذب انطبق عليه قانون الجرح والتعديل، والى تعميم هذا القانون ذهب من شيوخ اخوتنا أهل السنة المازري وابن العماد فتأمل.

الدليل السابع

الله حسب المؤمنين

قال تعالى: ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾[١].

استدل الخطيب البغدادي بهذه الآية الكريمة على عدالة الصحابة في كتابه الكفاية عاقدا فصلا خاصا في هذا الشأن ونقل عنه ابن حجر في مقدمة الاصابه ونعته بقوله «فعلا نفيسا» ونقل محب الدين الخطيب عن الأول الاستشهاد بالآية الكريمة في مقدمة غريبة من نوعها على كتاب العواصم من القواصم.

أقول: أليس من ضياع الوقت الثمين ـ وموت الحق المبين وتبرير لأعمال القاسطين والتلاعب بأحكام الدين والتستر على المنافقين والناكثين والمارقين؟ ـ أن يعمد اخوتنا أهل السنة إلى آية من كتاب الله الحكيم نزلت بالبيداء قبل غزوة بدر[٢]ـ خاصة برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن معه آنذاك على قلة عددهم وعددهم حرضهم الله على القتال وأخبرهم بأنه كافيهم وناصرهم على عدوهم «وأن كثرت أعدادهم وترادفت إمدادهم» كما يقول ابن كثير ـ فيعملون حكم تلك الآية الكريمة ليشمل جميع الصحابة فيحملوها ما لا تتحمل ويخضعوها لهدف لم يرضه الله ورسوله والمؤمنون؟!

عجبا من اخوتنا أهل السنة ما الذي يبتغون من وراء ذلك؟ فإن كان القصد من تعميمها الرد على الشيعة وتبرير مواقف الصحابة بلا استثناء

١- سورة الأنفال: آية ٦٤.

٢ - انظر تفسير الميزان ج٩ ص١٢٢ تفسير كنز الدقائق ج٤ ص٩٧ نقلاعن الكشاف للزمخشري ج٢ ص٢٣٤.

فالخطأ واضح؟ إذ لا يساعد عليه سياق الآية ولا أسبابها، على ان معناها هكذا «حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين» بعطف الجملة التالية على كاف النصب، من الأولى[١].

وعليه فلا مطلب وراء التعميم ولا منقبة لمخلوق باعتبار ان المستفاد من الضوابط الكلية والعمومات الشرعية والأوليات العقلية بما هي هي والواقع الخارجي باعتبار الافتقار: أن الله حسب كل الكائنات في شتى مناحي الكون والحياة وحتى لو فسرنا الآية الكريمة بما في تفسير الجلالين ورجحه العلامة في الميزان أن المعنى: «حسبك الله وحسبك المؤمنين» فهذا الحسب خاص بأول معركة كبدر الكبرى ولا يجوز ان نسحبه لما بعدها بدليل ان الفارين منهم ـ في أحد وخيبر والطائف وهوازن ـ لا يجوز ان يكونوا حسب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنهم ناكثون والحسب والنكث لا يجتمعان.

وأما إذا لم يكن لإخوتنا أهل السنة قصد خارج معنى الآية الكريمة فلم الاستشهاد بها في مكان لا يفيد فيه إلا الشواهد العامة وإلا فالآية خاصة ونحن نقول ببراءة وشرف عشرات الألوف من أصحاب رسول الله الكرام (صلى الله عليه وآله وسلم) ورضي عنهم وأرضاهم.

والمعروف الذي لا يغفل عنه ذهن من له أدنى إلمام بالعلم والتاريخ من الباحثين: إن اخوتنا أهل السنة يركبون الصعب والذلول ويتلمسون الشارد والوارد والغث والسمين لتبرير أعمال الذين ابتلوا بالفسق والعصيان من بعض الصحابة، وكل من رام استعلام الحقائق عنهم يكفره البعض فضلا عن التفسيق على رغم أن أغلاطهم على قدم وساق قد ملأت العديد من كتب

١- انظر تفسير ابن كثير ج٢ ص٣٢٤ انظر كنز الدقائق ج٤ ص٩٦ ـ٩٧ في احد وجوه الاعراب الثلاثة.

المسلمين وجاءت مصرحا بها في الكتاب الكريم والسنة المطهرة.

ولا يبعد عنك عزيز القارئ أن تعروك هزة عندما تجد تمرد الكثير من الصحابة في الكتاب والسنة على الكتاب والسنة ابتداء بصحيح البخاري وانتهاء بابن السكن وابن حبان وابتداء بتاريخ ابن جرير الطبري وانتهاء بفريد وجدي وأحمد أمين.

فإذا كان حقا من يتكلم عن الصحابة ينزلق في مهاوي الفسق أو الكفر فلم لا يكفر المحدثون من بخاريهم إلى ابن حبانهم؟ ولم لا يكفر المؤرخون من ابن كثيرهم إلى وجديهم وأمينهم لأن هاتين الثلتين من الناس هم النقلة والمصححون لكثير مما وصم به الكثير منهم.

وبما ان ما في الأرض اجرأ من بريء وأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منح لصاحب الحق مقالا فمقولتنا في هذا البحث التساؤل بما يلي:

١ـ بأي دين سماوي يحل للبخاري وسائر المحدثين التحدث عن مطاعن الكثير من الصحابة ثم يحرم علينا التحدث بما تحدث به؟

٢ـ وبأي قانون من قوانين البشر يحل لابن جرير وابن كثير وابن الأثير وسائر المؤرخين أن يكتبوا طامات الكثير من الصحابة ويحرم علينا كتابة ولو طامة واحدة؟

٣ـ وبأي دستور عقلي يبيح للصحابة والتابعين ان ينقلوا وصمات الكثير من الموصومين لأتباع التابعين واتباعهم ويحظر علينا ان ننقل ولا وصمة واحدة عن موصوم واحد؟

٤ـ وبأي منطق بشري وجدتم أن من يكتب الحديث والتاريخ وينقل في كتابه الألوف من مثالب الكثير من الصحابة فهو مغفور له ومرضي عنه

ولكن من يقرأ ما حدثوا وأرخوا بدقة ويفـهم محتواهمـا فـهو مغضـوب عليـه وحسبه النار والعار!!

٥_ أخي المسلم بالله عليك هل سمعت من أساطير الأولين أو وجدت في تاريخ بشري منصرم ومعوج أو قرأت عن انفلات القانون أو غيابـه في مجتمـع بشري في اعمق العصور الحجرية: إن من يكلم العالم البشري بأسره عن مخازي قوم فهو مأجور وعليه صلوات من ربه ورحمة، وأما من يتكلم أو يتحـدث بعـد السماع فهو موزور وله الويل كل الويل ولا ينتظره إلا التكفير والتفسيق!!

ثم هب انكم قلتم شططا: أن كل ما ورد في كتب الحديث والتـاريخ هـو غير صحيح فما تصنعون بكتاب الله بعد قوله: ﴿**إن الله اشترى مـــن المؤمنـــين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقـاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بـايعتم به وذلك هو الفوز العظيم**﴾[١].

أي ان الله عقد صفقة بيع تجارية، المثمن فيها الجنة والثمن أرواح المؤمنين وأموالهم وبشر الموفين بالفوز العظيم، والى جانب ذلـك هـدد الذيـن ينكثـون البيع لأنـه لا يجـوز لهـم رد المبيـع إلا بـالغبن في الثمـن أو العيـب في المثمـن أو الخيار في المجلـس أو الشـرط بـين المتبـايعين وبيـع الله هنـا مـا فيـه لا غـبن ولا عيب ولا خيار.

فلذلك هدد من يفر من الزحف قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتـم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ۞ ومن يولهم يؤمئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير**﴾[٢].

١- سورة التوبة: آية ١١١.

٢- سورة الأنفال: آية: ١٥-١٦.

ولكن الله تعالى قص علينا أن الصحابة خانوا العهد ونكثوا البيع وولوا الأدبار قال تعالى: **﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾**[1].

ففي هذه الغزوة نكث الأصحاب بأجمعهم بيع الله إلا عليا وبضعة رجال من الهاشميين ومن الأنصار أهل البيعة الثالثة في العقبة حيث بايعوا على الدم والهدم فرجعوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد نداء العباس يا للأنصار يا أهل بيعة العقبة.

ولم يقف أمر الصحابة على نكث البيع وتولي الدبر والفرار من الزحف وجدالهم عند رسول الله في الحق بعد ما تبين واعتراضهم عليه في التخليف والتأمير والغزوة والسرية والحرب والسلم، وإنما تعدوا حدود ذلك إلى الانقلاب على الأعقاب في مواقف منها موقفهم في غزوة أحد فأنزل الله تعالى قوله: **﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أ فإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين﴾**[2].

١- سورة التوبة: آية ٢٥.

٢- سورة آل عمران: آية ١٤٤.

الدليل الثامن

المهاجرون والأنصار

قال تعالى: ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ۝ والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ۝ والذين جاءو من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾[1].

استدل اخوتنا أهل السنة على عدالة الصحابة ورضى الله عنهم أجمعين بتلك الآيات المحكمات، وفسر ابن كثير قوله تعالى: ﴿أولئك هم الصادقون﴾ أي هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم وهؤلاء هم سادات قريش وقوله تعالى: ﴿تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم﴾ أي سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم وقوله تعالى: ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ أي من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح وقوله تعالى ـ في حكاية الذين جاؤا من بعدهم ـ ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين أمنوا﴾ فسرها بقوله تعالى في سورة التوبة: ﴿والذين اتبعوهم بإحسان﴾.

ويا ليتك كنت مع ابن كثير وهو يفسر بآخر الآيات محل البحث لتر أثر البهجة على وجهه وهو ينقل عن مالك بن أنس مؤسس المذهب المالكي قوله: (والأنصار ما استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآيات الكريمة أن

الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم: ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا﴾[1].

وهكذا فالصحابة عدول والرافضة لا نصيب لهم بمال الفيء كما عند مالك (ولا شفعة لهم لأنه لا شفعة إلا لمسلم)[2] كما عند عبد الله بن إدريس أحد أئمة الكوفة.

أخي المسلم لاحظ الآيات محل البحث تجد أن الله قسم المؤمنين ثلاثة أقسام ففي الآية الأولى وصف المهاجرين بالصدق وفي الثانية وصف الأنصار بالفلاح وفي الثالثة وصف الذين جاءوا من بعدهم بالاستغفار للذين سبقوهم داعين الله أن يرفع الغل من قلوبهم أو يجعل قلوبهم على طهارتها لا تشاب بالغل والحسد، وهذا لا يعني أن الصحابة بأجمعهم مهاجرون وأنصار ولا يعني أن الذين جاءوا من بعدهم كلهم مستغفرون وداعون أو كلهم صحابة إذ ليس كل الجائين مستغفرين وليس كل المستغفرين صحابة بناء على أن الجائين من بعدهم هم الذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم القيامة.

المهاجرون

على أن المهاجرين والأنصار ومن بعدهم الذين هم محل المدح، فالآيات الكريمة لا تشملهم إلا على سبيل الغالب وبتعبير أدق لا تشمل إلا المحسنين منهم، وإلا فمن المهاجرين من أسلم وآمن حسب الظاهر وهاجر ائتمنه

١- انظر تفسير ابن كثير ج٤ ص٣٧٧ ـ٣٣٨ـ ٣٣٩.

٢- الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي ص٢٥٨.

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على الوحي ثم ارتد عن الإسلام ولحق بعبادة الأصنام مثل عبد الله بن سعد بن أبي سرح كما ذكرت التواريخ والسير والمعاجم، قال ابن الأثير في كامله: (وكان قد أسلم وكتب الوحي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فكان إذا أملى عليه «عزيز حكيم» يكتب «عليم حكيم» وأشباه ذلك ثم ارتد وقال لقريش: إني اكتب أحرف محمد في قرآنه حيث شئت، ودينكم خير من دينه، فلما كان يوم الفتح فر إلى عثمان بن عفان وكان آخاه من الرضاعة فغيبه عثمان حتى اطمأن الناس ثم احضره عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وطلب له الأمان فصمت رسول الله طويلا، ثم أمنه فأسلم وعاد فلما انصرف قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأصحابه: لقد صمت ليقتله أحدكم فقال أحدهم: هلا أومأت الينا فقال: (ما كان لنبي أن يقتل بالإشارة إن الأنبياء لا يكون لهم خائنة الأعين)[1].

وفي الإصابة عن ابن عباس قال (كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأزله الشيطان فلحق بالكفار... وقال البغوي: له عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حديث واحد وحرفه) وذكره ابن سعد (اي في الطبقات) في تسمية من سكن مصر من الصحابة وهو الذي افتتح أفريقيا زمن عثمان وولي مصر بعد ذلك)[2].

الأنصار

ومن الأنصار من أسلم وآمن ونصر وشهد معركة بدر الكبرى ثم

١- الكامل لابن الأثير ج٢ ص٢٤٩.

٢- الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج٢ ص٣٠٩.

اعقبه الله نفاقا مثل حمامة المسجد «كما يسمونه» ثعلبة بن حاطب الأنصاري، روى قصته قتادة وسعيد بن جبير كما في الاستيعاب للقرطبي المالكي ورواها الباروي وابن السكن وابن شاهين كما في الإصابة لابن حجر العسقلاني ورواها الطبراني وابن مردويه والبيهقي كما في أسباب النزول للسيوطي ورواها الواحدي النيسابوري في أسباب النزول ورواها ابن عباس والحسن البصري وابن جرير وابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير.

وبلحاظ التطابق بين رواية الواحدي وبين الرواية التي ينقلها ابن كثير عن ابن جرير وابن أبي حاتم ـ في اللحاظ والألفاظ وطول القصة ـ آثرنا أن نقتطف عنهما بإختصار محل الحاجة وإليك اختصارها:

(عن أبي إمامة الباهلي عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أنه قال لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ادع الله أن يرزقني مالا... قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ... قال: والذي بعثك بالحق لأن دعوت الله فرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (اللهم ارزق ثعلبة مالا) قال: فاتخذ غنما فنمت.. جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة.. ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة وهي تنمو... حتى ترك الجمعة.. فقال رسول الله: ما فعل ثعلبة فقالوا: تخذ غنما فضاقت عليه المدينة... فقال: (ويح ثعلبة... وأنزل الله جل ثناؤه ﴿**خذ من أموالهم صدقة**﴾ .

ونزلت فرائض الصدقة فبعث رسول الله رجلين... وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما مرا ثعلبة... فخرجا حتى أتيا ثعلبة... فقال: ما هذه إلا جزية... فانطلقا... فلما رآهما (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:

«يا ويح ثعلبة»... فأنزل الله عز وجل ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾)[١].

ولقد حاول ابن حجر في الإصابة أن يجعل ثعلبة هذا غيره بناء على زعم هو نفسه لم يؤمن به لذا قال: والله أعلم.

قلت كفى ابن حجر مؤنة التلجلج ما أورده من حكاية القول: أن رسول الله روى عن ربه في شأن أهل بدر قائلا (لعل الله... اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) راجع الحديث الثامن تحت عنوان حاطب إن شئت.

الذين جاؤا من بعدهم

ومن الذين جاءوا من بعد المهاجرين والأنصار أناس من الصحابة لم يستغفروا للذين سبقوهم بالإيمان فأصبحت قلوبهم مرتعا للغل والحسد للذين آمنوا مثل معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وأمثالهم من الفئات الباغية والقاتلة للصادقين من المهاجرين والمفلحين من الأنصار في صفين وغيرها واللاعنين لآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على المنابر في الخطب والأعياد والمناسبات، انظر الحديث التاسع تحت عنوان علي بن أبي طالب إن شئت.

ولعلك لا تعدم كبير فائدة إن أحسنت الاستماع للنداآت التالية:

١- تفسير ابن كثير ج٢ ص٣٧٤ أسباب النزول للواحدي ص١٤٥.

«نداء» يا عبد الله بن إدريس الكوفي أين أنت وأين اتباعك، أين الذين قالوا: الرافضة ليس لهم في مال الفيئ ولا شفعة لهم فبالله عليك اخبرني لمن مال الفيء وحق الشفعة؟

«نداء» يا مالك بن أنس افتني بشرع الله ليطمئن قلبي، فهذا ابن هند وابن النابغة ومن لف لفهم لم يستغفروا للذين سبقوهم بالإيمان فهل حرمتم عليهم مال الفيئ ولا شفعة لهم؟

«نداء» يا ابن كثير اجبني على السؤال التالي: ها هم مئات الألوف من المصريين والشاميين اتباع ابن هند وابن النابغة، ولم يكونوا صحابة ولم يستغفروا للذين سبقوهم بالإيمان واكبر غنمية اغتنموها واعظم فتح فتحوه، أنهم فتحوا مكة المكرمة بحجر المنجنيق حتى هدمت، وفتحوا المدينة المنورة فأباحوا اعراض الصحابيات وبنات الصحابة، وقتلوا المهاجرين والأنصار.

فيا ابن كثير هل حرمتم عليهم حق الشفعة، وفيئ الحرمين الشريفين ام صححتم خلافة معاوية وآله وآل مروان بن الحكم الطريدين من أمثال عبد الملك والوليد وغيرهما من شر خلف لأشر سلف فياليت السماء تدكدكت على الأرض وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الدليل التاسع

رسول الله والذين معه

قال تعالى: ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما**﴾[1].

استدل اخوتنا أهل السنة على عدالة الصحابة ودخولهم الجنة ورضى الله عنهم أجمعين، وتبانوا خلفا عن سلف أن ﴿**من**﴾ في قوله تعالى: ﴿**وعملوا الصالحات ـ منهم ـ**﴾ هي بيانية سيقت لبيان الجنس، فتفيد شمول الوعد لجميع الذين معه (صلى الله عليه وآله وسلم) والصحابة كلهم معه، وعليه فالصحابة عدول وكلهم في الجنة والروافض كفرة «حسب الزعم» قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿**ليغيظ بهم الكفار**﴾ ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمة الله عليه في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة (رضي الله عنهم) قال: (لأنهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر لهذه الآية ووافقه طائفة من العلماء رضي الله عنهم على ذلك)[2].

أقول: ما زلنا نعلم يقينا أن الصحابة سلفنا ولنا بهم ماض مجيد وأقل ما يقال فيهم أن المهاجرين تركوا المال والولد وأن الأنصار آووا ونصروا فضلا

١- سورة الفتح،آية ٢٩.

٢- تفسير ابن كثير ج٤ ص٢٠٤.

عن إلتفافهم حول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومؤازرتهم له بعد أن آزر شطئهم فحفظ الله بأسيافهم الإسلام من خطر الإنهيار، وتعاهدوا لنا القرآن الحكيم، ونقلوا إلينا السنة المطهرة وخلدوا لنا تراثا عربيا وإسلاميا لا تكاد تملكه أمة من الأمم، تالله هذا ما تدين به الشيعة ولا يختلف فيه إثنان.

ولكن أخي المسلم هذا شيء وكون الصحابة كلهم يتمتعون بهذه الشمائل او بعضهم شيء آخر، وبكلمة هل الصحابة كلهم رحماء بينهم؟ وهل جميعهم ركع سجد لا يريدون بذلك الا رضى الله؟ وهل الموصوف مع رسول الله في التوراة والإنجيل «١٢٤» ألف صحابي حسب إحصائيات أبي زرعة الرازي وما إلى غير ذلك؟

فالشيعة يبحثون من هذه الجهة جهة الكل والبعض بحثا جديا ومجديا طلبا للحقيقة، وذبا عن الشريعة وصونا للعقيدة من منزلقات الانحراف وسيرا على وفق مستلزمات الدين، ولأن المبادئ يجب أن لا تصدر عن تقليد أعمى أو ردود أفعال أو انفعال نفسي، ولا عن ضغوط أو تأثير انتمائي، باعتبار أن المبادئ هي القناعات الفكرية التي أنتجتها عصارة الرؤية المتأملة من عقول صرفة وحرة متأهلة عادلة وفاحصة في الأدلة لا يخضعها إلا الحق، وهذا شأن الباحثين ولا حجر، وعلى هذا الأساس القويم نلخص البحث في الفقرات التالية:

هب أننا آمنا بأن الصحابة كلهم أشداء على الكفار رحماء بينهم إلى آخر النعوت فماذا ينتظرنا إلا تكذيبنا للواقع وتكذيبه لنا بقسميه الموضوعي والتاريخي والأمثلة على ذلك كثيرة.

المثال الأول

ما رواه البخاري (أن أبا قتادة قال: لما كان يوم حنين نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلا من المشركين وآخر من المشركين يختله من ورائه ليقتله فاسرعت إلى الذي يختله فرفع يده ليضربني واضرب يده فقطعتها.. وانهزم المسلمون وانهزمت معهم.

فإذا بعمر بن الخطاب في الناس فقلت له ما شأن الناس قال: أمر الله..)[١].

وروى مسلم عن العباس (قال العباس شهدت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله فلم نفارقه ورسول الله على بغلة له بيضاء... فلما إلتقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يركض بغلته قبل الكفار قال عباس وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: أي عباس ناد أصحاب السمرة .

قال عباس: «وكان رجلا صيتا» فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة قال: لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا: يا لبيك يا لبيك فقال: فاقتتلوا والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج يا بني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)... إلى قتالهم فقال: هذا حين

١- صحيح البخاري ج٣ ت د بغا كتاب المغازي ص١٤٦٤ ح ٤٠٦٧.

حمي الوطيس...)[1].

وروى ابن اسحق عن ابن عباس (قال رسول الله... حين رأى ما رأى من الناس أين أيها الناس فلم أر الناس يلوون على شيء فقال: يا عباس اصرخ يا معشر الأنصار... فأجابوه لبيك لبيك... فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم على بعيره ويخلي سبيله فيؤم الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى إذا اجتمع اليه منهم مئة استقبلوا الناس فاقتتلوا وكانت الدعوة أول ما كانت: يا للأنصار ثم خلصت أخيرا يا للخزرج وكانوا صبرا عند الحرب.. فقال: الآن حمي الوطيس) وقال ابن اسحاق أيضا: (بينما ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جمله يصنع ما يصنع إذ هوى له علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه قال: فيأتيه علي بن أبي طالب من خلفه فضرب عرقوبي الجمل فوقع على عجزه ووثب الأنصاري على الرجل فضربه أطن قدمه بنصف ساقه فانجعف عن رحله قال: واجتلد الناس فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله) قال: والتفت رسول الله إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان ممن صبر يومئذ مع رسول الله.. وهو آخذ بثغر بغلته فقال: من هذا؟ قال: أنا ابن أمك يا رسول الله)[2].

أخي المسلم عزيزي القارئ انظر هداك الله في حديث البخاري آنف الذكر يخلص لك ما يلي:

١ ـ تجد أن جيشا عدده أثنا عشر ألف صحابي انهزم لينجو بنفسه

١- صحيح مسلم بشرح النووي ج٦ جزء ٢ ص١١٣ ـ١١٥ ـ١١٦.

٢- سيرة ابن هشام ج٢ جزء ٢ ص٥٢.

لا يلوي على شيء تاركا محمدا ودينه هدفا للكافرين وطعمة سائغة لهم في أشد حمي الوطيس واحلك الظروف واصعبها.

٢_ وتجد بنفس الحديث أن عمر بن الخطاب الذي مضى على إسلامه اثنا عشر عاما تقريبا ينهزم كما ينهزم أبو سفيان والد معاوية الذي مضى على إسلامه اثنا عشر يوما تقريبا.

٣_ وتجد بنفس الحديث أن عمر بن الخطاب يحيل امر الهزيمة إلى الله ويضع نفسه ومن معه في عداد الأبرياء وكأنهم لم ينقضوا موثقا ولم ينكثوا عهدا ولم يبايعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في صلح الحديبة على الموت أو على ان لا يفروا كما قال تعالى ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفس**﴾[1].

ثم انظر رعاك الله بعد ذلك في حديث مسلم يخلص لك ما يلي:

٤_ تجد أنه لم يبق مع رسول الله إلا أهله مستميتين حوله.

٥_ وتجد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر عمه العباس أن ينادي بنداء المستغاث ويجعل المستغاث به الأنصار وكأن المهاجرين لم يكونوا فنادى العباس (للأنصار يا اهل بيعة العقبة) كما في بعض الروايات، وكان عددهم ليلة العقبة سبعين، فأجاب النداء من حضر منهم بقوله: يا لبيك يا لبيك ولكن المهاجرين ولوا الدبر لا يلوون على شيء.

ثم انظر الثالثة في حديث ابن اسحق من سيرة ابن هشام يخلص لك ما يلي:

١_ تجد أن راجعة الناس بعد نداء العباس نحو مئة رجل كلهم الأنصار

١- سورة الفتح:آية ١٠.

ومعظمهم أهل بيعة العقبة الذين بايعوا رسول الله على الدم والهدم فجزاهم الله عن الإسلام كل خير.

٢ـ تجد أن عليا بن أبي طالب توسط الوطيس وضرب عرقوبي الجمل فأطاح بالراية فمزق الله الكافرين.

٣ـ وتجد أن رسول الله لهول ما أصابه من هزيمة الصحابة وأنهم أسلموه للأعداء وكادت أن تدور الدوائر على الدين وصاحبه (صلى الله عليه وآله وسلم) كل ذلك جعل عيني رسول الله لا تدرك معرفة الناس.

٤ـ وتجد أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أضحى وعيناه لا تدرك أقرب الناس إليه لهول الموقف فصاح بأبي سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب وهو آخذ بثغر بغلته قال: من هذا؟ قال: أنا ابن أمك يا رسول الله.

أخي المسلم باعتبارك تؤمن بأن الصحابة كلهم أشداء على الكفار رحماء بينهم فبماذا تفسر ظاهرة الهزيمة كحدث تاريخي يهز الضمائر ويزعزع القلوب؟ وقد أثبته الله تعالى بقوله: ﴿ **ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين** ﴾[1].

فهل تجد في الهزيمة معنى الشدة على الكفار والرحمة بينهم؟.

وهل المتلبسون في الهزيمة حين التلبس أشداء على الكفار رحماء برسول الله؟

أم أشداء على رسول الله رحماء بأنفسهم؟

وهل هم في توليهم الأدبار موفون بالعهد أم ناكثون؟ أفتونا رحمكم الله.

ثم أسألك ثانية بالله عليك أن لا تبخل علينا بما لديك من علم فهل

١- سورة التوبة آية ٢٥.

الشدة على الكفار في حال السلم والمعاهدة بأن نعتـدي علـى الذمـي والمسـالم فنظلمهم ونضيق عليهم ونسلبهم حقوقـهم؟ ـ وهـذا مـا لا يقـول بـه مسـلم ولا يقبله منطق الإسلام ـ أم الشدة على الكفار في النفير الذي يقرع القلـوب في ساحات القتال عند اصتكاك الأسنة وحمي الوطيس؟

وا عجباه فإذا كان الشدة على الكفار لا تكون إلا في ساحات المنايـا فـلا لوم ولا تثريب إن قلنا ليس كل الصحابة منـهزمين وليـس المنـهزمون بأشـداء على الكفار.

المثال الثاني

ليس كل الصحابة مؤمنين يبتغـون فضـلا مـن الله ورضوانـا وان كـانوا ركعا سجدا وذلك بإجماع الأمة حيث يوجد فيهم المنافقون والشكاكون والمؤلفة قلوبهم وضعفاء الإيمان وهؤلاء كلهم كانوا يصلون في الظاهر مثل المؤمنين حقا حفاظا منهم على أنفسهم من خطر الافتضاح لا إيمانا بنبوة محمد (صلـى الله عليـه وآله وسلم) ولا ابتغاء لرضوان الله، ولا أفضل من الأدلة التالية:

١ـ قال تعالى: **﴿ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مـردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾**[١] وكانوا إذا خلوا بأنفسهم عضوا على رسول الله والمؤمنين الأنامل من الغيظ على رغم أن مسجد رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) يضيق بهم والكثير منهم غزاة في الكثير من المشاهد.

٢ـ ولربما كانت أعدادهم لا تقل عن نصف الصحابـة بدليـل مـا رواه مسلم والبخاري واللفظ للأول: أن أنسا «ر» قال: (قيـل للنبـي (صلـى الله عليـه

١- سورة التوبة:آية ١٠١.

وآله وسلم) لو آتيت عبد الله بن أبي فانطلق إليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وركب حمارا فانطلق المسلمون يمشون معه وهي ارض سبحة فلما أتاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: إليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه فغضب لكل منهما أصحابه فكان بينهما ضرب الجريد والأيدي والنعال فبلغنا أنها نزلت **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما﴾**[١].

فانظر رحمك الله في هذه الواقعة تجد أن الله تعالى سمى المنافقين مؤمنين لأنهم يتشهدون ويصلون وكانوا مؤمنين بألسنتهم وحسابهم على الله، ولو استمر قتالهم إلى ان يجتمع إليهم أهل المدينة بأجمعهم لوجدت أن الصحابة الذين يصفون مع فئة المنافقين ليسوا بأقل من الذين ينصرون رسول الله وطائفته.

٣- يشهد لكثرة المنافقين وأنهم نصف الصحابة أو يزيديون ـ ارتداد العرب بعد موت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا المدينة المنورة وكذا مكة المكرمة بسبب سهيل بن عمرو وقليل من الناس. وعلى هذا الأساس نشأت الحروب في عهد أبي بكر وسنتطرق إلى الموضوع في محله من البحوث القادمة إن شاء الله.

١- مسلم ج٦ جزء٢ بشرح النووي باب دعاء النبي ص ١٥٩ البخاري ج٢ ت. د. بغا. كتاب الصلح ح٢٥٤٥ ص٨٩٧.

المثال الثالث

ليس كل الصحابة موصوفين في التوراة والإنجيل بل الموصوفون فيها هم الأشداء على الكفار بأسيافهم، ورحماء بينهم بالعدل في شتى مناحي الحياة، وركعٌ سجّدٌ يبتغون رضوان الله بشرط الإيمان، وإلاّ فالكثير منهم منافقون، ومنهم من لم يَقْتُل في سبيل الله ولم ينزل إلى ميدان ولم يغزُ في سبيل الله، ومنهم من إذا غزا يفر من الزحف، ومن أبرزهم عثمان بن عفان، ومنهم من هو أجبن من اليربوع مثل حسان بن ثابت شاعر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومنهم من لا يحفر غاراً ولا يبيت إلاّ بغار مثل أبي هريرة، ومنهم من توفى رسول الله وهو غاضب عليه مثل وحشي قاتل حمزة، والوليد بن عقبة بن أبي معيط الفاسق وعبد الله بن سعد بن أبي سرح مزوّر القرآن الكريم فكل هؤلاء المذكورين أوصافهم سيئة، وأما الموصوفون في التوراة والإنجيل قبل التحريف هم أصحاب الصفات الحميدة، اللهم إلاّ أن يقال كذلك يذكر فيها السَّيء بإساءته ولا قائل به.

وهل أنت مقتنع أخي المسلم بأن التوراة والإنجيل يصفان «١٢٤» ألف صحابيّ؟ وحتى وإن أكثرهم لا يملك من الصفات الحميدة في واقعه الخارجي؟ وذلك مما لا نستطيع اقتناصه من الكتاب والسنة إلاّ بطرقٍ ملتوية عبّدت تحت الظلام في أحداث مظلمة من عصور سوداء لا يسمح الله بها وتمجها قلوب الباحثين في العلم للعلم.

هذا وإن كان عمر بن الخطاب يصدّق أكاذيب كعب الأحبار عندما أوهم

إليه أنه رآه في التوراة كما روى ذلك المؤرخون ونقل ابن الأثير: أن كعب الأحبار قال لعمر: (يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت في ثلاث ليال قال وما يدريك؟ قال أجده في كتاب التوراة قال عمر «آلله إنك» لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟ قال اللهم لا ولكني أجد حليتك وصفتك فإنك قد فني أجلك قال وكان عمر لا يحس وجعا! فلما كان الغد جاءه كعب فقال له بقي يومان فلما كان الغد جاءه كعب فقال مضى يومان وبقي يوم فلما أصبح خرج عمر إلى الصلاة... ودخل أبو لؤلؤة في الناس وبيده خنجر له رأسان ونصابه في وسطه فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت سرته وهي التي قتلته... ودخل عليه كعب مع الناس فلما رآه عمر قال:

توعدني كعب ثلاثا أعدها ... ولا شك أن القول ما قال لي

وما بي حذار الموت إني لميت ... ولكن حذار الذنب يتبعه

ودعي له طبيب من بني الحرث بن كعب فسقاه نبيذا فخرج غير متغير فسقاه لبنا فخرج كذلك أيضا فقال له: اعهد يا أمير المؤمنين... ولما احتضر ورأسه في حجر ولده عبد الله قال:

ظلوم لنفسي غير أني مسلم ... أصلي الصلاة كلها وأصوم[1]

فتأمل.

المثال الرابع

قول إخوتنا أهل السنة بأن «من» في قوله تعالى: ﴿**وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم**﴾ بيانية سيقت لبيان الجنس ـ فتفيد شمول الوعد لجميع

١- الكامل لابن الاثير ج٣ ص٥٠-٥١-٥٢.

الصحابة ـ هو غلط زلت به أقدام القوم لتبرئة الصحابة حتى ولو على حساب معاني الحروف الموضوعة لها والمتقومة بغيرها في سياق الجمل لإبراز المعنى المراد، وحتى ولو على حساب مزاحمة الكتاب والسنة وإليك مثال الحرف «من» لبيان الجنس:

قال الزركشي في البرهان: «وقيل هي أن يذكر شيئا تحته أجناس والمراد أحدهما فإذا أردت واحدا منها بينته كقوله تعالى: ﴿**فاجتنبوا الرجس من الأوثان**﴾[1] وغيرها فلما اقتصر عليه لم يعلم المراد فلما صرح بذكر الأوثان علم أنها المراد من الجنس وقرنت بـ «من» للبيان فلذلك قيل أنها للجنس وأما اجتناب غيرها فمستفاد من دليل آخر والتقدير اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان أي اجتنبوا الرجس الوثني فهي راجعة إلى معنى الصفة»[2].

فتش يرحمك الله في الآية الكريمة التي نحن بصددها ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما**﴾[3] فهل تحس أو تجد أجناسا يريد الله أن يبين منها الجنس المراد؟ وهو الصحابة أجمعين؟

ثم إذا كانت «من» للبيان هنا فهي تحصيل حاصل لأن الذين مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مبينون ومخصوصون بالوصفية والمعية وهم جميع

١- سورة الحج:آية ٣٠.

٢ - البرهان في علوم القرآن للزركشي ج٤ ص٤١٧.

٣- سورة الفتح:آية ٢٩.

الصحابة «حسب الزعم» بدليل أن ضمير الجماعة بعدها يعود إليهم.

ثم إذا كانت «من» بيانية هنا فلم يشترط القرآن الحكيم الإيمان والعمل الصالح على رغم أنهم بأسرهم مؤمنون وعاملون «حسب المدعى».

ثم لو اعتبرنا «من» بيانية وجنس الصحابة بين في الواقع الخارجي فمن حق القرآن الحكيم أن لا يبين بمكان غني عن التزيل والإبانة وإنما له أن يقول: ﴿وعدهم الله مغفرة وأجرا عظيما﴾.

ولكن لا جدوى تالله ما اضطركم لهذا إلا لأنكم قلتم أن الصحابة أجمعين عاملون ومؤمنون فلهذا لا يتصور بها التبعيض وهي عثرة لا تقال وزلة ليس بعدها جبر.

المثال الخامس

خير من نترك له الكلام من المتأخرين من أعلام العصر فيلسوفنا الكبير وعالمنا الجليل العلامة صاحب الميزان له من الله الرحمة حيث قال: «ضمير منهم للذين معه و«من» للتبعيض على ما هو الظاهر المتبادر من مثل هذا النظم، ويفيد الكلام اشتراط المغفرة والأجر العظيم بالإيمان حدوثا وبقاء وعمل الصالحات، فلو كان منهم من لم يؤمن أصلا كالمنافقين الذين لم يعرفوا كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾[1] أو آمن أولا ثم أشرك وكفر كما في قوله تعالى ﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى... ولو نشاء لأريناكهم فلتعرفهم بسيماهم﴾[2]أو آمن ولم يعمل الصالحات كما يستفاد من آيات الإفك وآية التبين

١- سورة التوبة:آية ١٠١.

٢- سورة محمد:آية ٣٠ وما قبلها.

في نبأ الفاسق. وقيل أن «من» في الآية بيانية لا تبعيضية ... ومدفوع ـ كما قيل ـ بأن «من» البيانية لا تدخل على الضمير مطلقاً في كلامهم.

وبعد ذلك كله لو كانت العدة بالمغفرة... شملتهم شمولاً مطلقاً من غير اشتراط الإيمان والعمل الصالح وكانوا مغفورين ـ آمنوا أو أشركوا وأصلحوا أو فسقوا ألزمته لزوماً بيناً لغوية جميع التكاليف الدينية في حقهم وارتفاعها عنهم... وقد قال تعالى في أنبيائه: ﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾[1]»[2] والحمد لله رب العالمين.

١- سورة الانعام:آية ٨٨.

٢- تفسير الميزان للطباطبائي ج١٨ ص٣٠١-٣٠٢.

الدليل العاشر

الإنفاق والقتال قبل الفتح وبعده

ومما استدل به اخوتنا أهل السنة على عدالة الصحابة ورضى الله عنهم وأنهم في الجنة هو ما استدلّ به أبو محمد بن حزم كما في الإصابة قال: «الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعاً قال تعالى: ﴿**لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاًّ وعد الله الحسنى**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون**﴾[2].

فثبت ان الجميع من أهل الجنة وأنه لا يدخل أحد منهم النار لأنهم المخاطبون في الآية السابقة»[3].

أقول: لا أدري شيئاً عن ابن حزم هذا فإن كان يريد أن يتعامل مع الصحابة بما هم لذاتهم بعيداً عن أي هدف إلا مرمى الحقيقة فعليه أن يدرس واقعهم بعمق ليأخذ منه صورة واقعية غير مُبْدَلَة فيحتفظ بها في خزانه المدركات ثم يعمد إلى كتاب الله فيدرس عامه وخاصه ومطلقه ومقيده وواقعه وأسبابه ومناسباته ووجوه نظائره وأي الآيتين أسبق المكية أم المدنية وأي الآيتين ـ اللتين تنازعتا حدثاً واحداً ـ أسبق الوعد أم الوعيد وأن يدرس محكمه ومتشابهه وخطاب الواحد بلفظ الجمع، وإطلاق الجمع وارادة الواحد،

١- سورة الحديد:آية ١٠.

٢- سورة الأنبياء:آية ١٠١.

٣- الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج١ ص١٩.

وخطابات التغليب وأنواعه، ثم يأخذ صورة لهذا الدستور الأعظم فيحتفظ بها في خزانةٍ أزكى وأطهر من صفحة الذهن بعيدة عن التصحيف والتحريف في عملية اقتناص المعاني وكأنها صورة طبق الأصل عنه وهو في غيب السماء، ثم يفتح نافذة في برزخ الخزانتين يشبه الصراط المستقيم، وثمة يتنازعه حكمان فإما أن يحكم للصحابة على القرآن الحكيم وإما أن يحكم له عليهم.

فإن كان ابن حزم يريد أن يحكم لهم عليه ـ وقد فعل ذلك ـ فمن الطبيعي ان يحكم بما يوافق مذهبه ورأيه وهواه وخصوصاً والقرآن حمال أوجه غير أنه لا يتم له ذلك إلا إذا تفادى اعتبارات الماهية الثلاث والتي قسمها وتحدث عنها علماء الأصول ـ «الماهية بشرط شيء ـ الماهية بشرط لا ـ الماهية لا بشرط» هنالك يأْنُ له أن يطلق أحكاماً غير مسؤولة يعني أنه يعتبر ذوات الصحابة مهملة بقطع النظر عن الإيمان بالله والعمل الصالح عدا اعتبار واحد هو أنهم صحابة.

على أننا لولا مخافة الله لصنعنا كصنيع ابن حزم، هذا فما قوله إلا كقول القائل: الصحابة كلهم من أهل النار قطعاً قال الله تعالى: ﴿**ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم**﴾[1] وقال تعالى: ﴿**فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله**﴾[2] وقد فسرت الأحاديث ان ويل وادٍ في جهنم، فثبت أن الجميع من اهل النار وأنه لا يدخل الجنة أحد منهم لأنهم المخاطبون في الآية السابقة وفيما يلي نقض سفسطة ابن حزم بسفسطة مثلها:

«قول ابن حزم»: «الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعاً».

١- سورة الحديد:آية ١٦.

٢- سورة الزمر:آية ٢٢.

«قول القائل» الصحابة كلهم من أهل النار قطعا» قال الله تعالى: **﴿لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى﴾**.

﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتو الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم﴾.

«وقال تعالى»: **﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾**.

«وقال تعالى»: **﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾**.

«فثبت أن الجميع من أهل الجنة وأنه لا يدخل أحد منهم النار لأنهم المخاطبون في الآية السابقة»

«فثبت أن الجميع من أهل النار وأنه لا يدخل أحد منهم الجنة لأنهم المخاطبون في الآية السابقة»

فانظر أخي المسلم ـ يرحمك الله ـ إلى أكذب فتوتين في تاريخ الكاذبين ـ هما قول ابن حزم وقول القائل ـ تجدهما متفقين من حيث استنباط الحكم الكاذب ومختلفين في السلب والإيجاب فهما كما تقول القاعدة العلمية: لكل فعل رد فعل يساويه في القوة ويعاكسه في الإتجاه.

ولكنني اعتقد جازما ان فتوى ابن حزم وقول القائل كلاهما كذب صراح عند العلماء الذين يخافون الله ومغالطة موهمة عند العوام وسفسطة واضحة عند العقلاء.

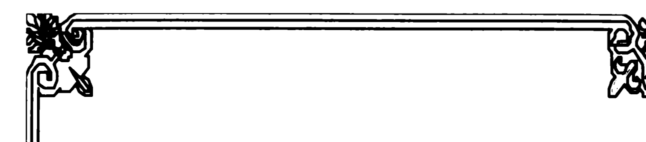
عزيزي القارئ تعال معي نستنطق طائفة من آي الذكر الحكيم لترسم لنا طريقا قرآنيا وترفدنا بحكم لا يمكن لمسلم أن يتجاهله ثم نعود لفتوى الشمول الحزمية، وقبل الخوض في البحث علينا أن نعلم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقبل من الناس ان يقولوا: لا إله إلا الله وأن محمدا رسول

الله، ثم يعلمهم أحكام الإسلام وهي كلمة طيبة تحقن بها الدماء وتصان بها الأعراض وتحفظ بها الأموال كما اخرج البخاري ومسلم واللفظ للأول قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله)[1].

وكان رسول الله يجزل العطاء لتأليف القلوب وأن الله سبحانه جعل سهما للمؤلفة قلوبهم حتى أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن قسم غنائم حنين سأل عن مالك بن عوف فقيل له بالطائف فقال: (اخبروه إن أتاني مسلما رددت عليه أهله وماله واعطيته مائة بعير فأخبر مالك بذلك فخرج من الطائف سرا ولحق برسول الله فأسلم... واستعمله (صلى الله عليه وآله وسلم) على قومه وعلى من أسلم... فأعطاه أهله وماله ومائة بعير...)[2] وهكذا كان رسول الله يقبل من الناس إسلامهم الظاهري أما الإيمان فشيء يتعلق في القلوب وإليك ما وعدنا بإيراده.

١- البخاري ج٢ ت د بغا ح٢٧٨٦/ ص٩٩٢ - ٩٩٣ مسلم بشرح النووي ج٢ جزء ١ ص٢١٠.

٢- الكامل لابن الأثير ج٢ ص٢٦٩ سيرة ابن هشام ج٢ جزء ص٩١.



الفصل الرابع

أقسام الصحابة

الصحابة من الطراز الرابع

المنافقون

كان المنافقون مبثوثين بين المؤمنين ولهم أعداد هائلة هي على مقربة من نصف الصحابة والمعروف منهم بالاسم في عصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يتجاوز نسبة ١٪ ولك أن تتعرف أشخاصهم بالوصف ـ إذا حدث كذب ـ إذا وعد أخلف ـ إذا أتمن خان ـ إذا عاهد غدر ـ إذا شاجر فجر ـ وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعرف بعض أشخاصهم بالاسم وبعضهم بسيماهم وبعضهم بلحن القول وبعضهم ببغض علي بن أبي طالب(عليه السلام) كما أخرج مسلم في أبواب الإيمان عنه قال: (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد الأمي (صلى الله عليه وآله وسلم) الي أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق)[1] ومما يدل على كثرة المنافقين ما يلي:

١ـ استنفر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الأعراب من قبائل جهينة ومزينة وغفار أشجع واسلم ودئل فلم ينفروا وذلك في عام ست للهجرة في غزوة الحديبية وبعد أن قفل رسول الله راجعا أنزل الله تعالى سورة الفتح وأنزل فيها: ﴿**سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم... وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا** ﴾[2].

لا مناص من دلالة الآيات الكريمة على نفاق ستة قبائل من الأعراب وإن كانوا صحابة ينطقون بالشهادتين ويؤدون الصلوات الخمس

١- مسلم بشرح النووي ج١ جزء٢ ص٦٤.

٢- سورة الفتح:آية ١١-١٢.

إلا ما شاء الله.

٢_ قال تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾[١] قال مجاهد: نزلت في بني أسد ابن خزيمة أوردها البخاري في صحيحه في أول كتاب الإيمان تحت باب «إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل».

دلت الآية الكريمة على أن بني أسد ينافقون ويفخرون باستسلامهم خوف القتل كما يقول البخاري ويفترون على رسول الله الكذب بأنهم مؤمنون ولما يمارس الإيمان أي قلب من قلوبهم والله العالم هل تذوقوه بعد ام لا.

٣_ قال تعالى: ﴿الأعراب أشدُّ كفراً ونفاقاً﴾[٢] هذه الآية الكريمة عامة في الأعراب يخصِّصها قول الله تعالى: ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون﴾[٣] وفي مقابل ذلك قوله تعالى: ﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر﴾[٤].

فالآية الأولى دلت على الشمول والثانية شهدت على البعض بالنفاق والثالثة شهدت للبعض الآخر بالإيمان مما يدل على أن النفاق استكن في قلوب بعض الأعراب.

٤_ قال تعالى: ﴿ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾[٥].

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿مردوا على النفاق﴾ أي مرنوا

١- سورة الحجرات: آية ١٤.

٢- سورة التوبة: آية ٩٧.

٣- سورة التوبة: آية ١٠١.

٤- سورة التوبة: آية ٩٩.

٥- سورة التوبة: آية ١٠١.

واستمروا عليه ومنه يقال شيطان مريد ومارد، وقد كان يعلم أن في بعض من يخالطه من أهل المدينة نفاقاً، وإن كان يراه صباحاً ومساءً، وشاهد هذا ما رواه الإمام احمد في مسنده... عن مطعم بن جبير.... قال: قلت: يا رسول الله إنهم يزعمون أنه ليس لنا أجر بمكة فقال: (لتأتينكم أجوركم ولو كنتم في جحر ثعلب) ـ ثم راجعنا مسند احمد فوجدناه هكذا «في حجر» بدلاً من جحر ـ وأصغي الي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) برأسه فقال: (إن في اصحابي منافقون)[1]... و... عن أبي الدرداء ان رجلاً يقال له حرملة أتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: (الإيمان ههنا وأشار بيده إلى لسانه والنفاق ههنا وأشار بيده إلى قلبه ولم يذكر الله إلا قليلاً فقال رسول الله: (اللهم اجعل له لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وارزقه حبي وحب من يحبني وصيّر أمره إلى خير) فقال: يا رسول الله إنه كان لي أصحاب من المنافقين وكنت رأساً فيهم أفلا آتيك بهم؟ قال: «من أتانا استغفرنا له ومن أصر فالله أولى به ولا تخرقن على أحد ستراً» قال وكذا رواه أبو أحمد الحاكم)[2].

أمعن النظر ـ يرحمك الله ـ في الآية الكريمة وما بعدها من النصوص النبوية تجد أن المنافقين كثرة كثيرة وأن المدينة تعج بهم عجاً وأنه لا يُعْرَف منهم إلا القلة القليلة وأنهم تمرنوا على النفاق حتى استولى على قلوبهم وجرى فيها مجرى الدم من العروق وأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يريد ان يهتك على أحد ستراً إلاّ إذا خان أو غدر وأنه لو كشف الستر عنهم لاَنْفَض من حوله مئات بل الوف الناس وأن الذين مردوا على النفاق

١- مسند أحمد ج٥ رقم ح ١٦٣٢٣ ص٤٠.

٢- تفسير ابن الكثير ج٢ ص ٣٨٤.

هم غير عبد الله بن أبي بن سلول لأن النبي يعلمه والآية الكريمة تقول: (لا تعلمهم) هذا كله يدل على أن اعدادهم في المدينة لا تقل عن نسبة النصف والله اعلم.

١ـ في عام ثمانية للهجرة غزا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مكة المكرمة ففتحها بلا قتال ودخل مشركوا قريش في دين الله استسلاما للواقع المفروض فعاشوا منافقين اكثر من سنتين ولما توفي رسول الله اعلنوا الردة كما فعل غيرهم من العرب فقام سهيل بن عمرو خطيبا (... ثم قال والله وأني اعلم أن هذا الدين سيمتد امتداد الشمس في طلوعها فلا يغرنكم هذا «يريد أبا سفيان» من أنفسكم فإنه يعلم من هذا الأمر ما اعلم ولكنه قد ختم على قلبه حسد بني هاشم... وقد جمعكم الله على خيركم «يريد أبا بكر» وأن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه فتراجع الناس عما كانوا عزموا عليه)[1].

هذا كله يدل على أن أكثر أهل مكة ـ تباعا لزعيمهم أبي سفيان ـ منافقون.

٢ـ قال الله تعالى إخبارا عن سيد المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول ومن معه من مردة النفاق: **﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾**[2].

في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق قال ابن اسحق... فبينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مقيم هناك اقتتل على الماء جهجاه بن جعيد

١- نور اليقين للخضري ص١٣٨ ـ ١٣٩.

٢- سورة المنافقون: آية ٨.

الغفاري وكان اجيرا لعمر بن الخطاب وسنان بن يزيد.... ازدحما على الماء فاقتتلا فقال: سنان يا معشر الأنصار وقال جهجاه يا معشر المهاجرين.... قال: «اي عبد الله بن أبي بن سلول» قد ثاورونا في بلادنا والله ما مثلنا وجلابيب قريش إلا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم اقبل على من عنده وقال: هذا ما صنعتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها فسمعها زيد بن أرقم... فذهب بها إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو غليم وهو عنده عمر بن الخطاب... فقال عمر... يا رسول الله مر عباد بن بشر بضرب عنقه فقال رسول الله: «فكيف إذا تحدث الناس يا عمر أن محمدا يقتل أصحابه؟ لا ولكن ناد يا عمر في الرحيل»... ونزلت سورة المنافقين)[1].

واخرج البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله الأنصاري يقول (كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فسمعها الله رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «ما هذا» فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «دعوها فإنها منتنة» قال جابر: وكانت الأنصار حين قدم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اكثر ثم كثر المهاجرون بعد فقال عبد الله بن أبي: أوقد فعلوا والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فقال عمر بن الخطاب... دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال النبي (صلى الله عليه

١- تفسير ابن كثير ج٤ ص٣٧٠.

وآله وسلم): «دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه»[١].

نستخلص من هذه الحادثة ـ التي أثبتها القرآن الكريم وذكرتها السنة المطهرة ـ أن سيد المنافقين وأصحابه هموا بما لم ينالوا وإن دلت الحادثة على شيء فإنما تدل على أن أصحاب ابن سلول كانوا في جيش رسول الله وفي المدينة كثرة كثيرة غير أن الوحي افتضح سيدهم على الطريق ومن ناحية أخرى أنه مهما كثر المنافقون من أصحابه وجأر بوق الإرجاف سقط من فوره تحت الأقدام لأن عشيرته الأقربون منهم السابقون الأولون (رضي الله عنهم)، فلا يفيده منافقوا القبائل من الأعراب.

وعليه لو لم يكن المنافقون يناهزون المؤمنين عددا لما هم ابن سلول بإخراج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

١- البخاري ج٣ ت د بغا ح٤٦٢٤ ص١٧٥٦.

الصحابة من الطراز الثالث

الشكاكون

هناك طائفة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منافقون غير أنهم لم يقطعوا بكذبه أو صدقه (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم يشكون ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿**وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون**﴾[1] إلا انهم أقل خطرا على المؤمنين من أهل الطراز الرابع وإليك أخي المسلم مثالا على ذلك:

ثعلبة

قال الله تعالى: ﴿**ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه**﴾[2].

نزلت هذه الآية الكريمة في شأن ثعلبة بن حاطب الأنصاري بعد أن امتنع عن إخراج الزكاة وكان بدريا، والعامة يسمونه حمامة المسجد، وروى قصته جمع من المحدثين ذكرناهم في الدليل الثامن تحت عنوان الأنصار فراجع.

وملخص الحادثة أن ثعلبة سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يدعو له بالرزق فدعا له واتخذ غنما نمت وتكاثرت فتشاغل بها فترك بعض الصلوات جماعة ثم تركها إلا يوم الجمعة ثم ترك الجمعة وارتحل عن المدينة

١- سورة التوبة:آية ٤٥.

٢- سورة التوبة:آية ٧٥-٧٧.

ولما جاءه السعاة من قبل رسول الله امتنع عن دفع الزكاة فأنزل الله في شأنه الآية الكريمة.

وفي آخر الرواية التي يوردها ابن كثير في تفسيره عن ابن جرير وابن ابي حاتم تجد ما يلي:

«قال وعند رسول الله رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال: (ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فسأله أن يقبل منه صدقته فقال: إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو على رأسه التراب فقال له رسول الله: «هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني»... فقبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يقبل منه شيئا ثم أتى أبا بكر... وأبى أن يقبلها... فلما ولي عمر... أتاه... ولم يقبلها فلما ولي عثمان ... أتاه ... فلم يقبلها منه فهلك ثعلبة في خلافة عثمان»[1].

ومن الغريب المبهت أن اخوتنا أهل السنة حكموا لأهل موقعة بدر في الجنة وأن النار لا تمس جلودهم حتى وإن غيروا وبدلوا وفعلوا ما شاءوا، وصححوا أحاديث في هذا الشأن كما في صحيحي البخاري ومسلم واللفظ للأول قال: رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في شأن جناية حاطب بن أبي بلتعة:

«أليس من أهل بدر؟ قال: لعل الله إطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم»[2] ومعنى فتوى رسول الله

١- تفسير ابن كثير ج٢ ص٣٧٤.

٢- البخاري ج٣ ت د بغا ح ٣٧٦٢ ص١٣٥٧ مسلم بشرح النووي ج٨ جزء٢ ص٥٦.

هذه أن أهل بدر لا تثريب عليهم وإن خانوا الله ورسوله فسيان إن صدقوا وإن كذبوا، هذا هو مؤدى الحديث سواء اعترف به أخوتنا أم لا وحاشا رسول الله من ذلك.

فيا ليت شعري فعلى أي قاعدة ارتكز هذا الحديث؟ وعلى أي أساس قام عليه هذا الحكم؟ وهذا ثعلبة، ألم يكن من أهل بدر؟ فلم لم يتجاوز الله ورسوله عنه عندما امتنع من دفع الزكاة؟ بل أخبر عنه في القرآن الحكيم أن قلبه تورث نفاقا قال تعالى: ﴿**فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون**﴾[1].

فهل القرآن الحكيم ـ نسى أم سهى؟ ـ غفل أم تغافل؟ ـ أن هذا الرجل من أهل بدر والمفروض أنهم يصنعوا ما شاؤا «حسب الزعم» والله جابر عثرات المسلمين!!.

١- سورة التوبةآية ٧٧.

الصحابة من الطراز الثاني

ضعفاء الإيمان

قال العلامة صاحب الميزان: «إن من مراتب الإيمان ما هو اعتقاد وإذعان غير آب عن الزوال كإيمان الذين في قلوبهم مرض فقد عدهم الله من المؤمنين وذكرهم مع المنافقين»[1].

بدليل قول الله: **﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ﴾**[2].

وفي تفسير الجلالين قوله **﴿في قلوبهم مرض﴾** أي ضعف اعتقاد وقال ابن كثير: (والذي في قلبه شبهة أو حسكة لضعف حاله فتنفس بما يجده من الوسواس في نفسه لضعف إيمانه) وكذلك عدهم الله من المؤمنين قال تعالى: **﴿وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين﴾**[3].

هؤلاء هم ضعفاء الإيمان يسمعون ما يقول المنافقون ـ سماع قبول ـ كما في الجلالين وقال ابن كثير: أي مطيعون لهم ومستجيبون لحديثهم وكلامهم يستنصحونهم وإن كانوا لا يعلمون حالهم فيؤدي إلى وقوع شر بين المؤمنين وفساد كبير.

ومع أن الله ثبط المنافقين عن الخروج مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في غزوة تبوك لئلا يضعوا بين المؤمنين خبالا عن طريق ضعفاء الإيمان

١- تفسير الميزان للطباطبائي ج٩ ص٣٣٣.

٢- سورة الأحزاب:آية ١٢.

٣- سورة التوبة:آية ٤٧.

السماعون للمنافقين، فعلى رغم ذلك نجد أن بعض المؤمنين وفي تلك الغزوة كادوا أن يزيغوا عن دين محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال تعالى: **﴿الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم﴾**[١].

قال ابن كثير: «أي عن الحق ويشك في دين الرسول ويرتاب للذي نالهم من المشقة في سفرهم وغزوهم» .

قلت: اعتذار ابن كثير عنهم بالمشقة والشدة في السفر غير مرضي ولا يلوي على شيء لأن الإيمان إذا استولى على القلب لا تنتزعه مشقات السفر، والصحيح أن كلا من المشقة والشدة كاشف عن عيب القلب وأمارة على ضعف الإيمان وإلا فما علاقة المشقة الجسدية بالإيمان الذي يستكن في القلوب، ولو صح ذلك لكانت المشقة والراحة من اكبر العوامل المساعدة على الكفر والإيمان ولألغيت أدوار القناعات الاعتقادية ولا قائل به.

وبكلمة أن الله تعالى تداركهم بلطفه فحال بين قلوبهم وبين الزيغ فتاب عليهم قال تعالى: **﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة... ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم﴾**[٢].

وذكر الواحدي: (أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما خرج عسكر على ثنية الوداع وحزب عبد الله بن أبي عسكره على ذي حدة أسفل من ثنية الوداع ولم يكن بأقل العسكرين فلما سار رسول الله تخلف عنه عبد الله بن أبي بمن تخلف من المنافقين وأهل الريب فأنزل

١- سورة التوبة:آية ١١٦، ١١٧.

٢- سورة التوبة:آية ١١٧.

الله يعزي نبيه ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا﴾)[١].

فعد النظر في حديث الواحدي وانظر إلى قوله: (لم يكن بأقل العسكرين) مما يدل أن نصف الصحابة الكرام فأكثر في قلوبهم ريب.

١- أسباب النزول للواحدي ص١٤٢.

الصحابة من الطراز الأول

المؤمنون

ونقصد هنا الصحابة الذين احتوت قلوبهم شرف التصديق برسول الله والإذعان بالإيمان، إلا انه لما كان إيمان الملائكة لا يزيد ولا ينقص وإيمان الأنبياء يزيد ولا ينقص وإيمان المؤمن بهم يزيد وينقص كما هو رأي الكثير من الأشاعرة، وعليه فأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المؤمنون منهم على مراتب حيث نعتهم الله بنعوت كثيرة من خلال آيات كثيرة متفرقة من القرآن الحكيم.

ومما نلحظه في كلام الله العلي العظيم أنه كما يذكر لهم صفات حميدة تستحق الوعد كذلك يثبت عليهم في مقابله صفات مذمومة تستحق الوعيد في اكثرها وفي اكثر الأحيان، وإليك اخي المسلم التقسيم التالي نودع فيه بعض الصفات وما يقابلها بقطع النظر عن كون هذا القسم قسما من ذاك أو قسيما له وإلا فالنظر من هذه الجهة يحكم على التقسيم بالخطأ، غير اننا نقصد أن نجري على ما جرى عليه القرآن الحكيم من ذكر صفات المؤمنين منثورة وأخرى تقابلها مما يوجب التريث والتثبت في الحكم لهم وعليهم وهناك تظهر زلة القدم وزلل القول.

١ـ المؤمنون حقا

قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون* الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون*

أولئك هم المؤمنون حقا﴾[1].

قال السيد العلامة الطباطبائي: في ميزانه عند تفسير هذه الآيات الكريمة ما ملخصه: «وهاتيك الصفات الخمس هي وجل القلب عند ذكر الله وزيادة الإيمان عند استماع آيات الله والتوكل وإقامة الصلاة والأنفاق مما رزقهم الله ومعلوم أن الصفات الأول من أعمال القلب والأخيرتان من أعمال الجوارح فإن الإيمان إنما يشرق على القلب تدريجا فلا يزال يشتد ويضاعف حتى يتم ويكمل بحقيقته فأول ما يشرق يتأثر القلب بالوجل ثم لا يزال ينبسط الإيمان وينمو حتى يستقر في مرحلة اليقين **﴿زادتهم إيمانا﴾** .

واذا زاد الإيمان وكمل عرف مقام ربه فالواجب الحق على الإنسان أن يتوكل عليه فيرضى بما يقدر له ويجري على ما يحكم عليه فيأتمر بأوامره وينتهي عن نواهيه **﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾** ثم إذا استقر الإيمان على كماله استوجب ذلك أن ينعطف العبد بالعبودية إلى ربه **﴿الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾** وقد ظهر مما تقدم أن قوله **﴿زادتهم إيمانا﴾** اشارة إلى الزيادة من حيث الكيفية وهو الاشتداد والكمال دون الكمية وهي الزيادة من حيث المؤمنين كما احتمله بعض المفسرين وهو قوله: **﴿أولئك هم المؤمنون حقا﴾** قضاء منه تعالى بثبوت الإيمان حقا فيمن اتصف بما عده تعالى من الصفات».

ويقابل هؤلاء أصحاب القلوب القاسية حيث أن هناك الكثير من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مؤمنون ولكن لا تجل قلوبهم لذكر الله وإذا نزل شيء من القرآن أو تليت آياته لم تلن قلوبهم ولم يزدادوا إيمانا ومصداق ذلك قول الله تعالى: **﴿أ لم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر**

١- سورة التوبة:آية ٢-٤.

الله وما نزل من الحق...﴾[١].

وأخرج مسلم عن ابن مسعود قال: «ما كان بين اسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية... إلا أربع سنين»[٢].

ونقل ابن كثير عن عبد الله بن المبارك بسنده عن ابن عباس قال: «ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة من نزول القرآن فقال: **﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾**»[٣].

٢ـ المؤمنون الصادقون العهد

قال تعالى: **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾**[٤].

ويقابل هؤلاء الناكثون العهد حيث أن هناك الكثير من الصحابة مؤمنون ولكنهم نكثوا عهودهم مع الله ورسوله بعد أن اعطوها في صلح الحديبية كما قال تعالى في سورة الفتح: **﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يَدُ الله فوق ايديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ﴾**[٥] فلم يرعوا عهد الله ورسوله وإنما نكثوه من بعد في غزوة حنين قال تعالى: **﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغنِ عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾**[٦].

١- سورة الحديد:آية ١٦.

٢- مسلم بشرح النووي ج٩ جزء٢ ص١٦٢.

٣- تفسير ابن كثير ج٤ ص٣١٠.

٤- سورة الأحزاب:آية ٢٣.

٥- سورة الفتح:آية ١٠.

٦- سورة التوبة:آية ٢٥.

٣ـ المؤمنون الذين لا يخشون إلا الله

قال تعالى: ﴿انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر أقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يَخْشَ إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾[1].

ويقابل هؤلاء الذين يخشون الناس حيث أن هناك الكثير من الصحابة يخشون الناس أكثر مما يخشون الله قال تعالى: ﴿ألم تَرَ إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب﴾[2].

نزلت هذه الآية الكريمة في عبد الرحمن بن عوف وأصحابه من أمثال سعد بن ابي وقاص وغيره)[3].

٤ـ المؤمنون الذين لا يلهيهم شيء عن ذكر الله

قال الله تعالى: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾[4].

يقابل هؤلاء أهل اللهو والتجارة حيث أن هناك الكثير من الصحابة يحرصون على لهو الحياة اكثر من ذكر الله والصلاة قال تعالى: ﴿وإذا رأوْا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير

١- سورة التوبة،آية ١٨.

٢- سورة النساء،آية ٧٧.

٣- انظر اسباب النزول للواحدي ص٩٥ أسباب النزول للسيوطي على حاشية الجلالين ص٢٣٢ تفسير ابن كثير ج١ ص ٥٢٥ ـ٥٢٦ سنن النسائي ج٣ جزء ٢ أول كتاب الجهاد ص٣.

٤- سورة النور،آية ٣٧.

من اللهو ومن التجارة﴾[1].

٥ـ المؤمنون السابقون في الخيرات

ومنهم الكثرة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ويقابل هؤلاء السابقون في المعاصي في عصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمرتدون الذين سابقوا في الردة بعد موته ومنهم مقتصد لا سابق ولا مرتد وهذا التقسيم ليس وقفاً عليهم وإنما هو جارٍ في هذه الأمة إلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿**فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات**﴾[2].

٦ـ المؤمنون عن الفطرة

هناك الذين آمنوا عن فطرة وإيمان لا عن كفر وشرك وأوثان مثل علي بن أبي طالب حيث اسلم عن فطرة وآمن عن إيمان وتربى في بيت طاهر بلا كفر ولا أوثان ويقابله الكثير.

٧ـ السابقون في الإيمان

مثل علي بن أبي طالب راجع الدليل السادس تحت عنوان ﴿**السابقون السابقون**﴾.

ويقابل هؤلاء «الذين وفدوا على رسول الله في عام عشرة للهجرة في أواخر حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأسلموا ثم ارتدوا بعد وفاته ثم اسلموا رغم أنوفهم حيث جاءوا مأسورين في حروب الردة مثل الأشعث بن

١- سورة الجمعة:آية ١١.

٢- سورة فاطر:آية ٣٢.

قيس الكندي ولقد أخرج مسلم والبخاري حديثه في الصحيح»[١].

٨ ـ المؤمنون الذين لم يغيروا ولم يبدلوا

قال تعالى: **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾**[٢].

ويقابل هؤلاء المغيرون والمبدلون حيث أن الكثير من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مؤمنون ولكنهم يغيرون ويبدلون وفيما يلي بعض أقسام التغيير:

أ ـ تارة يكون التغيير في قلوبهم من اليقين أو الظن إلى الشكوك مثلما شك الكثير من الصحابة في وحي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عند صلح الحديبية ثم دعاهم إلى الإيمان به وطلب منهم البيعة وتأخر عنه بعضهم، لهذا كان الناس يقولون كما في صحيح البخاري: «أن ابن عمر اسلم قبل عمر»[٣].

ب ـ وتارة يكون التغيير في قلوبهم من الإيمان إلى الكفر وهذا ما يعبر الفقهاء والعقيديون عنه بالردة قال تعالى: **﴿وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا﴾**[٤].

قال العلامة صاحب الميزان ما ملخصه: «جعل الانقلاب جزاء للشرط

١- انظر الإصابة لابن حجر العسقلاني ج١ ص٦٦.

٢- سورة الأحزاب:آية ٢٣.

٣- البخاري ج٣ ت د بغا ح ٣٩٥٠ ص١٤٢٨.

٤- سورة آل عمران:آية ١٤٤.

الذي هو موت الرسول أو قتله، افاد ذلك أن المراد به الرجوع عن الدين دون التولي عن القتال إذ لا ارتباط للفرار بموت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو قتله، ويدل على أن المراد به الرجوع عن الدين قوله تعالى: ﴿**وطائفة اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية**﴾ على أن نظير ما وقع في أحد من فرارهم تحقق في غيره كغزوة حنين وخيبر ولم يخاطبهم بمثل هذا الخطاب فمحصل معنى الآية على ما فيها من سياق العتاب والتوبيخ: أن محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس إلا رسول من الله ليس من شأنه إلا تبليغ الرسالة وإنما الأمر لله والدين دينه باق ببقائه فما معنى اتكاء إيمانكم على حياته حيث يظهر منكم أن لو مات أو قتل رجعتم على أعقابكم القهقرى»[1].

ج ــ وتارة يكون التغيير والتبديل في الاعتقاد والأحكام العملية على حساب كتاب الله وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قلت: لم أجد حديثا اجمع واشمل ـ للمقصود مما يكفي مؤنة استعراض الجم الكثير من تغيير بعض الصحابة وتبديلهم لسنن الإسلام ـ من حديث اتباع اليهود والنصارى كما اخرج البخاري ومسلم واللفظ للأول في إحدى الروايتين أن النبي قال لأصحابه:

«لتتبعن من قبلكم شبرا بشبر وذراع حتى لو سلكوا حجر ضب لسلكتموه قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن»[2].

ولم أجد من خلال بحثي بل ولم أسمع عن رجل من الصحابة تحدى التغيير والتبديل ـ سواء كان القلبي منهما أو العملي بأقسامه الثلاثة

١- تفسير الميزان للطباطبائي ج٤ ص٣٧.

٢- البخاري ج٢ ت د بغا ح٣٢٦٩ ص١١٨٧ مسلم بشرح النووي ج٨ جزء٢ ص٢١٩-٢٢٠.

كما مر ـ كمثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وخير شاهد على ذلك ما نقله ابن كثير في تفسيره عن أبي القاسم الطبراني بسنده عن ابن عباس: «أن عليا كان يقول في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): **﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾** والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا والله لئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت والله إني لأخوه ووليه وابن عمه ووارثه فمن أحق به مني»[1].

١- تفسير ابن كثير ج١ ص٤١٠.

عودة إلى الفتوى الحزمية

عزيزي القارئ انظر رعاك الله إلى فتوى ابن حزم في أول الموضوع والتي منح بموجبها الجنة لـ «١٢٤» ألف صحابي وبكل بساطة وارتياح ثم انظر إلى الآيات كيف قسمت أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحكمت للبعض وعلى البعض، ثم ارجع البصر كرتين إلى الفتوى الحزمية تجد وكأنه لم يقرأ القرآن إلا لماما حيث ضرب صفحا عن واقع التاريخ وطوى كشحا عن ذكر آي الذكر الحكيم وأطلق حكما لا يرتكز إلا على التقليد ومصادرة المطلوب.

ثم هب أن ابن حزم هذا تجاهل القرآن الحكيم ـ فأرضى بذلك بعض العامة واستعطف أمراء الجور باكتيال المديح لأسلافهم من ظلمة آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على أن ابن حزم قدم إلى ما عمل أما القرآن الحكيم فخالد وبين أيدينا ـ فأيهما أولى بالاتباع فتواه أم كلام الله ولا شك أن كلام الله هو الحكم الفصل وإذا كان كذلك تعال معي أخي المسلم نتأمل في الآيات التي قرأناها آنفا ثم نجمل الكلام عنها في النقاط التالية:

- ألم نجد أن الله تبارك وتعالى قسم الصحابة إلى أربعة أقسام: منافقون، وشكاكون مترددون، وضعفاء إيمان، ومؤمنون؟
- ألم نعثر على الوثيقة التي شاهدنا عليها بصمات الواقع التاريخي أن المنافقين والشكاكين وضعفاء الإيمان أعدادهم تربوا على النصف من كتلة أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟
- الم نجد أن القرآن الحكيم وصف بعض الصحابة المؤمنين منهم

بوجل القلب وزيادة الإيمان والتوكل على الله والصدق والوفاء بالعهد والخشية من الله ولا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وعن الصلاة ويخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ولم يغيروا ولم يبدلوا والى ما هنالك من الصفات الحميدة؟

■ الم نجد أن القرآن الحكيم وصف البعض الآخر من الصحابة المؤمنين بقساوة القلب وعدم الوجل من الله ولم يحركهم ذكر الله ولم يزدهم إيمانا ولم تخشع قلوبهم وعاتبهم بعد ثلاثة عشر عاما وشكوا في نبوة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحديبية ونكثوا في أحد وخيبر وحنين وأن من ينكث فإنما ينكث على نفسه وأنهم يخشون الناس بأكثر مما يخشون الله ويسخطون من الله عندما فرض عليهم الجهاد وتلهيهم التجارة وحفل الزفاف فيتركون الجمعة ويتركون رسول الله قائما إلا ما رحم ربي ويغيرون ويبدلون في خلجات قلوبهم وفي أحكام الدين وإذا مات رسول الله أو قتل ينقلبون على أعقابهم وأخيرا وصفهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنهم يحذون حذو اليهود والنصارى حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكوه شبرا بشبر وذراعا بذارع؟

■ أم نجد ذلك كله في الآيات آنفة الذكر؟ ثم إذا فاتك التأمل فعد النظر يرحمك الله واحكم بما أنزل الله.

على أن الفتوى الحزمية ـ التي ادخل بموجبها «١٢٤» ألف صحابي واستشهد صاحبها بقوله تعالى: ﴿**لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى**﴾[١] فتوى باطلة بدليل أن الله تعالى وعد بالحسنى في الآية الكريمة بشرط الإنفاق والقتال

١- سورة الحديد:آية ١٠.

ومن المعروف المتسالم عليه بين المسلمين أن الألوف ممن عد من الصحابة لم ينفقوا ولم يقاتلوا قبل الفتح ولا بعده.

وعليه فلا وجه لاعتذار ابن حزم بقوله: إن التقييدات خرجت مخرج الغالب... والمراد الإنفاق والقتال بالفعل والقوة.

■ ثم إذا كان صحيحا فهل عطاء رسول الله لأبي سفيان في حنين ـ أربعين أوقية من الذهب ومائة من الإبل وكذلك لابنيه معاوية ويزيد ليؤلف قلوبهم للإسلام ـ فهل ينقلب من إنفاق عليهم إلى إنفاق منهم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقوة؟!

وهل إنفاق رسول الله للعباس بن مرداس وعيينة بن حصن وصفوان بن أمية وغيرهم ـ يعتبر إنفاق منهم بالقوة لتجهيز الجيوش للقتال في سبيل الله؟[1].

■ وهذا حسان بن ثابت لم يضرب حتى ولو ضربة واحدة في سبيل الله في حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا بعده وكانت الحياة أحب إليه من القتال والشهادة فهل يعتبر ـ يا ابن حزم ـ مقاتل جلد في حمي الوطيس يذب عن رسول الله بالقوة؟ وغيره كثير من امثاله.

■ ثم يا ابن حزم لو أجرينا احكام الشريعة الغراء وفق القاعدة المنطقية (الفعل والقوة) فلم لا يكون عثمان المنهزم بأحد ـ ولم يرجع إلا بعد ثلاث ليال سويا ـ هو ثابت يذب عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقوة ويكون الذابون عنه المستميتون حوله هم منهزمون بالقوة؟

■ فلم لا يكون المنافقون مؤمنين بالقوة والمؤمنون منافقين بالقوة لجواز

١- انظر نور اليقين للخضري ص٢٥٩ ـ٢٦٠.

ذلك بسبب وجود القابلية وعندها تختلط الاوراق فيدخل ابن حزم من يشاء الجنة ومن يشاء النار ولا حول ولا قوة إلا بالله!!

- وعلى افتراض أن الصحابة كلهم قاتلوا وأنفقوا بالفعل فماذا يفيد المنافقين والشكاكين وضعفاء الإيمان منهم حيث ان إعداد الأصناف الثلاثة لا تقل عن النصف من الصحابة كما مر في الآيات والأحاديث آنفة الذكر من هذا البحث.

واستكمل ابن حزم استشهاده مستظهرا نجاة الصحابة أجمعين بقول الله تعالى: **﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾**[1].

قلت هذا خطأ صراح لا ينسجم ومنطوق الآية الكريمة لأن الحسنى للمحسنين سواء فسرناها بالرحمة أو السعادة كما ذكر ابن كثير أو فسرناها بالموعدة الحسنى أو الجنة كما فسرها العلامة صاحب الميزان حيث لا مناص من ذلك لقول الله للذين احسنوا الحسنى وقوله **﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾**[2] وغيرهما من الآيات فخرج من عري عن التوصيف إذ من المقطوع به أن الكثير من أشخاصهم عار عن التلبس بهذا الوصف إذ ليس كل واحد منهم هو محسن.

على أن الآية الكريمة سيقت لرد شبهة علم الله بها قبل حدوثها علق بأذيالها مشركوا مكة بل نزلت استثناء من المعبودين واليك التوضيح التالي:

عن ابي جعفر قال: لما نزلت هذه الآية يعني قوله: **﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾**[3] وجد منها أهل مكة وجدا شديدا فدخل عليهم

١- سورة الأنبياء:آية ١٠٠.

٢- سورة الرحمن:آية ٦٠.

٣- سورة الأنبياء:آية ٩٨.

عبد الله بن الزبعري وكفار قريش يخوضون في هذه الآية فقال ابن الزبعرى: أمحمد تكلم بهذه الآية؟ فقالوا نعم. قال ابن الزبعرى لئن اعترف بها لأخصمنه فجمع بينهما.

فقال: يا محمد أ رأيت الآية التي قرآت آنفا فينا وفي آلهتنا خاصة أم للأمم وآلهتهم؟ قال: بل فيكم وفي آلهتكم وفي الأمم وفي آلهتهم إلا من استثنى الله فقال ابن الزبعرى خصمتك والله ألست تثني على عيسى خيرا؟.

وقد عرفت أنا النصارى يعبدون عيسى وأمه وأن طائفة من الناس يعبدون الملائكة أ فليس هؤلاء مع الآلهة في النار فقال رسول الله: لا فضجت قريش وضحكوا قالت قريش خصمك ابن الزبعرى فقال رسول الله قلتم الباطل أما قلت: إلا من استثنى الله وهو قوله تعالى: **﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ۞ لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون﴾**[١].

قال العلامة صاحب الميزان بعد إيراد هذا الحديث «وقد روى الحديث أيضا من طرق أهل السنة ولكن في هذا الطريق أمتن مما ورد من طريقهم واسلم».

وممن ذهب إلى أن الآية الكريمة نزلت استثناء ـ ليخرج مثل عيسى بن مريم وعزيز والملائكة (عليهم السلام) ـ عطاء ومكرمة والحسن وابن جريج والضحاك وابن عباس وسعيد بن جبير وابو صالح وغيرهم ذكر ذلك كله ابن كثير عند تفسير هذه الآية المبحوثة والله العالم.

١- سورة الأنبياء:آية ١٠١-١٠٢.



الصحابة
كما جاؤا في أحاديث الشطط

الحديث الأول

عويم والوزراء

عن عويم بن ساعدة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (إن الله اختارني واختار لي أصحاباً فجعل لي منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. لا يقبل منه صرفٌ ولا عدل) أورده ابن حجرٍ في مقدمة صواعقه عن المحاملي والطبراني والحاكم وقد وقع له أن نقل اسم الراوي (عويمر) وهو غلط فالصحيح (عويم) كما في ترجمته في الإصابة.

وتعقب الطبراني في الأوسط هذا الحديث وحديثا قبله بقوله: تفرد بهما محمد بن طلحة التيمي[1] وصححه الحاكم في المستدرك والذهبي في التلخيص[2] وقال الهيتمي بعد إيراده برواية الطبراني «وفيه من لم أعرفه»[3].

أقول: لست من رجال علم الرجال ولكن من الإمكان بمكان أن أنتقد سند هذا الحديث من ثلاث جهات:

١ـ الإفراد: حيث تفرد به محمد بن طلحة التيمي كما مضى على ذلك الحافظ الطبراني في الأوسط.

٢ـ في سنده مجهول خفيت معرفته على عظيم هذا الفن مثل الهيتمي صاحب مجمع الزوائد.

١- المعجم الأوسط للطبراني ج١ ت. د. محمود الطحان ص٢٨٢ ح٤٥٩.

٢- التلخيص للذهبي بهامش المستدرك للحاكم ج٣ ص٦٢٣.

٣- مجمع الزوائد للهيتمي ج٥ جزء٢ ص٢٠.

٣ـ ليس هو على شرط البخاري حيث اشترط المعاصرة واللقاء زائداً على التوثيق، وليس على شرط مسلم حيث اشترط المعاصرة فقط زائداً على التوثيق، وبكلمة أنه ممكن في حقيقة الأمر والواقع أن تحصل هذه الشروط وقد لا تحصل غير أن ذلك خفي على المحدثين فلذلك صححه الحاكم لا على شرط الشيخين أو أحدهما ـ وفي الاحتمال يسقط الاستدلال.

هذا كله في سند هذا الحديث أما متنه فإنك تشم نتنه بأدنى تأمل، حيث تصدر عنه رائحة رعونة الاختلاق يشمها اللبيب من أهل هذا الشأن، وما الباعث على وضعه إلاّ قصد تكميم الأفواه عن رزايا حدثت في عصر الصحابة كادت أن تزلزل عقائد الناس مما تولد عنها خلط أوراق الحق بالباطل فأصبحوا في شك من أمرهم وذلك من أكبر العوامل التي ساعدت الناس على الشك بآل محمد (عليهم السلام) والتعريض بأتباعهم والتحرش بهم مما يسوّق للولاة في عصر وضع الحديث أن يستبيحوا من أبناء الفرقة الحقة دماءهم وأموالهم وبالمقابل إعلاء شأن بني أمية وتقديسهم.

وكيف لا يفترون على رسول الله بلختلاق مثل هذا الحديث وهذا معاوية لا يرتضي أن يكون من المؤلفة قلوبهم وطليقاً وابن طليق ومن مسلمة الفتح، في حين أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً أنصار لرسول الله وأصهار ولهم قدم سَبْقٍ في الاسلام.

ولاشك أن هذا الأمر يتطلب من معاوية بث الوضاعين وصرف المال من بيت المال لينتج وبفعالية عالية ـ مئات بل ألوف الأحاديث الكاذبة من أمثال هذا الحديث ـ تارة بشكله وأخرى بمضمونه ـ الذي يضعه بمصاف السابقين، ومن ثمة أصبح يلقب خال المؤمنين وأنه صهر رسول الله وناصره.

وبكلمة إذا كان الخلفاء الأربعة أصهاراً وأنصاراً فلِمَ لا يكون أبو سفيان ـ زعيم الردة بمكة بعد وفاة رسول الله ـ جد المؤمنين وهند ـ آكلة كبد الحمزة ـ جدة المؤمنين ومعاوية ـ رئيس الفئة الباغية ـ خال المؤمنين وزياد بن أبيه ـ الذي تخلق في رحم الشيطان وادعاه أبو سفيان واستلحقه معاوية ـ خال المؤمنين الأكبر ويزيد بن معاوية ـ الذي لم يتذوق طعم الإيمان هادم الكعبة وبائع العرض وشارب الخمر ومعاشر القرود ـ ابن خال المؤمنين؟ وهكذا لا يقبل الله ـ حسب الحديث المختلق ـ صرفاً ولا عدلاً ممن يتفوه بكلمة في بني أمية وغيرهم إلا بخير!! وكل ذلك بفضل هذا الحديث وما شاكله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

حوار مع متن الحديث

أخي المسلم تأمل في الاسئلة التالية ثم أجبني، لأنني عطش أقبل الرشاد ولم أكِن للحق عداوة:

- فهل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اتخذ وزراء؟
- وإذا كان كذلك فكم هم ومن هم؟
- وهل استوزرهم للحرب فقط أم لكل ما من شأنه الاستوزار آنذاك؟
- إذا كان الاستوزار متعدداً فالوزراء متعددون وإذا تعددوا فهل مهمة الوزير مطلقة أم هناك اختصاصات احدهم للحرب وآخر للاقتصاد وغيره للعدل ورابع للتربية والتعليم...؟
- وهل الله تعالى عينهم لرسوله عن طريق الوحي أم اجتهاد من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أم لا هذا ولا ذاك؟ انما نحن الذين رشحناهم

وعيناهم عن طريق التصوير والتمثيل.

اعتقد أن أكثر هذه الأسئلة لا جواب عليها لدى اخوتنا أهل السنة لذا لا نطيل في نقاشها فالوقت أثمن منها وانما نوظف في ما يأتي عينات منها تفتح للقارئ آفاقا قد لا تخطر له ببال:

١ـ لا يجوز أن نعتقد أن الله عينهم لدى رسوله فيلزم منه سوء الاختيار قال تعالى: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه**﴾[1]وإلا فكيف يستوزر الفارين من الزحف والناكثين للبيعة في أغلب المواقف ويترك الثابتين الذابين عن وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال تعالى: ﴿**رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه منهم من قضى نحبه فمنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا**﴾[2] فلم لا يكون الوزراء هم علي ومن ثبت معه في معركة حنين مثل العباس والفضل ومن الانصار أهل بيعة العقبة؟

٢ـ لا يجوز للمسلم أن يعتقد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عينهم فيلزم منه كذلك سوء الاختيار والعبثية والاعتباط وحتى لو قلنا أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) خدع بهم أول مرة فاستوزرهم ألم ينكشف له الامر في المرة الثانية فيعدل عن الخطأ وكم من مرة خدع فتنبه ولم يعد وهو القائل: كما في مسلم والبخاري وغيرهما (لا يلذغ المؤمن من جحر واحد مرتين)[3].

٣- وعلى افتراض أننا اعتقدنا بوجود وزراء فهل عبأهم رسول الله قبل موته بأيام جنودا تحت لواء أسامة بن زيد وفي امرته أم خارجين؟

١- سورة الفتح:آية ١٠.

٢- سورة الأحزاب:آية ٢٣.

٣- البخاري ج٤ ت. د. بغا. باب لا يلذغ المؤمن ح ٥٧٨٢ ص ٢١٤٠.

فإن قلنا بالأول فنحن في عداد الحمقى وإلا فكيف يكون الوزراء وخاصة وزير الحرب جنودا بقيادة مولى دميم الوجه وحديث السن والذي يعلمه المسلمون قاطبة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حشد في جيش اسامة مشيخة قريش بلا استثناء وعليه فلم لا يكون اسامة الأمير هو الوزير؟

وإذا قلنا بالثاني فمن هم الوزراء؟ ولم لا يكون علي هو الوزير باعتبار أن رسول الله لم يستثن من التجنيد تحت امرة اسامة من أهل المدينة إلا فحلا واحدا من فحول العرب والمسلمين هو علي بن أبي طالب (عليه السلام).

٤ـ لا عبرة ولا اعتبار بالأحاديث الآتية التي تستوزر أبا بكر وعمر باعتبارها موضوعة اختطها الوضاعون بأنامل ملوثة وأيدي لا تعرف الصدق والأمانة كما قيل:«وما آفة الأخبار إلا رواتها».

نقل الهيتمي في المجمع: عن ابن عباس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

(إن الله عز وجل أيدني بأربعة وزراء نقباء قلنا يا رسول الله من هؤلائي الأربع قال: اثنين من أهل السماء واثنين من أهل الأرض فقلت من الاثنين من أهل السماء قال: جبريل وميكائيل قلنا: من الاثنين من أهل الأرض قال: أبو بكر وعمر) قال الهيتمي: رواه الطبراني وفيه محمد بن محبب الثقفي وهو كذاب ورواه البزار بمعناه وفيه عبد الرحمن بن مالك بن مغول وهو كذاب[1].

ونقل شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني في كتابه الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة عن اللآلئ المصنوعة للسيوطي: إن النبي قال لأبي بكر

١- مجمع الزوائد للهيتمي ج ٥ جزء١ ص ٥٤.

وعمر: «... انتما وزيراي في الدنيا والآخرة..» رواه ابن حبان عن انس مرفوعا وهو موضوع[١].

ونقل أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (أبو بكر وزيري والقائم في أمتي من بعدي) رواه ابن عدي وابن حبان عن جابر مرفوعا وفي اسناده كادح بن رحمة والحسن بن أبي جعفر وهما متروكان والحديث موضوع وقد اخرجه أبو نعيم في فضائل الصحابة وابن النجار وآخرون)[٢].

ونقل أن جبريل يقول للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم): عن ابي بكر «.. انه وزيرك في حياتك وخليفتك بعد موتك) ورواه ابن حيان عن أبي هريرة مرفوعا وفي اسناده اسماعيل بن محمد بن يوسف كذاب[٣].

٥_ الصحيح أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رشح عليا للوزارة من صباه فلذلك عنى به عناية خاصة، فالأكاديمية المسجد الحرام، والمأوى بيت النبوة، والعقيدة توحيد الله، فلا رجس ولا أوثان، والمعلم محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم يبلغ الحلم أوسن البلوغ إلا وقد زق علوم الدين والحياة، ولم يدخل تحت أمرة أحد إلا تحت راية رسول الله، لأنه الأمير والوزير والخليفة بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

وبما أن الوزير في اللغة هو الموازر لأنه يحمل عنه وزره أي ثقله ويقال استوزر فلانا فهو يوازر الامير، وكلما تعددت جهات الثقل تعدد الاستوزار، ومن هنا تعددت الوزارات في عصرنا الحالي إلى آحاد العشرات.

١- الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة للشوكاني ص٣٣٨.

٢- المصدر السابق ص ٣٨٦.

٣- المصدر السابق ص ٣٣٢.

واثقل من اثقل على رسول الله وانقض ظهره آنـــذاك المشـركون عندمـا يصدونه عن تبليغ رسالة الله، والمسلمون عندما ينهزمون مـــن المعـارك ويولــون الدبر فيتركونه (صلى الله عليه وآلـه وسـلم) في حمـي الوطيـس نـهبا نـهبا وطعمـة لذؤبان العرب، فلذلك لم يحتج رسول الله إلا إلى نوعين من الاســتوزار وزيـرا للحرب وآخر لتبليغ دين الله إلى الناس.

وبكامة: أن أبا بكر وعمر لم يكونا في مستوى الوزارة ومصـاف الـوزراء لأنهما من المنهزمين الناكثين الفارين من الزحف في معركة أحد ومعركة حنـين في الطائف، والمهزمون هم لا وزراء ولا موازرين.

وهما كذلك غير مبلغين بدليل: أنه لما نزلت عشر آيات من سورة بـراءة بعثها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع ابي بكر ليبلغها المشركين من أهـل مكة ثم اتبعه بعلي للتبليغ وأمر برد أبـي بكـر فقـال: (يـا رسـول الله نـزل في شـيء قـال: لا ولكـن جـبريل جـاءني فقـال: لـن يـؤدي عنـك إلا أنـت أو رجل منك)[1].

وعليه يكون وزير الحرب والتبليغ هو علي بن أبي طالب، وشاهد ذلـك قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي: (أنت مني بمنزلة هارون من موســى إلا أنه لا نبي بعدي)[2] ومن منازل هارون الوزارة قال تعالى: **﴿وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا﴾**[3] وقال: **﴿واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي﴾**[4] ولله الحمد والمنة.

١- مسند أحمد ح١٢٩٩ ص ٢٤٣ ج١.

٢- مسلم بشرح النووي ج٨ جزء ١ ص١٧٤.

٣- سورة الفرقان،آية ٣٥.

٤- سورة طه،آية ٢٩

الحديث الثاني

الانتقاص والمواكلة

عن أنس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (أن الله اختارني واختار لي أصحابا وأصهارا وسيأتي قوم يسبونهم وينتقصونهم فلا تجالسوهم ولا تشاربوهم ولا تواكلوهم ولا تناكحوهم)[1]. رواه العقيلي في الضعفاء.

أقول: يجب على اخوتنا أهل السنة عامة والعلماء منهم بخصوصهم، ومن يتقلد مشيخة الازهر الشريف وفروعه في أرجاء الأرض بأخصهم، أن ينزهوا الشريعة الغراء عن الأساطير والأضاليل ومماحكات الأحكام اللفظية والتي هي أقرب منها إلى كونها حقيقية وأن يربؤوا بأنفسهم عن سفاسف الأحكام والعمل بمثل هذا الحديث المكذوب على رسول الله والذي يرويه العقيلي في الضعفاء وإلا فكيف نكفر الملايين من المسلمين الشيعة على وجه الأرض اعتمادا على حديث مختلق وعملا بمضمونه، والعتب الجميل على ابن حجر الهيتمي حيث نقل هذا الحديث الموضوع في صواعقه محذوف السند ومقطوع الدرجة وما ذاك إلا ليجعله صاعقة في صواعقه يوهم بها عوام العامة ويكفر ملايين المسلمين والمعاذ بالله.

على أن الحديث الصحيح إذا كان أحاديا ـ وهو ما لم يبلغ حد التواتر ـ فإنه يوجب العمل ولا يوجب العلم أي الاعتقاد فضلا عن الحديث المختلق[2].

١- الصواعق المحرقة ص٤.

٢- انظر الورقات للجوني بشرح المحلي تحت عنوان الثمرات على الورقات تاليف خضر محمد اللجمي ص٥٣.

العجب العجاب

ومن العجب العجاب أن اخوتنا أهل السنة يصححون أحاديث صريحة الدفاع في سبيل نجاة بعض المنافقين فقد اخرج البخاري في صحيحه عن عتبان بن مالك قال:

(... فثاب في البيت رجال... فاجتمعوا فقال قائل منهم: ابن مالك بن الدخيشن.. فقال بعضهم: ذلك منافق لا يحب الله ورسوله فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا تقل ذلك ألا تراه قد قال لا اله إلا الله يريد بذلك وجه الله ... قال: فإنا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين قال رسول الله:» فإن الله حرم النار على من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)[1].

ورواه مسلم عن عتبان ايضا قال (... فأتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن شاء الله من أصحابه فدخل وهو يصلي في منزلي وأصحابه يتحدثون بينهم ثم اسندوا عظم ذلك وكبره إلى مالك بن دخشم قالوا ودوا أنه دعا عليه فهلك وودوا أنه أصابه شر فقضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صلاته وقال: أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأنني رسول الله قالوا: أنه يقول ذلك وما هو في قلبه قال: لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وانني رسول الله فيدخل النار أو تطعمه قال أنس: فأعجبني هذا الحديث وقلت لابني: اكتبه فكتبه)[2].

انظر رعاك الله إلى هذين الحديثين اللذين رواهما الشيخان من حديث عتبان تجد أن أصحاب رسول الله يعلمون يقينا أن الصحابي مالك بن الدخيشن ـ بالتصغير أو الدخشن الشك من الراوي كما عند البخاري

١- البخاري ت. د. بغا. باب المساجد في البيوت ج١ ح٤١٥ ص١٩٥.

٢- مسلم بشرح النووي ج٢ جزء١ باب جواز كتابة الحديث ص٢٤٢ ـ ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

أو الدخشم كما هي عبارة مسلم ـ كان منافقـا وأنـه لا يحـب الله ورسـوله وأن الصحابة الكرام كانوا يقرؤون النفاق على وجهـه ويلمسـون وداده ونصيحتـه إلى المنافقين، وأنه كان من أكابر مجرميها وأعاظم من يسند إليـه النفـاق، وأنـهم يودون أن رسـول الله يدعـو عليـه فيـهلك وأنـهم يضرعـون إلى الله أن يصيبـه بعاصفة شر تريح المسلمين منه، وإذا ما قـرأت آخـر حديثـي الشـيخين يختلـط عليك أمرك حيث تجد أن الرواة يزعمون أن رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسـلم) دافع عن هذا المنـافق بـل ضمـن الفـوز بالجنـة والنجـاة مـن النـار لمـن نطـق بالشهادتين حتى وإن لم يعمل ولم يعلم في الإسلام وعن الإسلام شيء بل حتى وإن كان الناطق بهما منافقا كما يلحظ من رواية مسلم.

ثم انظر ثانيـة إلى الحديـث الموضـوع الـذي رواه العقيلـي في الضعفـاء والذي يحكم الجهلة مـن عـوام النـاس بموجبـه علـى الشـيعة بـالكفر، حيـث لا يواكلون ولا يناكحون، ثم احكم عزيزي القـارئ بمـا يمليـه عليـك شـرع الله وضميرك الواعي، وقبل أن نسمع عنك نص الحكم نريد أن نذكرك عن طريـق التساؤل التالي:

هل يرضى عنا ربنا ورسولنا وأيماننا وإسلامنا وضمائرنـا أن ندافـع عـن المنـافقين مـن أمثـال مـالك بـن الدخشـن أو الدخشـم ونقبـل منـهم النطـق بالشهادتين وأن أشربت قلوبهم النفاق؟ بل وتحرم جلودهم على النار كما هـو صريح عبارة مسلم؟ وبالمقابل نكفر الملايين من المسلمين في العالم الإسـلامي ـ اعتمادا على مثل الحديث المشؤوم الذي يرويـه العقيلـي في الضعفـاء؟ ـ حتـى وإن آمنوا بالله واليوم الآخر وأدوا الواجبات وعملوا الصلحات؟!!

وهل يجوز لإخواننا أبناء العامـة أن يكفـروا مسـلما سـب صحابيـا ثـم

يحرمون على النار أن تأكل لحم ذلك الصحابي حتى وإن كان منافقا؟ فقط لأنه نطق بالشهادتين لا اكثر؟!!

اعتذار ابن حجر والقرطبي والنووي

ولقد اعتذر كل من ابن حجر في الإصابة والقرطبي في الاستيعاب عن ابن دخشم حيث قالا: (قال ابو عمر: لا يصح عنه النفاق فقد ظهر من حسن إسلامه ما يمنع من اتهامه.

وكذلك اعتذر النووي في شرحه على مسلم عن ابن دخشم بايراده قول ابي عمر ثم قال: (وقد نص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على إيمانه باطنا وبراءته من النفاق بقوله (صلى الله عليه وآله وسلم).

في رواية البخاري رحمه الله: ألا تراه قال لا إله الا الله يبتغي بها وجه الله... وفي هذه الزيادة رد على غلاة المرجئة القائلين بانه يكفي في الإيمان النطق من غير اعتقاد فإنهم تعلقوا بمثل هذا الحديث وهذه الزيادة تدمغهم).

أقول: أحسن النووي في رده على غلاة المرجئة من حيث يحاول تفنيد اعتقادهم الفاسد، وذلك هو وجه الحسن الذي نقصده، غير أنه وقع في مأزق خطير حيث أن الرواية تحرم النار على من تشهد معتقدا حتى، وإن لم يعلم ولم يعمل بل حتى وإن كان من طواغيت الأمة وفراعنتها وهذا مما يصطدم بآحاد العشرات من الآيات الكريمة وإلا فعليه تكفينا الشهادة مع الاعتقاد لوحدهما، فنكون دحضنا المرجئة ودحضنا معهم ولكن النووي رحمه الله لم يتنبه له وإنما يكفيه أن تنبه للدفاع عن ذلك المنافق وهو باطل فتأمل.

والصحيح لو كان حديث الشطط الثاني صحيحا لكان هكذا (إن الله

اختارني واختار لي أهل بيت واختار لي منهم عليا صهرا وسيأتي قوم يسبونهم وينتقصونهم فلا تجالسوهم ولا تشاربوهم ولا تواكلوهم ولا تناكحوهم) ولكن الكثير من الصحابة وعشرات الألوف من التابعين لم يكتفوا بمواكلة معاوية ومشاربته وإنما تابعوه على شتم وسباب آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الحديث الثالث

الحفظ والتخلي

عن عياض الأنصاري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (احفظوني في أصحابي وأصهاري وأنصاري فمن حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظن فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه أوشك أن يأخذه) نقله صاحب الصواعق[1] عن البغوي والطبراني وأبي نعيم في المعرفة وابن عساكر وأورده الهيتمي في المجمع عن الطبراني وقال فيه ضعفاء جدا وقد وثقوا[2].

قلت إذا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوجه خطابا هاما وشاملا يدعو فيه للحفاظ على أصحابه ـ الذين بلغت أعدادهم «١٢٤» ألف حسب إحصائيات الشيخ ابي زرعة الرازي ـ فمن هم المخاطبون يا ترى في عصر لم يكن فيه أهل سنة ولا شيعة ولا تابعون؟

هناك أربعة احتمالات حسب المتبادر فإما أن يكون الخطاب موجه للمشركين وإما للمنافقين وإما للمعدومين وإما للصحابة أجمعين والتابعين واتباعهم على مر الأجيال وفي ما يلي تفصيل ذلك:

من المخاطبون؟

- حسب المتبادر لا يمكن أن يوجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خطابه للمشركين باعتباره لا يرجو منهم ولا يأمل أن يحفظوه في أصحابه بل

١- الصواعق المحرقة لابن حجر اليهتمي ص ٤.

٢- مجمع الزوائد للهيتمي ج٥ جزء ٢ ص١٨.

كان الله تعالى يحذر منهم بقوله: ﴿**واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك**﴾[١] وبقوله: ﴿**خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً**﴾[٢] وبقوله: ﴿**خذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً**﴾[٣].

▪ ولا يجوز لنا بل يحرم علينا أن نوجه خطاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للمنافقين حيث أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) غير آمل فيهم أن يحفظوه في المؤمنين من أصحابه بل هم أصحابه وأعدادهم تربو على النصف من المؤمنين منهم، والقرآن الحكيم لا يرجو نصحهم بل حذر منهم قال تعالى: ﴿**يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم**﴾[٤].

▪ وليس من المعقول أن يوجّه الله ورسوله خطاباً طلبياً للمعدوم أي للجيل اللاحق ابتداءً دون السابق مثل ذلك قوله تعالى: ﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾ فلا يمكن هنا أن يوجّه الله هذا الخطاب الطلبي للتابعين ابتداءً دون الصحابة فيفرض عليهم الصلاة والزكاة والجهاد والصدق والأمانة ويكون الصحابة في حلٍّ من ذلك كله قطعاً لا.

▪ وإنما المعقول والمشروع والواقع أن الخطاب موجه للموجود ابتداء فيستمر ليشمل المعدوم عند الوجود بشرط التكليف باعتبار أن القضية هنا حقيقية فالحكم فيها يوجه لحقيقة الشيء الأعم من الحقيقة الموجودة الآن والتي ستوجد بعد.

فلما يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) احفظوني في أصحابي -

---

١- سورة المائدة:آية ٤٩.

٢- سورة النساء:آية ٧١.

٣- سورة النساء:آية ١٠٢.

٤- سورة المنافقون:آية ٤.

حسب الزعم ـ فهذا الحكم كما هو موجَّه للصحابة أنفسهم لأنهم الموجـودون والمخاطبون كذلك يشمل الانسان المسلم الـذي يوجـد في المسـتقبل علـى مـر الأجيال.

وعليـه يكـون معنـى الحديـث الشـطط «يـا اصحـابي احفظونـي في اصحابي» وهو عين الاحتمال الرابع، وهنا مكمـن نقـاط الضعـف ومـن هنـا تصدر المنزلقات ومن هنا تزل الأقدام، وإلا فكيف نفسّر يا أصحابي احفظوني في أصحابي حيث لا يمكن أن يكون المعنى يا زيد احفظـني في زيـد ويـا عمـرو احفظني في عمرو ويـا خـالد أحفظـني في خـالد... وكذلـك لا يجـوز أن نفسـر حديث الشطط بيا زيد احفظني في عمر ويا عمر احفظني في ابي الغادية ويا أبـا الغادية احفظني في وحشي ويا وحشي احفظني في عمـرو فيـدور الأمـر والـدور باطل.

والصحيح أن هذا الحديث لا ينطبق إلا على آل محمد (صلى الله عليه وآلـه وسلم) فلو كان صحيحاً لكان هكذا (احفظوني في أهل بيتي فمن حفظني فيـهم حفظه الله ومن لم يحفظني فيهم تخلـى الله عنـه ومـن تخلـى الله عنـه أوشـك ان يأخذه) كشأن سابقه.

وبعد أن حكم جهبذ من جـهابذة علـم الجـرح والتعديـل علـى حديـث الشطط بالتضعيف وأنه من روايات الضعفاء جداً وأوقفنا على مـدى شـططه فللتوضيح اكثر راجع حديث الشطط الأول إن شئت، وعليـك مراجعـة شـطط الحديث الثالث عشر الآتي تحت عنوان عودة إلى موضـوع أو عـوداً علـى بـدء والله ولي التوفيق.

الحديث الرابع

اللقب القاتل

عن علي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (سيأتي من بعدي قوم لهم نبز يقال لهم الرافضة فإن ادركتهم فأقتلهم فإنهم مشركون قلت: ما العلامة فيهم قال: يقرطونك بما ليس فيك ويطعنون على السلف) نقله صاحب الصواعق[1] عن الذهبي والدار قطني وبألفاظ متفاوته تتنازع معنى واحدا وذكر زيادة أزادها الدار قطني من طريق آخر: (ينتحلون حبنا أهل البيت وليسوا كذلك وآية ذلك أنهم يسبون ابا بكر وعمر).

وأورده الهيتمي في المجمع عن الطبراني من رواية أم سلمة وبألفاظ مختلفة وقال: فيه الفضل بن غانم وهو ضعيف.

وأورده عن عبد الله والبزار من رواية علي بن ابي طالب وقال: وفيه كثير بن اسماعيل السوا وهو ضعيف.

وأورده عن ابي يعلى والبزار والطبراني من رواية ابن عباس وقال: ورجاله وثقوا وفي بعضهم خلاف.

وأورده عن الطبراني من رواية زينب عن فاطمة (عليهما السلام) وقال: إلا أن زينب لم تسمع من فاطمة فيما أعلم والله اعلم.

تأمل أخي المسلم في إسناد هذا الحديث تجد في سند الرواية الأولى الفضل بن غانم ضعيف، وفي الثانية كثير بن إسماعيل ضعيف، وفي الثالثة رجال فيهم خلاف، وفي الرابعة زينب لم تسمع من فاطمة.

١- مقدمة الصواعق ص٥.

ثم تعال إلى ألفاظ الشطط تجد كلمات تفصح عن اختلاقها مثل - نبز - رافضة - مشركون - يقرطونك - يطعنون على السلف - ينتحلون حبنا - يسبون فلانا وفلانا - فاقتلهم وفي رواية مقبلة فاقتلوهم - ما لهذه المقدمات السبع من غاية إلا التوصل إلى نتيجة مقتضبة ظالمة فاسدة هي «اقتلهم - اقتلوهم» حيث لا افسد منها إلا منتجها.

هذه الكلمات لم نعهدها في الإسلام العظيم الذي يحترم من نطق بالشهادتين - بل يحترم البشرية اجمع حسب دستور الحق والعدل والإنصاف - إذ بهما تعصم الدماء والأموال والأعراض ويحل السلام والطعام والنكاح والميراث.

واشهد جازما أن هذه الكلمات من حديث الشطط لم تكن من كلمات رسول ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**﴾[1].

وإنما هي من وحي الشيطان حيث نفث في ذهن معاوية ويزيد والوليد وغيرهم فأذاعوها بين الناس على يدي بائعي ضمائرهم، فبهذا الحديث وأمثاله استباحوا دماء واموال أتباع آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا نطيل الوقوف عند هذه الرواية بعد الاطلاع على زيفها وحكم أهل الشأن عليها ولمزيد الاطلاع راجع حديث الشطط الثاني عشر وإنا لله وإنا اليه راجعون.

١- سورة النجم: آية ٣-٤.

الحديث الخامس

موصى وموصى به

عن عبد الله بن مغفل عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه) رواه الترمذي وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه[1].

قلت: لو صحت نسبة الحديث فلابد وأن يكون الخطاب النبوي موجه إلى فريق من الصحابة مسلمون حاضرون بدليل تاء المضارعة (لا تتخذوهم) التي هي للحاضر المخاطب وبدليل أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نهى خالد بن الوليد عن سب عبد الرحمن بن عوف:

أخرج مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري قال:

«كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): لا تسبوا أحدا من أصحابي فإن أحدكم لو انفق مثل أحد ذهبا ما ادرك مد أحدهم أو نصيفه»[2].

وهو كما ترى أخي المسلم أن النهي في روايتي الترمذي ومسلم موجه إلى الصحابة بخصوصهم ولسنا مضطرين هنا لسحب الحكم على الأجيال عبر التاريخ حسب القاعدة «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب» إذ يكفينا

١- سنن الترمذي ج٥ ح٣٨٦٢ ص٦٥٣.

٢- مسلم بشرح النووي ج٨ جزء١ ص٩٢.

الحكم العام في النهي عن الشتم والسباب من كل أحد وعلى كل أحد إلا بحق وإلا من ظلم. قال تعالى: ﴿**لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما**﴾[1].

- ويا ليت شعري من الموصى والموصى به في حديث الترمذي فإن قلنا الموصى هم المهاجرون والموصى بهم الأنصار فالقول شطط إذ لا مصلحة للمهاجرين لإن يتخذوا الأنصار غرضا من بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والعكس كذلك.

- وإن قلنا الموصى هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والموصى به هم اللاحقون منهم فالحكم هراء لغياب الداعي الشرعي والدافع العرفي آنذاك لأن يتخذ السابقون اللاحقين غرضا والعكس كذلك.

- وإن قلنا الموصى هم الصحابة أجمعين والموصى به هم آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فالقول صحيح وشاهد ذلك من ثلاث جهات:

الجهة الأولى

إن أهل البيت (عليهم السلام) يصدق عليهم اسم الصحبة زائدا على كونهم آله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإذا عناهم (صلى الله عليه وآله وسلم) يستقيم له القول (الله الله في أصحابي).

الجهة الثانية:

إن الذي يحز في النفس أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (الله

١- سورة النساء:آية ١٤٨.

الله في أهل بيتي) ولكن الرواة والمحدثين كانوا في عصر لا يكاد يذكر فيه آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بخير وبخاصة علي بن أبي طالب ـ فاستبدلوا لفظ «أهل بيتي» بلفظ أصحابي باعتبار إطلاق اسم الصحبة على علي وفاطمة والحسن والحسين وهو نوع من التورية الجميلة، هذا إن كانوا من الصادقين وإلا فهو نوع من اغتيالات حقوق آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

الجهة الثالثة:

إن مصالح ودوافع تستكن في قلوب الكثير من الصحابة لأن يتخذوا آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) غرضا من بعده وبالفعل لقد تحقق ذلك كله فمنعوا رسول الله من الوصية وتركوه «على بعض الروايات» بلا دفن من ضحى يوم الأثنين إلى آخر ليلة الخميس، ولم يستشيروا عليا في الخلافة، وكادوا أن يحرقوا على فاطمة بيتها، واسقطوا ولدها المحسن، ومنعوها من الميراث، واغتصبوها أرض فدك، ومنعوا آل محمد من الخمس واجلسوا عليا في بيته نحوا من الخمس والعشرين سنة.

وطلب منه عبد الرحمن بن عوف أن يبايعه على سنن الشيخين وإلا يحرم الخلافة، وقتلوا عثمان واتهموه فيه.

وخرج عليه الناكثون من أمثال الزبير وطلحة وعايشة فحاربوه في وقعة الجمل.

وخرج عليه القاسطون أمثال معاوية وعمرو بن العاص فحاربوه في موقعة صفين.

وخرج عليه المارقون أمثال الخوارج.

وخانه عمرو بن العاص يوم التحكيم، ولعنوه على المنابر، وقتلوا ولده الحسن سما، واوصى معاوية بقتل الحسين إن لم يبايع يزيد فقتل.

ومنعوا كل من والاهم من العطاء، وأراد ابن الزبير حرق الهاشميين بالنار ولم يصل على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أربعين صبلحا.

وهكذا اتخذوهم غرضا ويواطئوا عليهم خلفا عن سلف طردا وقتلا وتشريدا وعطشا وحرمانا مئات السنين، وإذا بالترمذي ـ وامثاله ـ يخرج لنا جديثا غريبا ويوصينا بالصحابة (الله الله في اصحابي) فيا لله ولرسوله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الحديث السادس

الصفوة والأشرار

عن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي فقولوا لعنة الله على شراركم).

رواه الخطيب البغدادي كما في الصواعق ورواه الترمذي في صحيحه «السنن» وقال: هذا حديث منكر لا نعرفه من حديث عبيد الله بن عمر إلا من هذا الوجه والنضر مجهول وسيف مجهول[١].

وقال النسائي في كتابه الضعفاء والمتروكين «سيف بن عمر الضبي ضعيف»[٢].

ونقل المحقق محمود ابراهيم زايد عن الميزان في حاشيته على ضعفاء النسائي «عن يحيى قال: ضعيف وعنه قال: فليس خير منه وقال ابو داود: ليس بشيء وقال ابو حاتم: متروك وقال ابن حيان: اتهم بالزندقة وقال ابن عدي: عامة حديثه منكر مات زمن الرشيد»[٣].

نريد في هذه المرة أن نترك تفسير حديث الشطط هنا للواقع التاريخي فهو يشهد أن الصحابة أدركوا الذين يسبونهم حيث أن سبعين ألف خطيب يرتقون سبعين ألف درجة منبر لا يرتقي أحدهم إحداها إلا وقبل النزول يسب عليا والحسن والحسين وعبد الله بن العباس، فيكون المعنى في قول الحديث هنا

١- سنن الترمذي ج٥ ح ٣٨٦٦ ص٦٥٥.

٢- الضعفاء والمتروكين للنسائي ص٥١.

٣- حاشية المحقق محمود ابراهيم على ضعفاء النسائي ص٥١.

«الذين يسبون» هم أهل هذه المنابر ومن يحذو حذوهم وقوله: «أصحابي» المقصود هنا أهل بيته (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنهم أصحابه زائدا على كونهم آله وقوله: «قولوا» فالخطاب موجه للصحابة وقوله: (لعنة الله على شراركم) فالمقصود معاوية وعمرو بن العاص إذ هم شر البرية باعتبارهم المبتكرين والمؤسسين لمذهب الشتم والسباب للأطهار من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

وعليه فالواقع يشهد أن الحديث مقلوب ولو صح لكان هكذا (إذا رأيتم الذين يسبون أهل بيتي فقولوا لعنة الله على شراركم) كشأن ما سبق ومن هنا نخلص إلى القول: إن الصحابة محملون أمانة وصى بها رسول الله هي لعن الأشرار الذين يسبون آل محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

راجع حديث الشطط السابع عشر تحت عنوان «كارثة سب الله ورسوله» وتحت عنوان «كارثة السب لآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)».

الحديث السابع

الكثرة وقلة الصحابة

عن جابر قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: (الناس يكثرون وأصحابي يقلون فلا تسبوا أصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله).

نقله ابن حجر في مقدمة الصواعق عن الخطيب البغدادي من حديث جابر وعن الدار قطني في الأفراد من حديث ابي هريرة[١].

ونقله الهيتمي في المجمع عن ابي يعلى الموصلي وقال: فيه محمد بن الفضل بن عطية وهو متروك[٢].

وقال البخاري في كتابه الضعفاء الصغير: «محمد بن الفضل بن عطية المروزي سكتوا عليه»[٣].

ونقل المحقق محمود إبراهيم زايد في حاشيته على ضعفاء البخاري عن الميزان والكبير «قال أحمد: حديثه حديث أهل الكذب وقال يحيى: لا يكتب حديثه وقال غير واحد: متروك ويقال: حج بضعا وثلاثين حجة وقال الفلاس: كذاب ورماه ابن أبي شيبة بالكذب»[٤].

وقال النسائي:« محمد بن الفضل بن عطية بخاري متروك الحديث»[٥].

١- الصواعق ص٥.

٢- مجمع الزوائد ج٥ جزء، ص٢٤.

٣- الضعفاء الصغير للبخاري ص١٠٥.

٤- حاشية المحقق محمود ابراهيم زايد على ضعفاء البخاري ص١٠٥.

٥- الضعفاء والمتروكين للنسائي ص٩٤.

أقول: إن اخوتنا أهل السنة يعنون كهذا الحديث المكذوب ـ المسلمين الشيعة بحجة أنهم يسبون الصحابة وهو توجيه غير صحيح إذ لا يمكن أن يقل الصحابة: يقلون في عصر لا يوجد منهم واحد ينطبق عليه مصداق القلة وإنما تحقق مصداق كثرة الناس وقلة الصحابة وسبهم في عصر عبد الملك بن مروان على يد الحجاج بن يوسف وشاهد ذلك كالآتي:

قال السيوطي: «لو لم يكن من مساوئ عبد الملك إلا الحجاج وتوليته على المسلمين وعلى الصحابة (رضي الله عنهم) يهينهم ويذلهم قتلا وشتما وحبسا، وقد قتل من الصحابة وأكابر التابعين ما لا يحصى... وختم عنق أنس بن مالك وغيره من الصحابة ختما يريد بذلك ذلهم...»[1].

وقال ابن الأثير: «وختم ايدي جماعة من الصحابة بالرصاص استخفافا بهم كما يفعل بأهل الذمة منهم جابر بن عبد الله وانس بن مالك، وسهل بن سعد..»[2].

حسبك إن كنت حيا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

راجع حديث الشطط السابع عشر تحت عنوان «الكعبة تهدم من جديد».

١- تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٠٥.

٢- الكامل لابن الأثير ج٤ ص٣٥٨ ـ ٣٥٩.

الحديث الثامن

الحفظ والحوض

عن ابن عمر ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (من حفظني في أصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظن في أصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرن).

نقله ابن حجر في مقدمة الصواعق عن الدار قطني[1].

وأخرجه الطبراني في الأوسط بسنده عن حبيب كاتب مالك بزيادة «إلا من بعيد» في آخر الحديث[2] واورده الهيتمي في الزوائد وقال فيه: حبيب كاتب مالك وهو كذاب[3] وقال النسائي في الضعفاء: حبيب كاتب مالك متروك الحديث[4] ونقل المحقق محمود ابراهيم في حاشيته على ضعفاء النسائي «قال احمد: ليس بثقة، وقال ابن معين... ليس بشيء وقال ابو داود: كان من اكذب الناس وقال ابو حاتم: روى... أحاديث موضوعة وقال ابن عدي: أحاديثه كلها موضوعة وقال ابن حيان... ويروي عن الثقات الموضوعات...»[5].

قلت: الصحيح لو كان هذا الحديث صحيحا لكان هكذا (من حفظني في أهل بيتي ورد علي الحوض ومن لم يحفظن في أهل بيتي لم يرد علي الحوض

١- الصواعق المحرقة ص٦.

٢- المعجم الأوسط للطبراني ج٢ ح١٠٢٩ ص١٩.

٣- مجمع الزوائد للهيتمي ج٥ جزء٢ ص١٨.

٤- الضعفاء للنسائي ص٣٥.

٥- حاشية المحقق محمود ابراهيم زايد على ضعفاء النسائي ص٣٥.

ولم يرن «إلا من بعيد») وما أوصلنا إلى هذا الحكم واضطرنا إلى هذه النتيجة إلا الدليل من ثلاث جهات:

الجهة الأولى:

يجب على كل مسلم أن يحفظ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في أهل بيته فإن فعل وكان مؤمنا عاملا فإنه يرد الحوض عليه يوم القيامة إن شاء الله.

الجهة الثانية:

حفظه (صلى الله عليه وآله وسلم) في أهل بيته حفظ للدين فمن حفظهم حفظ الدين ومن استهان بهم استهان بالدين فهم حجج الله على خلقه بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فبحفظهم وحبهم يعرف الإيمان وببغضهم يعرف الكفر والنفاق.

الجهة الثالثة:

لا ملازمة بين حفظ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في اكثر أصحابه الذين هم لم يحفظوا أنفسهم وبين ورود الحوض يوم القيامة باعتبار إن أول من يطرد أو يذاد عنه اكثر من غيره من الأمة هم الصحابة أنفسهم على العكس من حديث الشطط هنا بدليل أحاديث الحوض المتواترة وكما اخرج البخاري ومسلم وغيرهما واللفظ للأول:

«.. ليردن علي اقوام اعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم) قال أبو حازم فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت:

نعم فقال: اشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها «فأقول انهم مني فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك فأقول سحقا سحقا لمن غير بعدي».

وإذا ما اردنا ان نقطع احاديث الحوض عند الشيخين نجد في باب الحوض عند البخاري قطعا من الروايات التي تصرح بأن قسما كبيرا من الصحابة أحدثوا في الدين ما ليس منه بعد وفاة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم).

ففي الحديث الأول «وليرفعن رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول: يا رب أصحابي فيقال: انك لا تدري ما أحدثوا بعدك» وفي السابع «ليردن علي ناس من أصحابي الحوض حتى عرفتهم اختلجوا دوني فأقول أصحابي فيقول لا تدري ما أحدثوا بعدك» وفي التاسع «يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض فأقول يا رب أصحابي فيقول انك لا علم لك بما أحدثوا بعدك» وفي العاشر «يرد علي الحوض رجال من اصحابي فيحلؤون عنه...» مثل سابقه.

وعند مسلم في رواية «انظر من يرد علي منكم وسيؤخذ أناس دوني فأقول يا رب مني ومن أمتي فيقال أما شعرت ما عملوا بعدك؟» وفي ثانية «لا يأتين احدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال فأقول فيم هذا فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقا» وفي ثالثة «ولأنازعن أقواما ثم لأغلبن عليهم فأقول يا رب أصحابي أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[1].

١- البخاري ج٤ ت. د. بغا. باب الحوض ح٦٢٢٥ إلى آخر الباب. مسلم بشر النووي ج٨. جزء ١ ص٥٣ باب حوض نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى آخر الكتاب.

وعليه فالصحابة غيروا وبدلوا وأحدثوا بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إجماعا بين المسلمين وبذلك اعترف الفضل ابن رزبهان في كتابة إبطال الباطل حيث قال: «فإن أريد به من بدل بعض التبديل ولم يبلغ الارتداد فليس في الأصحاب إلا من بدل بعض التبديل»[1].

التصريح بالردة

هذا ولم تتوقف أحاديث الحوض عند الإخبار بالتغيير والتبديل والإحداث في الدين ما ليس منه وإنما جاء في بعضها التصريح بالردة كما ورد في البخاري: (إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى) أورد ذلك في باب الحوض من صحيحه أربع مرات في ثلاثة أحاديث.

ردة بلا عودة

والعظيم في الأمر هنا ان أحاديث الحوض في مسلم والبخاري تشعر بأنهم ارتدوا بلا عودة ولا توبة فلم يزالوا مرتدين إلى يوم القيامة، حيث اخرجا بسنديهما واللفظ للبخاري عن أسماء بنت ابي بكر قالت: قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (إني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم وسيؤخذ ناس دوني فأقول يا رب مني ومن أمتي فيقال هل شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم...)[2].

١- دلائل الصدق في الرد على ابطال الباطل للشيخ محمد حسن المظفر ج٣ جزء٢ ص٤.

٢- البخاري ج٤ ت. د. بغا. باب الحوض ح٦٢٢٠ ص٢٢٧٦ مسلم بشرح النووي ج٨ جزء ١ ص٥٥ باب الحوض.

الهمل اقل القليل

والأعظم خطرا مما سبق ما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:

(بينا أنا قائم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم قال: هلم قلت: أين؟ قال: إلى النار والله قلت: ما شانهم: قال: إنهم أرتدو بعدك على أدبارهم القهقرى فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم)[١].

وعلى هذا الحديث لا يكاد ينجو من الصحابة إلا أقل القليل الذي قدره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بهمل النعم والذي يقدر ببضعة رجال حيث لا يهمل منها اكثر من ذلك.

ولقد اعتذر اخوتنا أهل السنة عن أحاديث الحوض قال الفضل في كتابه أبطال الباطل:

«قد وقع التصريح في هذا الحديث على ما ذكرنا أن المراد منهم أرباب الارتداد الذين ارتدوا بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقاتلهم أبو بكر الصديق».

ورد عليه المظفر في كتابه دلائل الصدق بقوله: «نعم وقع التصريح فيه بارتدادهم ولكن صريحه أنهم لم يزالوا مرتدين وهم غير من زعموا ردتهم وقاتلهم ابو بكر لقلة أيام ردتهم وعودتهم إلى الإسلام كما عرفت، على ان

١- البخاري ج٤ ح٦٢١٥ ص٢٢٤٧ ت. د. بغا. باب الحوض

الكثير ممن زعموا ردتهم إنما منعوا الزكاة عن ابـي بكـر، وغايـة مـا يقـال فيـه الحرمة لا الارتداد ولذا اجرى عليهم عمر أحكام الإسلام فرد سبيهم وأموالهـم مضافا إلى أن هذه الرواية وغيرها مصرحة بأنهم مـن الصحابـة. ومـن زعمـوا ردتهم إن ما توا علـى الارتـداد كمـا هـو ظـاهر هـذه الأخبـار لم يكونـوا مـن الصحابة لأن من مات مرتدا ليس بصحابي عندهم، وإن تابوا وماتوا مسلمين لم يكونوا ممن يؤخذ بهم ذات الشمال ويحال بينهم وبين النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم)....»[1].

قلت: إتماما للبحث يجدر بنا ان نناقش حديث الهمل من ثلاث جهات:

الجهة الأولى:

يفهم من حديث الهمل توالي زمر الصحابة وتكرارها في الورود إلى آخر زمرة منهم، وأنه لا يترشح مـن الزمـر للنجـاة ولا فـردا واحـدا ترشـحا، وإنمـا الناجون يأتون زمرة واحدة فباعتبار كثرة الزمر يكونون كهمل النعم.

الجهة الثانية:

الطريف بالموضوع هنا أن الذي يذود الصحابة عـن الحـوض هـو رجـل ومن بني البشر حقيقة ومن أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالذات فليس هو من أمم سالفة ولا من عالم الملائكة وغيرها من العوالم اللابشرية.

وعسى أن لا يعتلج في ذهني ولا يتسـور قلـبي شـك أنـه علـي بـن أبـي طالب جيء به ليشهد على أناسي الصدر الأول بأعتبـاره عـاصرهم وعايشـهم

١- دلائل الصدق في الرد على ابطال الباطل للشيخ حسن المظفر ج٣ جزء٢ ص١٠.

بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيشهد ـ عند الحوض الكوثر إمام رسول الله ـ للمؤمن بالإيمان وعلى المنافق بالنفاق والمرتد بالردة فتذاد الناس عن حوض رسول الله الا المتقين.

ولا منافاة بين سؤال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للرجل حسب ما ورد في حديث الهمل قوله: «ما شانهم إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى» وبين أن الله تعالى علم رسوله علوم الأولين والآخرين قبل موته وأن أعمال الأمة تعرض عليه يوم الإثنين والخميس فما السؤال والجواب إلا لإظهار الحجة عليهم كما يسأل الله عيسى بن مريم (عليه السلام) قائلا: ﴿**ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك**﴾[1].

فالله يعلم أن عيسى لم يقل ذلك.

والعتب الجميل على البخاري حيث لم يذكر اسم الرجل الذي يذود الصحابة عن حوض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعليه فمن الذي يتحمل جناية الكتمان هو أم أشياخه من رجال السند أم أبو هريرة باعتباره راوي حديث الهمل.

والأكثر غرابة أن مسلم يروي في باب استحباب اطالة الغرة والتحجيل عن أبي هريرة نفسه: أن الذي يجيب على سؤال رسول الله هو الملك[2] (فيقول وهل تدري ما أحدثوا بعدك).

وعليه فتارة يبوح أبو هريرة بشخص من يطرد الصحابة عن حوض رسول الله ويكتم اسمه، وتارة يتكتم على الشخص والاسم فيصرح بأنه ملك،

١- سورة المائدة،آية ١١٦.

٢- مسلم بشرح النووي ج٢ جزء ١ ص١٣٦ باب اطالة الغرة والتحجيل.

وإلا فلا ضرورة في الأمر تحدو برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يتكتم على اسم رجل في واقعة تعود لما بعد البرزخ مكانها المحشر وزمانها القيامة إذ لا علقة فيها تعيق عاجلة الناس في حياتهم وسياساتهم ومصالحهم.

والأكثر منه أن اخوتنا أهل السنة يفسرون الرجل الذي يذود الصحابة بالملك وهو تفسير اعتباطي حيث لا داعي لتشكيل الملاك بصورة رجل في تلك الدار على خلاف دار الدنيا حيث يتصور الملك بصورة رجل ليسر على الناس وهناك في الآخرة تبلى السرائر وترى الملائكة باعتبارهم أجسام.

وإنما وصفنا تفسيرهم للرجل بالملك بأنه «تفسير اعتباطي» باعتبار أنه يمكن الجمع في مثل هذا لو سلمنا جدلا فيقال: إن الرجل هو الذي يذود الصحابة عن الحوض الكوثر بأعتبار انه يشهد على ردتهم فيثبت حرمانهم فيكون بمنزلة السلطة التشريعية وان الملك هو الموكل بهم ومن اختصاصه ان يسحبهم إلى النار فيكون بمنزلة السلطة التنفيذية والله العالم.

الجهة الثالثة:

إن أحاديث الحوض ـ على كثرتها وبلوغها حد التواتر ـ لا ترتكز في الأذهان إلا على مفهوم واحد تدل عليه أربع كلمات مترادفة أو متداخلة وهي أن الصحابة ـ غيروا ـ بدلوا ـ أحدثوا ـ ارتدوا وكلها تتنازع مفهوما واحدا وتطوف حوله ألا وهو الانقلاب وهذا أمر تنبأ به القرآن الحكيم حيث جاء فيه أنهم ينقلبون بعد موته (صلى الله عليه وآله وسلم) إن موتا وإن قتلا قال تعالى: **﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم...﴾**[1].

١- سورة آل عمران،آية ١٤٤.

وعليه فلا يجوز بل يحرم صرف المراد من أحاديث الحوض عن الأعم الأشمل إلى خصوص الذين قاتلهم أبو بكر ولا أدل عليه من الواقع الموضوعي والتاريخي، حيث أن الصحابة بدأوا بالتغيير والتبديل والأحداث في الدين ما ليس منه بدءا متزامنا بموت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاشرأب النفاق وثارت ثائرته فلم يمض على وفاته إلا زمن غير بعيد يقدر بالاربعين عاما وإذا بالحاصل من الإسلام اسمه ومن القرآن رسمه، فقل الديانون، وإذا بالبقية الباقية من الصحابة يفتشون عن الإسلام بالامصار فلا يجدوه، ويشهد لذلك ما رواه البخاري عن غيلان عن أنس بن مالك قال: «ما اعرف شيئا مما كان على عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)! قيل الصلاة قال أليس ضيعتم ما ضيعتم فيها؟»».

وقال: سمعت الزهري يقول: (دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت له: ما يبكيك؟ قال: لا اعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت)[1].

وأخرج بسنده عن أم الدرداء تقول: (دخل علي أبو الدرداء وهو مغضب فقلت ما الذي أغضبك فقال والله ما أعرف من أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) شيئا إلا أنهم يصلون جميعا)[2].

ولعله اصبح معلوما لديك ـ أخي المسلم ـ أن يد التغيير والتبديل طالت الإسلام فعمت أحكامه فتعمى الكثير من حقائقها على مئات الألوف من الأجيال اللاحقة فضيعت السنن وأحكمت البدع فاختلف الخلف تباعا

١- البخاري ج١ ت. د. بغا. باب تضييع الصلاة عن وقتها ح٥٠٦-٥٠٧ ص١٩١-١٩٢.

٢- المصدر الاول فضل صلاة الفجر في جماعة ج٦٢٢ ص٢٢٥.

لاختلاف السلف فزادوا على فرق اليهود بفرقتين وزادوا فرق النصارى بفرقة واحدة.

وقد اخرج البخاري ومسلم واللفظ للأول بسنديهما عن ابي سعيد الخدري أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه) قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن)[1].

فيا ليت شعري هذا ابو الدرداء يغضب للإسلام وأنس بن مالك يبكي عليه وكلاهما يشهد انه لم يبق منه إلا الصلاة، وزاد انس أنهم ضيعوا ما ضيعوا فيها، ويا ليت شعري ثانية ما الذي ضاع في صلاتهم يا أنس؟ أليس الصلاة التي كنت تشاهدها موجودة مضيعة هي نفس الصلاة التي نؤديها نحن الآن؟ بلى والله وعليه فصلاة المسلمين اليوم هي نفس الصلاة المضيعة التي حكم عليها أنس بن مالك بالضياع وفي المسألة كلام قد يطول ذكره لا يلتئم مع الاختصار هنا والله ولي التوفيق.

١- البخاري ج٢ ت د بغا باب ما ذكر عن بني اسرائيل ج٣٢٦٩ ص ١١٨٧ مسلم بشرح النووي ج٨ جزء٢ باب النهي عن الاختلاف في القرآن ص٢١٩.

الحديث التاسع

سلسلة سوداء ومتون مظلمة

عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (لعن الله من سب أصحابي) اخرجه الطبراني في الأوسط بأسناد متعددة وألفاظ متقاربة من رواية ابن عمر وقال لم يرو هذا الحديث عن مالك بن مغول إلا عبد الله بن سيف تفرد به عبد الحميد بن عصام[1].

ومن رواية عائشة وقال: لم يرو هذا الحديث عن ابن جريج إلا أبو عاصم تفرد به علي بن سهل[2].

ومن رواية أبي سعيد الخدري وقال: لم يرو هذا الحديث عن فضيل إلا محمد[3].

وأورده الهيتمي في الزوائد من رواية ابن عمر وقال: وفي اسناد الطبراني عبد الله بن سيف الخوارزمي وهو ضعيف وأورده من رواية عائشة وقال ورجاله رجال الصحيح غير علي بن سهل وهو ثقة وابن سهل هذا هو الذي تفرد بالرواية.

وأورده من رواية أبي سعيد الخدري وقال: قلت له حديث في الصحيح غير هذا ـ رواه الطبراني في الأوسط وفيه ضعفاء وقد وثقوا.

وأورده عن أبي يعلى الموصلي من رواية جابر بن عبد الله وعن البزار

١- المعجم الأوسط للطبراني ج٨ ح٧٠١١ ص١٠.

٢- المصدر السابق ج٥ ح٤٧٦٨ ص٣٨٧.

٣- المصدر السابق ج٢ ح١٨٦٧ ص٥٠٣ ـ ٥٠٤.

من رواية ابن عمر وعن الطبراني من رواية ابن عباس.

فتعقب رواية الموصلي بقوله: وفيه محمد بن الفضل بن عطية وهو متروك وتعقب رواية البزار بقوله: وفي إسناد البزار سيف بن عمر وهو متروك وتعقب رواية الطبراني بقوله رواه الطبراني وفيه عبد الله بن خراش وهو ضعيف[١].

راجع الكلام عن ابن عطية وسيف بن عمر في حديث الشطط السادس والسابع تجد العجب واما الثالث فقد قال النسائي: عبد الله بن خراش... ليس بثقة[٢].

ونقل المحقق محمود ابراهيم زايد عن الميزان والكبير في حاشيته على كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي: قال البخاري منكر الحديث وضعفه الدار قطني وغيره وقال ابو زرعة: ليس بشيء وقال ابو حاتم: ذاهب الحديث[٣].

تأمل عزيزي القارئ في هذه الطائفة من الأحاديث ابتداءا من حديث الشطط السادس ومرورا بما يليه إلى أن تصل إلى الحديث الذي بين أيدينا ثم قف عند هذه المجموعة وقفة آملة وفلحصة سابرا أغوارها ثم اعرضها على كتاب الله وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الصحيحة وشرحها بمشرط الإسلام على أرض صلبة هي قواعد وضوابط عامة إسلامية علك توفق بالعبور إلى جانب الحقيقة ثم ارجع البصر كرتين تجد في سند الشطط السادس سيف بن عمر موصوما بالمواصفات التالية:

١- مجمع الزوائد للهيتمي ج ٥ جزء ٢ باب سب الصحابة.

٢- الضعفاء والمتروكين للنسائي ص٦٢.

٣- حاشية المحقق محمود ابراهيم زايد على ضعفاء النسائي ص٦٢.

مجهول ـ ضعيف ـ ضعيف ـ فليس خير منه ـ ليس بشيء ـ متروك ـ اتهم بالزندقة ـ عامة حديثه منكر.

وتجد في سند الشطط السابع محمد بن الفضل بن عطية موصوما بالمواصفات التالية:

متروك ـ متروك ـ متروك ـ سكتوا عليه ـ حديثه حديث اهل الكذب ـ لا يكتب حديثه ـ كذاب ـ رمي بالكذب.

وتجد في سند الشطط الثامن حبيب كاتب مالك موصوما بالمواصفات التالية:

كذاب ـ متروك الحديث ـ ليس بثقة ـ ليس بشيء ـ من اكذب الناس ـ روى احاديث موضوعة ـ احاديثه كلها موضوعة ـ يروي عن الثقات الموضوعات.

وتجد في اسناد الشطط محل البحث تفردا فتارة ينفرد به عبد الحميد بن عصام وتارة علي بن سهيل وتارة محمدبن مصعب القرقساني هذا من جهة الأفراد وأما من جهة الجرح والتعديل تجد في إسناده:

ضعيف ـ فضعفاء قد وثقوا ـ فمتروكين قد مضى عليهما الكلام ـ فآخر موصوما بالمواصفات التالية:

ضعيف ـ ضعيف ـ ليس بثقة ـ منكر الحديث ـ ليس بشيء ـ ذاهب الحديث.

وبعد ذلك أسألك ـ عزيزي القارئ ـ جادا وأطلب منك إجابة توازي حرية الضمير وتزان بميزان شرع الله، هل يجوز تكفير الملايين من المسلمين الشيعة بالتهمة والظنة؟ وعلى افتراض أن بعض المسلمين انتقد بعض من

يسمى صحابي فهل يجوز أن نكفر البعض معتمدين أحاديث متونها تخالف القرآن الحكيم والسنة المطهرة وأسنادها رجال صادؤون؟

فيالله وللمسلمين فمن أين جاء رجال هذه السلسلة المهترئة وبأحضان من تربوا ومن أي مدرسة تخرجوا ولأي بلاط بايعوا وبأي صور «بوق» ينفخون ويجأرون؟.

والعتب الجميل على ابن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري الشافعي شهاب الدين أبي العباس المتوفى «٩٧٣هـ» صاحب الصواعق المحرقة ومحل العتب أنه نقل في صواعقه أكثر من ثلاثين حديثا من أحاديث سب الصحابة محذوفة أسنادها ولم يقف على إثرها ببيان درجة واحد منها من ضعف وجهالة وعضال وانقطاع وغير ذلك.

ويا للعجب ما الذي منعه من بيان درجة الحديث هنا أنسيانا كان أم إيهاما لعوام الناس وليته بين ذلك إبراء لذمته ونصحا للمسلمين.

وها هم عوام المسلمين بل الكثير من العلماء الكلاسيكيين في مشارق الأرض ومغاربها يكتفون بوجود هذه الأحاديث الموضوعة في مثل الصواعق المحرقة دونما قيد أو شرط أو نظر في صحة متن أو سند، فهم ينعقون مع عامتهم ويلهجون بها ويكفرون أتباع آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بموجبها وكل ذلك بفضل انتشار أحاديث الصواعق محذوفة الإسناد من صدرها ودرجة الاختلاق من عجزها.

والأكثر عجبا أن الكثير من ذوي العلم المتضلعين في هذا الفن يعلمون أن أحاديث مقدمة الصواعق لا يصلح للاحتجاج فضلا عن الاعتبار على نبتة حنظل، أو حبة من شعير اختصم عليها جاهلان فضلا عن تكفير المسلمين،

غير أنهم يتكتمون عليها كما تكتم عليها صاحب الصواعق وقد قال الله تعالى: **﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾**[١].

١- سورة البقرة:آية ١٥٩.

الحديث العاشر

طوبى لثلاثة أجيال

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (طوبى لمن رآني ومن رأى من رآني ومن رأى من رأى من رآني ثلاثا) أخرجه الطبراني في الأوسط عن محمد بن أحمد... المقرئ البصري عن دينار... مولى أنس... عن أنس بن مالك[1].

ونقله صاحب الصواعق عن الحاكم والطبراني وعبد الحميد عن أبي سعيد وابن عساكر عن واثلة[2].

وأورده الهيتمي في الزوائد عن الطبراني من حديث عبد الله بن بسر وعنه من حديث وائل بن حجر وعنه من حديث أنس بن مالك وعنه من حديث سهل بن سعد غير أن رواية سهل جاءت بصيغة «اللهم اغفر للصحابة ولمن رأى ولمن رأى...».

ولقد قفى الهيتمي على إثر حديث عبد الله بن بسر بقوله: وفيه بغية وقد صرح بالسماع فزالت الدلسة.

وقفى على إثر حديث وائل بن حجر بقوله: وفيه من لم أعرفهم.

وقفى على إثر حديث أنس بن مالك بقوله: وفيه من لم أعرفه.

وقفى على إثر حديث سهل بن سعد بقوله: ورجاله رجال الصحيح غير عبد الجبار بن أبي حازم إن كان هو أبو يحيى المدني هو فليح بن سليمان قال

١- المعجم الأوسط للطبراني ج٧ ح٦١٠٢ ص٦٣.

٢- الصواعق المحرقة لابن حجر ص٦.

ابن حبان: أظنه فليح بن سليمان ذكر ذلك في ترجمة عبد الجبار بن أبي حازم قال: وقد ذكره عبد الجبار في الثقات[١].

وأخرجه الحاكم في المستدرك ـ وفي سنده جميع بن أيوب ويقال له ابن توب ـ وقال: هذا الحديث قد روي بأسانيد قريبة عن أنس بن مالك... مما علونا في أسانيد منها أو أقرب هذه الروايات إلى الصحة ما ذكرناه.

وتعقبه الحافظ الذهبي في تلخيصه على المستدرك بعد إيراده الحديث بقوله:« قلت جميع واه»[٢].

وقال البخاري في كتابه الضعفاء والصغير: جميع بن أيوب الشامي ويقال ابن توب... منكر الحديث[٣].

ونقل المحقق محمود إبراهيم زايد في حاشيته على صغير البخاري عن الميزان والكبير: قال الدارقطني وغيره منكر الحديث... فقال ابن عدي: رواياته تدل على أنه ضعيف[٤].

وقال النسائي في كتابه الضعفاء والمتروكين: جميع بن توب الشامي متروك الحديث[٥].

١- مجمع الزوائد للهيتمي ج٥ جزء ٢ ص٢٣.

٢- التلخيص للذهبي على ذيل المستدرك ج٤ ص٨٦.

٣- الضعفاء والصغير للبخاري ص٢٦.

٤- حاشية محمود إبراهيم زايد على صغير البخاري ص٢٦.

٥- الضعفاء والمتروكين للنسائي ص٢٨.

الحديث الحادي عشر

الرؤية والنجاة

عن جابر بن عبد الله الأنصاري يقول سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: (لا تمس النار مسلما رآني أو رأى من رآني) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى ابن إبراهيم الأنصاري[١].

ورواه الطبراني في الأوسط عن عبد الرحمن بن عقبة الجهني عن أبيه بلفظ «لا يدخل النار مسلم رآني ولا رآى من رآني ولا رآى من رآى من رآني»[٢].

ولكون هذه الرواية من الزوائد أوردها الهيتمي في المجمع وقال: وفيه من لم اعرفهم[٣].

تأمل أخي المسلم فباعتبار أن الحكم هنا لا يقوم إلا على الأدلة الشرعية ـ وبموجب أن الأحكام منوطة بالصحيح منها وهي الخبر الصادق ومنه الحديث النبوي الصحيح وليست منوطة بالحديث الضعيف ولا تناط بكثرته ـ يجب على كل مسلم أن لا يتجاهل دراسة الواقع العملي لهذا الحديث « لا تمس النار مسلما رآني...» وما قبله «طوبى لمن رآني..» فارجع إلى حديث الشطط العاشر تجد رجال إسناده موصومين بما يلي:

١- سنن الترمذي ج٥ ج٣٨٥٨ ص ٦٥١ ت أحمد محمد شاكر.

٢- المعجم الأوسط للطبراني ج٢ ح١٠٤٠ ص٢٥.

٣- مجمع الزوائد للهيتمي ج٥ جزء ٢ ص٢٤.

- في سند الرواية عن الصحابي بسر (بغية كان من المدلسين).
- وفي سند الرواية عن الصحابي وائل بن حجر مجاهيل لا يعرفهم الهيتمي.
- وفي سند الرواية عن الصحابي أنس بن مالك مجاهيل لا يعرفون.
- وفي سند الرواية عن الصحابي سهل بن سعد مجهول (لا يعرف هل هو أبو يحيى المدني الذي هو فليح بن سليمان كما ظنه ابن حبان المحدث الجليل فيكون ثقة؟ أم هو غيره فيكون كذابا او وضاعا او ضعيفا؟ لا ادري بأي منها وصموه علماء هذا الشأن.
- وفي سند رواية الحاكم رجل اسمه جميع بن توب الشامي وصفوه بما يلي: واه ـ منكر الحديث ـ منكر الحديث ـ إنه ضعيف ـ متروك الحديث.
- ثم امرر على حديث الترمذي الذي بين ايدينا من رواية جابر تجد حديثا حسنا غريبا لا يعرف عند أهل العلم من هذه الملة إلا عن رجل اسمه موسى بن ابراهيم.

وتبصر في رواية الطبراني تجد فيها مجهولا لا يعرف كما نص عليه الهيتمي.

الحديث الحسن

وباعتبار أن الأحاديث الحسنة وما يشبهها وما يقاربها وما يصلح للاحتجاج بها عند اخوتنا أهل السنة دون الاعتبار فقط وعليها مدار أكثر الأحكام الشرعية ـ لأن الأغلب على الأحاديث لم تبلغ رتبة الصحيح ولذا يكون عليها مدار أغلب العمل والافتاء فلو ردت لتعطل أجزاء الكثير من

أنواع الطاعات تعبدية كانت أو توصلية وكذلك الكثير من عمل دور الإفتاء والمحاكم.

وهنا منشأ للخلاف فهل يأخذ المسلم دينه من الحديث الحسن؟ وهو الذي في سنده مجاهيل ومستورون أو قاصرون ومقصرون في الحفظ والضبط والإتقان أو مغفلون وان كانوا ثقات وعليه أكثر المحدثين وعمل به عامة الفقهاء، أم لا يجوز للمسلم أن يعمل بموجبها لأنها لا تصلح إلا للاعتبار فلا عمل ولا احتجاج لأننا نعلم يقينا أن الحديث الحسن لم يكن حسنا إلا لعلل في رجاله قصرنه دون الصحيح، ونعلم كذلك أن جملة منه واسعة النطاق موجودة بلا ريب في حملته هي في حقيقة الامر والواقع مكذوبه وموضوعة وعليه الكثير من المحدثين.

ومثال ذلك ما «روى عن ابن أبي حاتم أنه قال: سألت أبي عن حديث فقال: إسناده حسن قلت يحتج به قال لا»[1].

وبعد هذا الذي ذكرنا نود أن نطلعك على تعريف الحديث الحسن لتعرف منه القيمة الروائية لرجال إسناده.

قال الخطابي: «هو ما عرف مخرجه واشتهر رجاله»[2] ولكن بعضهم رد على هذا التعريف.

قال: ابن جماعة يرد على هذا الحد ضعيف عرف مخرجه واشتهر رجاله بالضعف[3].

١- تدريب الراوي للسيوطي جزء أول ص ١٥٤.

٢- متن التقريب بشرح التدريب جزء أول ص١٥٣.

٣- التدريب على التقريب للسيوطي جزء أول ص١٥٤.

وقال الترمذي: كل حديث يروى لا يكون في إسناده من يتهم بالكذب ولا يكون الحديث شاذا ويروى من غير وجه نحو ذاك فهو عندنا حديث حسن[١].

وقال: بعض المتأخرين الحديث الذي فيه ضعف قريب محتمل هو الحديث الحسن ويصلح العمل به.

وتعقب ابن الصلاح هذه التعريفات الثلاث بقوله: «كل هذا مستبهم لا يشفي الغليل... وقد أمعنت النظر فتنقح لي واتضح أن الحديث الحسن قسمان إحداهما الحديث الذي لا يخلو رجال إسناده من مستور لم تتحقق أهليته غير أنه ليس مغفلا كثير الخطأ في ما يرويه ولا هو متهم بالكذب في الحديث أي لا يظهر منه تعمد الكذب في الحديث ولا سبب آخر مفسق ويكون متن الحديث مع ذلك قد عرف بأن روي مثله أو نحوه من وجه آخر أو أكثر حتى اعتضد بمتابعة من تابع راويه على مثله أو بماله من شاهد... فخرج بذلك عن أن يكون شاذا ومنكر وكلام الترمذي على هذا القسم يتنزل.

والقسم الثاني أن يكون راويه من المشهورين بالصدق والأمانة غير أنه لم يبلغ درجة رجال الصحيح لكونه يقصر عنهم بالحفظ والإتقان وهو مع ذلك يرتفع عن حال من يعد ما ينفرد به منكرا ويعتبر في كل هذا مع سلامة الحديث من أن يكون شاذا ومنكرا وسلامته من أن يكون معللا وعلى هذا القسم يتنزل كلام الخطابي... وكأن الترمذي ذكر أحد نوعي الحسن وذكر الخطابي النوع الآخر مقتصرا كل واحد منهما على ما رأى أنه يشكل معرضا عما رآه لا يشكل أو غفل عن

١- علل الترمذي ص٥١.

البعض وذهل»[١].

قلت: استبهم ابن الصلاح على الخطابي والترمذي تعريفيهما للحديث الحسن وذهب يقسمها إلى قسمين وهو كذلك ثم نزل تعريف الترمذي منزل إحديهما ونزل تعريف الخطابي منزل الثاني توفيقا بين التعريفين وبالتالي وصم كليهما بالذهول والغفلة والحال ليس كذلك وبخاصة الترمذي باعتبار أن كتابه الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي هو أصل في معرفة الحديث الحسن وقد ذكره كثيرا وعرفه في كتاب العلل وهو من الذين وضعوا المصطلح لهذا النوع من الحديث ان لم يكن مبتكره فكيف يكون غافلا ومذهولا بعد قوله في التعريف: «هو كل حديث يروى لا يكون في اسناده من يتهم بالكذب» .

هذا يشمل قسمي الحديث الحسن الذي قسمه ابن الصلاح لأن المشهور بالصدق والأمانة غير أنه سيء الحفظ والإتقان لا يتهم بالكذب وكذلك المستور لا يتهم بالكذب حيث لا مسلط على باطنه حتى يكشف ستره عن سوء سريرته وباعتبار أن كلا منهما يحمل صفة الضعف فإذا اعتضد بتابع أو شاهد ارتفع الحديث عن كونه ضعيفا إلى درجة الحسن ولذلك قال الترمذي في آخر التعريف «ويروى من غير وجه نحو ذاك فهو عندنا حديث حسن» وعليه فالترمذي فصل بين الحديث الصحيح من الحسن لا كما استبهم عليه ابن الصلاح قوله.

١- مقدمة علوم الحديث لابن الصلاح ص١٦.

وأي قفزة وأي طفرة؟

هذا كله من حيث تعريف الحديث الحسن أما من حيث قبوله والعمل به فغير مجمع عليه كما مر قريبا. وها هم الشافعية الكثير منهم لا يقبل العمل بالحديث الحسن فضلا عما هو دونه كما فهمناه من حوار اجراه ابن الصلاح في المقدمة. وعليه فما بالك بالحديث الذي بين أيدينا «لا تمس النار مسلما رآني...» فهو غير صالح للاحتجاج ولا للاعتبار وما معناه والحديث الذي قبله «طوبى لمن رآني» إلا كمثل معنى القفزة عند الشيوعيين أو الطفرة عند نظام المعتزلة والكثير من المتكلمين المسلمين.

فالقفزة في الفكر الماركسي هي أن التغيير في الكيف لا يتدرج تبعا لتغيير الكم وإنما تغيير الكم يهيئ ويعد العدة لولادة كيف جديدة فإذا وصل الكم عند حد معين تم تغيير الكيف فجأة وبقفزة.

مثال: تراكم الحجارة التي تصبح سدا والماء عند الغليان يصبح بخارا.

وأما الطفرة هي «أن يكون الجسم الواحد في مكان ثم يصير إلى المكان الثالث ولم يمر بالثاني على جهة الطفرة» وهذا القول زعمه النظام كما يقول أبو الحسن الأشعري: وذكر أن إبراهيم «النظام اعتل في ذلك بأشياء ومنها الدوامة يتحرك أعلاها أكثر من حركة أسفلها ويقطع الجز أكثر مما يقطع أسفلها وقطبها، قال: وإنما ذلك لأن أعلاها يماس أشياء لم يكن حاذى ما قبلها»[1].

فكذلك حديث «لا تمس النار مسلما رآني ولا من رأى من رآني ولا من رأى من رأى من رآني» فإنه يدفع بالإنسان من الإيمان أو الإسلام

١- مقالات الاسلاميين لأبي الحسن الاشعري ص٣٢١.

المجرد إلى مجرد رؤية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجأة على جهة القفـزة أو الطفرة دونما أن يهيئ للعمل بل لا يمـر بـه ولا يحاذيـه فـهو أشـد مـن القفـزة وأسرع من الطفرة.

وهكذا طوبى لثلاثة أجيال من الناس هم الصحابة والتابعون واتباعهم حيث لا تمس النار جلودهم بل يحرم عليها مس ولو فرد واحد! وعليـه فطوبـى لمسـرف بـن عقبـة قـائد جيـش يزيـد هـادم الكعبـة المشـرفة ومبيـح أعـراض الصحابيات وبنات الصحابة لأنه رأى يزيـد بـائح أعـراض بنـات المـهاجرين والأنصار حتى للنصارى المعبئين في قيادة جيش مسرف بن عقبة، وطوبى لـيزيد لأنه رأى أباه معاوية سيد الفئة الباغية، وطوبى لسيد الباغين لأنـه رأى رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)!!.

مثال آخر: لا تمس النار الوليد بن عبد الملك ممزِّق القـرآن الحكيـم لأنـه رأى جده مروان الوزغ كما نص عليه رسول الله، ولا تمـس النـار جلـد الـوزغ لأنه رأى أباه الحكم الوزغ الطريـد الـذي طـرده رسـول الله (صلـى الله عليـه وآلـه وسلم) إلى الطائف لكونه يتجسّس عليه، ولم يرتضِ أن يرى وجهـه حتـى مـات (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا تمس النـار جلـد الحكـم الـوزغ الطريـد لأنـه رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)!!

وهكذا انتقل دين الاسلام عن كونه علماً وعملاً إلى مجرد رؤيـة بشـكل قافز أو طافر، فالفضل يعود للقفزة أو الطفرة اكراماً للظالمين وتبريراً لمخازيهم!!

ولو قيل أن العمل بأحاديث الرؤية يوجب العمـل بشـرطها وشـروطها ومن شروطها العمل الصالح واتقاء محارم الله، قلنا: هـذا مـا نريـد. وعليـه فَلِـمَ الحكم لفراعنة الامة وطواغيتها آنذاك بطوبـى الجنـة وتحريـم أجسـادهم علـى

النار؟؟! ولم تكفرون أو تفسقون كل مسلم انتقص من أحدهم حتى وإن كان مجرما؟. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لو صدقنا حديث من رأى

لو صدقنا بحديثي «طوبى لمن رأى» و «لا تمس النار من رأى» فماذا نعمل؟ وأين المفر أمام ثلاثمائة وخمسين آية في القرآن الحكيم يذكر الله تعالى فيها العمل.

ولقد قسم العلامة الطباطبائي هذه الآيات الكريمة في ميزانه إلى طوائف:

منها ما يشترط الله فيها العمل الصالح بعد الإيمان، ومنها ما يصف فيها أجر العمل الصالح، ومنها ما ينص فيها على أمن العاملين، ومنها ما ينص فيها على المغفرة لمن صلح عمله، ومنها ما يعد فيها العاملين بالحياة الطيبة، ومنها ما يعد فيها العاملين بالجنة.

ومنها ما يذكر فيها غفران ما سبق من الذنوب بالعمل الصالح، ومنها ما يذكر فيها تبديل السيئات حسنات بالعمل الصالح، ومنها ما يصف فيها رجاء الفلاح بالعمل الصالح، ومنها ما يذكر فيها مضاعفة الجزاء بالعمل الصالح، ومنها ما يذكر فيها أنباءهم بما عملوا، ومنها ما يعدهم بالبشرى وهم في الحياة الدنيا.

ومنها ما يحتم فيها الاحاقة بأصحاب العمل السيء، ومنها ما يجعل فيها العمل هباء، ومنها ما يذكر فيها البراءة من عمل الغير إذا كان سيئا، ومنها يطلب فيها الدعاء بالتوفيق للعمل الصالح، ومنها ما يذكر فيها أنه يبصر ويخبر ويعلم بأعمالنا ولا يغفل عنها، ومنها ما يذكر فيها طلب رد المجرمين إلى الحياة

لأنهم لا يجدون شفيعا لهم ولا نصيرا من سوء أعمالهم، ومنها ما يذكر فيها الجزاء على ذرة العمل، ومنها ما يذكر الله فيها حبط الاعمال وهكذا إلى آخر ما نصه الله تعالى من آيات العمل.

فهل يجوز لنا أن نحكم بنجاة ثلاثة أجيال معتلين بحديث الرؤية المكذوب متنا وسندا ضاربين صفحا عن مئات الآيات التي تطلب العمل ولا تقيم وزنا لمجرد الرؤية بل ولا تذكرها وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أين المفر من آية الإنذار

وإذا كانت أحاديث الرؤية من الحقيقة في شيء فما هي القيمة التي تبقى لآية الإنذار وحديث الصحيحين واللفظ للبخاري بسنده عن أبي هريرة قال:

(قام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين أنزل الله: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ قال يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا)[١] ومعنى اشتروا أنفسكم أي أنقذوها من النار بالإيمان والعمل الصالح لا مجرد رؤية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وعلى أية حال فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنذر عشيرته الأقربين، وهم بنو هاشم وبنو المطلب كما في تفسير الجلالين، ثم كان بعد هذا والله أعلم دعاءه الناس جهرة على الصفا وانذاره لبطون قريش عموما

١- البخاري ج٣ ت. د. بغا. باب وانذر عشيرتك ح ٤٤٩٣ ص ١٦٨٠ مسلم بشرح النووي ج٢ جزء ١ ص٨٠.

وخصوصا كما نصه ابن كثير في تفسيره بالحرف.

قلت: بل وانذر أول ما أنذر رهطه المخلصين ثم خصوص الاقربين من هاشم والمطلب ثم عموم قريش كما أنزل الله في كتابه ﴿**وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين**﴾ ولقد جاءت هذه الزيادة في قرآن أبي بن كعب وقرأها آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كذلك وأوردها مسلم في صحيحه ونقلها العلامة الطباطبائي في بحثه الروائي من تفسيره الميزان عن علل الشرائع بصيغة أن رهطه المخلصين تفسير للاقربين، وبناء عليه جعل العلامة رحمه الله أنه من الممكن أن تكون هذه الزيادة من قبيل التفسير، قلت: ولعلها مجاراة من العلامة للوضع وللرواية وإلا فالصحيح ليس كذلك بدليل ما أخرج في صحيحه عن ابن عباس قال:

(لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الأقربين ورهطك منهم المخلصين، خرج رسول الله حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه..) ولقد اعترف النووي في شرحه على مسلم بعد أن ضبط كلمة المخلصين بفتح اللام قائلا: فظاهر هذه العبارة أن قوله: «ورهطك المخلصين كان قرآنا أنزل» إلا أنه قال بعد ذلك: ثم نسخت تلاوته وقال: «ولم تقع هذه الزيادة في روايات البخاري» وهو كذلك.

أقول ثانية: إذا آمنا وعملنا بأحاديث الرؤية المكذوبة «طوبى لمن رأى» و «لا تمس النار من رأى...» فماذا نعمل بآية الإنذار التي تطلب الإيمان والعمل الصالح وحديث الدار وما هو على شاكلتيهما من آيات وأحاديث اللهم إلا أن يقال: هناك مخرجان!!

«المخرج الأول» أن يقال: أحاديث الرؤية ناسخة لآية الإنذار وأحاديث

الدار والإنذار وهذا لا يقول به لبيب.

«المخرج الثاني» أن يقال: أحاديث الرؤيا شاملة لثلاثة قرون من البشر باستثناء آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأقرباءه من هاشم والمطلب وبالأخص العباس وصفية وفاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فهؤلاء لا تنفعهم الرؤية إلا مع العمل الصالح دون غيرهم لأنهم المنذرون فالآية تخصهم وهذا لا يقول به لبيب أيضا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

تنبيه:

الحديث الحسن لغيره عند العامة في فضل علي وفاطمة أو الأئمة (عليهم السلام) ولا يوجد عندهم ذلك الغير من تابع وشاهد، فإنه يجوز العمل به فيما لا يترتب عليه محذور وله شاهد عند اتباع آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يرفعه إلى درجة الحسن لو أن العامة استرجعوا ما غاب من رشدهم، وإنما مثلنا بفضل أهل البيت لأن كل حديث ورد عن اخوتنا أهل السنة في فضلهم ولم يبلغ رتبة الصحيح أو الحسن إلا بالمتابعات والاعتبارات والشواهد فإنه يتابع ويشهد له عند اتباع آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بخلاف ما لو ورد الحديث في فضل الكثير من غيرهم واحتاج للشواهد والمتابعة فلا يتابع عليه ولا يشهد له عند اتباع آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فتأمل والله العالم.

الحديث الثاني عشر

الرفض والإسلام

عن أم سلمة أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي: (... ممن يزعم أنه يحبك أقوام يرفضون الإسلام... لهم نبز يقال لهم الرافضة فإن ادركتهم فجاهدهم فإنهم مشركون فقلت يا رسول الله ما العلامة فيهم قال: لا يشهدون جمعة ولا جماعة ويطعنون على السلف الأول) أخرجه الطبراني في الأوسط وقال لم يرو هذا الحديث عن عطية عن أبي سعيد عن أم سلمة إلا سوار بن مصعب[1].

ونقله صاحب الصواعق وبألفاظ مختلفة عن الذهبي من رواية ابن عباس وعلي بن أبي طالب وعن الدار قطني من رواية علي وذكر أن لهذا الحديث طرقا كثيرة ولم يذكر منها إلا طريق فاطمة الزهراء وأم سلمة[2].

وأورده الهيتمي في الزوائد خمس مرات بألفاظ مختلفة وطرق متعددة:

ففي المرة الأولى: عن الطبراني في الأوسط من رواية أم سلمة بعين لفظه وقال: «وفيه الفضل بن غانم وهو ضعيف».

وفي المرة الثانية: عن الطبراني ثانية من رواية فاطمة الزهراء بلفظ «... وان من شيعته يلفظون الإسلام ويرفضونه لهم نبز يشهدون الرافضة من لقيهم فليقتلهم فإنهم مشركون» وقال: «ورجاله ثقات إلا ان زينب بنت علي لم تسمع من فاطمة فيما أعلم والله أعلم».

١- المعجم الاوسط للطبراني ح٦٦٠١ ص٣١٥ - ٣١٦.

٢- الصواعق لابن حجر الهيتمي ص٥.

وفي المرة الرابعة: عن الطبراني ثالثة من رواية ابن عباس بلفظ «.. يا علي سيكون في أمتي قوم ينتحلون حب أهل البيت لهم نيز يسمون الرافضة قاتلوهم فإنهم مشركون» وقال: «وإسناده حسن».

وفي المرة الخامسة: عن عبد الله والبزار من رواية علي بن أبي طالب بلفظ «يظهر في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام» وقال: «وفيه كثير بن اسماعيل السوا وهو ضعيف».

وفي المرة الثالثة: عن أبي يعلى والبزار والطبراني من رواية ابن عباس بلفظ «يكون في آخر الزمان قوم ينبزون الرافضة يرفضون الإسلام ويلفظونه قاتلوهم فإنهم مشركون» وقل: «ورجاله وثقوا وفي بعضهم خلاف»[1].

أقول: حديث الرفض بطرقه المتعددة لا يصلح للاحتجاج به بل يأثم من يحتج به ويكفر من يعمل بموجبه باعتباره مكذوب المتن وضعيف السند فعند النظر في الروايات الخمس تجد مايلي:

- في سند الرواية عن أم سلمة الفضل بن غانم ضعيف.
- وفي سند الرواية عن فاطمة الزهراء (عليها السلام) زينب لم تسمع من أمها فاطمة.
- وفي سند الرواية عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) كثير بن إسماعيل السوا ضعيف.
- وفي سند إحدى الروايتين عن ابن عباس تجد حديثا إسناده حسن.
- وفي سند الرواية الثانية عن ابن عباس رجال وثقوا وفي بعضهم خلاف.

١- انظر مجمع الزوائد ج٥ جزء ٢ ص٢٥.

تنبيهان:

الأول: أن الحديث الحسن هو في درجة دون الصحيح فوق الضعيف باعتبار أن رجال سنده أو بعضهم إما مجاهيل ومستورون وإما ثقات غير انهم سيئوا الأداء والحفظ والإتقان وكثيروا الغفلة والخطأ والنسيان وعليه فالحديث الحسن لا يقرر علما بل ولا عملا إن لم يتابع عليه بل إن الحديث الصحيح الآحادي وهو الذي لم يبلغ حد التواتر فإنه لا يقرر عقيدة إجماعا فضلا عن الحديث الحسن.

الثاني: إذا اختلف علماء الرجال في رجال السند فجرح بعضهم زيدا وعدله آخرون يقدم الجرح على التعديل وهذا هو الصحيح الذي عليه الجمهور وكما جاء في التدريب على التقريب ما ملخصه إذا اجتمع في الراوي جرح مفسر وتعديل فالجرح مقدم ولو زاد عدد المعدل... لأن مع الجارح زيادة علم لم يطلع عليها المعدل، ولأنه مصدق للمعدل فيما أخبر به من ظاهر حاله إلا أنه يخبر عن أمر باطن خفي عنه، وقيد الفقهاء ذلك بما لم يقل المعدل عرفت السبب الذي ذكره الجارح ولكنه تاب وحسنت حاله فإنه حينئذ يقدم المعدل[١].

سؤال حي والجواب ميت

في الحقيقة لا نريد أن نقول: كيف سمحتم لأنفسكم قديما وحديثا بالاحتجاج في الأحاديث الضعيفة والموضوعة ولقنتموها جهالكم حتى أصبح

١- انظر التقريب للنووي والتدريب في شرح التقريب للسيوطي جزء ١ ص٣٠٩ فانظر المقدمة لابن الصلاح ص ٥٢ وانظر الباعث الحثيث لابن كثير وتعليقات احمد محمد شاكر عليه ص ٩٦.

الناس يلهجون بها من كل حدب وصوب، ويتغنى بها كل شاد وباد ويفتي بموجبها كل شارد ووارد ـ إلا أننا نجد من أنفسنا معنى الاضطرار للتكرار كلما تكرر احتجاجكم بحديث ضعيف أو مختلق ثم ماذا تقصدون بإطلاق كلمة رافضة على اتباع محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في أحاديثكم ونواديكم ودور افتاءكم وغيرها في القديم والحديث وفي كل محفل ولقد تعودنا أن نسمع ونقرأ هذه الكلمة ومشتقاتها عنكم مثل ـ رافضة ـ ارفاض ـ روافض ـ رافضية ـ فهلا حددتم مفهوم هذه الكلمة ومن ابتكرها وما المقصود منها وما الداعي إليها؟

الرفض والغلاة

فإذا كان المقصود بكلمة رافضة هم الغلاة؟ فهؤلاء طوائف، ولقد تكلم فيهم علماء العقيدة وغيرهم من الباحثين بسطا وايجازا ونحن بدورنا نقسمهم ايجازا من باب مغاير للتقاسيم المألوفة فباعتبار أن الغلاة متعددون والمغالى فيه متعدد كذلك.

وعليه فمن الممكن حصرهم في ثلاث فرق.

الأولى الغلاة في آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم):

نمثل لهذه الفرقة (بالخطابية) ولا نرغب أن نتكلم عنهم إلا على لسان كبير من كبراء الفرقة الحقة والطائفة المحقة لبيان اعتقادنا في الغلاة قال الإمام عبد الحسين شرف الدين الموسوي:

«الخطابية أصحاب ابي الخطاب محمد بن مقلاص الأجدع عليه وعليهم

لعنة الله والملائكة والناس أجمعين كان قبحه الله مغاليا في الصادق (عليه السلام) فاسد العقيدة خبيث المذهب لا ريب في كفره وكفر أصحابه وقد تبرأ منه الصادق (عليه السلام) ولعنه وأمر الشيعة بالبراءة منه..

ولهذا الكافر بدع كثيرة: منها تأخير صلاة المغرب حتى تستبين النجوم، وقد نسب الجاهلون هذه البدعة إلينا على أنا نبرأ إلى الله منها وممن ابتدعها، والذي نذهب إليه أن أول وقت صلاة المغرب غروب الشمس من جميع أفق المصلى، ويتحقق ذلك بارتفاع الحمرة المشرقية كما لا يخفى على من راجع فقهنا»[١].

الثانية الغلاة في آل معاوية بن أبي سفيان:

ونمثل لهذه الفرقة (باليزيدية) كما جاء على لسان عبد الوهاب عبد اللطيف الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف قوله:

«والمعروف للباحثين أنهم (أي الزيدية) طائفة من قرية بالموصل تسمى «ترهايا» كانوا على دين المجوسية وسكنوا جبال حلوان من الأكراد فنزل بينهم الشيخ علي بن مسافر الأموي الزاهد فاسلموا واعتقدوه وتغالوا في تعظيمه وسموا بالعدوية، والمؤرخون على أن علي بن مسافر الأموي ورع زاهد ولد بقرية من أعمال بعلبك بسورية وسكن جبال الهكارية لارشاد الكرد الجبليين وتوفى بالموصل ودفن بجبال ليلش سنة «٥٥٧هـ » وقد قال فيه الشيخ عبد القادر الجيلاني: «لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها عدي بن مسافر» وقد ترجم له: ابن الأثير في الكامل وابن خلكان وعمر الوردي وأبو الفدا

١- حاشية الإمام عبد الحسين على فصول المهمة ص٣٨.

والذهبي..

وكان اليزيدية يسمون أولا بالعدوية لانتسابهم إلى علي هذا وقد ظهر فيهم بعد موته الغلو فيه حتى أنهم كانوا يعتقدون أنه تعهد لهم بصومهم وصلاتهم وأنه سيقودهم إلى الجنة بغير حساب.

ثم سموا بعد ذلك باليزيدية... وإنهم يؤلهون يزيد بن معاوية ومساكنهم الآن في لواء الموصل في «سنجار والشيخان» وشيخان هي قرية باعذرا وما جاورها وعين سفني.

ومن عقائدهم أن أول مخلوق من الملائكة السبعة هو: عزرائيل ويسمى طاووس ملك وأن القرآن يتعبد ببعض آياته وإن الكتاب المقدس عندهم كتابان الأول: «الجلوة» وينسب ما فيه إلى عدي بن مسافر والثاني يسمى «مصحف رش» ورش معناها بلغة الكرد: الأسود وكتب بعد عدي بمائة سنة»[1]

وهذه الفرقة المنتسبة لجماهير إخوتنا أهل السنة خرجت من حظيرة الإسلام وعداد المسلمين.

الثالثة الغلاة في أنفسهم:

ونمثل لهذا الفرقة ببعض غلاة الصوفية من أصحاب الحلول والاتحاد ووحدة الوجود أمثال محي الدين بن عربي الكبريت الأحمر والحلاج وابن سبعين والصدر الرومي والعفيف التلمساني وغيرهم وبما أن الحلول قريب من الاتحاد ـ فإذا اتهم أحدهم بأحدهما اتهم بالآخر ـ عبر أهل النظر

١- مقدمة استاذ أصول الدين عبد الوهاب عبد اللطيف على الصواعق ص. س.

والبلحثون عن الفارق بينهم كل بما رآه مناسبا للبحث من بسط وايجار:

جاء على لسان عبد الرحمن بدوي أن الاتحاد «هو شهود وجود واحد مطلق من حيث أن جميع الأشياء موجودة بوجود ذلك الواحد معدومة في نفسها لا من حيث أن لها سوى الله وجودا خاصا يصير متحدا بالحق، وأما الحلول فيقتضي شيئين وينقسم إلى قسمين: حلول سرياني وحلول جرياني، والأول: هو اتحاد جسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما عين الإشارة إلى الآخر كحلول ماء الورد في الورد فسمى الساري حالا والمسري فيه محلا، أما الحلول الجرياني: فهو عبارة عن أن يكون أحد الشيئين طرفا للآخر مثل الماء والكأس»[1].

وفرق بينهما: عمر فروخ بقوله: «الاتحاد شيوع الالوهية في العالم كله، أما الحلول فهو نزول الإله في شخص من الأشخاص مرة بعد مرة كأن يتخذ الله عددا من أشخاص الناس أو أعيان الوجود الطبيعية حجبا يتقلب فيها»[2].

وأما شيخ الإسلام ابن تيمية قسم كلا منهما إلى مطلق ومقيد وقال: «وأما ما جاء به هؤلاء «يقصد غلاة الصوفية» من الاتحاد العام ما علمت أحدا سبقهم إليه... وذلك أن حقيقة أمرهم أنهم يرون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق وأن وجود ذات الله خالق السموات والأرض هي نفس وجود المخلوقات فلا يتصور عندهم أن يكون الله خلق غيره ولا أنه رب العالمين...»[3].

وباعتبار أن ابن عربي يفرق بين الوجود والثبوت في العدم ـ فما كنت

١- شطحات الصوفية د. عبد الرحمن بدوي ص ١٤ ـ ١٥.

٢- التصوف في الاسلام د: عمر فروخ ص١٧٥.

٣- شطحات الصوفية: د. عبد الرحمن بدوي ص١٥ نقلا عن مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ص١٧٢ ـ ١٧٦ ـ ١٧٧.

به في ثبوتك ظهرت به وفي وجودك فالاتحاد في الوجود والاختلاف في الـذوات، وهذا بخـلاف مـا عليـه الصـدر الرومـي والعفيـف التلمسـاني والكثـير مـن الاتحاديين، ومن هذا الاعتبار ـ جاء عن ابن تيمية ما معناه: «اقرب الملاحـدة إلى الإسلام محي الدين ابن عربي».

وأما عبد الرحمن الوكيـل ربـط اللاحـق مـن الصوفيـة بالسـابق منـهم وألحق التصوف الشعبي بالفلسفي ولم يستثن منـهم شـيخا ولا مـن نهجـهم طريقة، وجعل دين الصوفية غير دين الإسلام فأضفى على الغاية أقصاها حيث قال تحت عنوان خلاصة ديـن الصوفيـة: (أن خلاصـة ديـن الصوفيـة وفكرهـا وخلقها لا تقابل بل لا تضـاد لا تنـاقض إن الكـل ذات واحـدة هـي ذات الله سبحانه أو كما يقول ابن عربي: «مـا في الوجـود مثـل، فمـا في الوجـود ضـد، الوجود حقيقة واحدة والشيء لا يضاد نفسه»)[١].

قلت: الصحيـح التفرقـة باعتبـار أن هـذا الطريـق وإن كـان تطرفـا في النهاية غير أنه تصوف في البداية، والطرائق بعدد انفاس الخلائق، فلا يجـوز أن نلحـق التصـوف الشـهودي بـالحلولي، ولا التصـوف الشـعبي بالفلسـفي، ولا الطريقة التي لا تتخطى الكتاب والسنة الصحيحة بالطريقة التي اسـتقيت من تصوف يهودي أو بوذي أو زرادشتي وغيرهـا عـن طريـق رياضـات دخيلـة لا تمت للإسلام بصلة، فلو أن مسلما زهـد الزهـد الإسـلامي وعبـد الله وفـق الكتاب والسنة بـلا زيـادة ولا نقصـان فوصـل إلى المقـام الكذائـي فوهبـه الله حالا ـ باعتبار أن المقامات مكاسـب والأحـوال مواهـب ـ لا يتكلـف لـه طلبـا ولا يستطيع له ردا فظهر منه شطحا فـهو معـذور ومـأجور باعتبـار لم يتعـد في

١- هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل ص١٧٤.

الوسائل التي أدت به إلى هذه النتيجة فتأمل.

ولا أجمل من كلام الشيخ عبد القادر عيسى وهو يقسم طرق الاتحاديين في وحدة الوجود حيث قال: «اختلف علماء النظر في موقفهم من العارفين المحققين القائلين بوحدة الوجود فمنهم من تسرع باتهامهم بالكفر والضلال... ومنهم من لم يتورط بالتهجم عليهم... وهكذا شأن المنصفين... وتنوير للافهام فنقول: إن الوجود نوعان وجود قديم أزلي وهو واجب وهو الحق سبحانه... ووجود جائز عرضي ممكن... وإن القول بوحدة الوجود يحتمل معنيين أحدهما حق والثاني كفر ولهذا فالقائلون بوحدة الوجود فريقان:

١ــ الفريق الأول: أراد به اتحاد الحق بالخلق.. وانه عين الأشياء.. قوله هذا كفر وزندقة وأشد ضلالة من أباطيل اليهود والنصارى وعبدة الأوثان.

٢ــ الفريق الثاني: إنما أرادوا بوحدة الوجود القديم الأزلي وهو الحق سبحانه فهو لاشك واحد منزه عن التعدد ولم يقصدوا بكلامهم الوجود العرضي المتعدد... لأن وجوده مجازي وفي اصله عدمي لا يضر ولا ينفع فالكون في نفسه معدوم.. وهؤلاء قسمان:

أ ــ قسم أخذ هذا الفهم بالاعتقاد والبرهان ثم بالذوق والعيان وغلب عليه الشهود.. ففني عن نفسه فضلا عن شهود غيره مع استقامته على شرع الله وهذا قوله الحق.

ب ــ وقسم ظن أن ذلك علم لفظي فتوغل في تلاوة عباراته وتمسك بظواهر إشاراته وغاب في شهودها عن شهود الحق، فربما هانت الشريعة في عينيه.. وتكلم بما ظاهره أن الشريعة في جهة يختص بها أهل الغفلة والحقيقة في جهة أخرى يختص بها أهل العرفان ولعمري أن هذا لهو عين الزور والبهتان

وما ثم إلا شريعة ومقام إحسان»[١].

قلت: التقسيم صحيح غير أنه لا يجدي في الاعتذار لأن الذين تمسكوا بظواهر الاشارات فغابوا في شهودها عن شهوده كالذين غابوا في شهوده عن شهودها حسب التقسيم كلاهما ينسلون إلى قنطرة عندها تزل الاقدام، ويشهد لذلك خبير التصوف وفيلسوف المتصوفة أبو حامد الغزالي في المنفذ من الضلال حيث قال:

«حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وارواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من عالم الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق فلا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه، وعلى الجملة ينتهي الأمر إلى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول وطائفة الاتحاد وطائفة الوصول وكل ذلك خطأ»[٢].

رفض سعد بن عبادة:

وإن كان المراد بكلمة رافضة الذين رفضوا خلافة الشيخين في عصرهما أو في عصر زيد بن علي زين العابدين كما قيل فهذا سعد بن عبادة الصحابي الجليل هو أول من رفض خلافة أبي بكر وعمر فلم يشهد لهما شورة ولا رأيا ولا جمعة ولا جماعة قال: ابن قتيبة:

«فكان سعد لا يصلي بصلاتهم ولا يجمع بجمعتهم ولا يفيض

١- حقائق عن التصوف الشيخ عبد القادر عيسى ص٥٥٢ ـ ٥٥٣ـ ٥٥٤ـ ٥٥٥ـ ٥٥٦ .

٢- المنقذ من الضلال للغزالي ص١٤٠ ـ ١٤١.

بافاضتهم ولو يجد عليهم أعوانا لصال بهم ولو تابعه أحد على قتالهم لقاتلهم»[١].

فهل هذا الصحابي سعد بن عبادة رافضي عندكم؟ وهل يرفض الإسلام كما زعمتم في الحديث الذي نحن في صدده أم رضي الله عنه وارضاه، فإذا كان مرضيا عنه كما هو المعتقد فما الفرق بين رافضي ورافضي مع اتحاد الموجب في مناط الحكم؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وإذا كان عجز الحديث المشؤوم هذا نصه «فاقتلهم فإنهم مشركون» فهل الشرك والقتل ينطبقان عندكم على سعد بن عبادة باعتباره أول رافضي بعد موت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ أنا أجيب عن أخواني أهل السنة ـ بالطبع لا، سعد بن عبادة غير رافضي وغير مشرك وغير مهدور الدم بل من السابقين الأولين ورضي الله عنه أرضاه، وبعد الجواب نستأنف السؤال ثانية:

فإذا كان هذا كذلك عندكم فما بال عمر بن الخطاب اعتبر سعد بن عبادة رافضيا فقيض له المغيرة بن شعبة وقيل خالد بن الوليد ورجلا آخر قيل هو محمد بن مسلمة فقتلاه ليلا غيلة فهتف صاحب خالد ببيتين من الشعر على لسان الجن:

قد قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة
ورميناه بسهمين فلم نخطئ فؤاده

راجع أول الكتاب الحديث الثاني ترى العجب.

وإذا كان صدر الحديث المشؤوم هذا نصه «يظهر في آخر الزمان قوم

١- الامامة والسياسة جزء ١ ص١٧.

يسمون الرافضة» فهو إن دل على شيء فإنه يدل على أنه مكذوب، ولو كان له نطق وإحساس لأعلمنا باسم مختلقة زورا وبهتانا، لان الرافضة ليسوا بقوم جاءوا بآخر الزمان وانما هم فريق من الصحابة الإجلاء أشهرهم مبتكر الرفض سعد بن عبادة.

ثم تعال معي نسبر هجرة سعد إلى حوران الشام فنجعل فاتحة البحث طبقات بن سعد فيما يرويه عن سعد بن عبادة قوله لعمر بن الخطاب بعد أن أصبح خليفة: «والله أصبحت كارها لجوارك.. فلم يلبث إلا قليلا حتى خرج مهاجرا إلى الشام في أول خلافة عمر»[1].

رفض العامة:

وإذا كان المراد بكلمة رافضة الذين يحبون آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم لا يكون العامة روافض بحنفشعيتهم وحنلكيتهم باعتبار أن جميع المسلمين داخلون في هذا المفهوم، ولا يخرج منهم إلا النواصب الذين نصبوا العداء لآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم أربع فرق:

الأولى: مبتكروا الوخز ومؤسسوا التبديل وكاتبوا الزور ومغيروا مجرى التاريخ الصحيح.

١- الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٦١٦ ـ ٦١٧.

الثانية: الناكثون.الثالثة: القاسطون.

الرابعة: المارقون.

وحسبنا ما أخرج مسلم عن علي بن أبي طالب قوله: (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلي أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق)[1].

ولكن أصحاب هذه الفرق عامة ورجالا منهم خاصة لم يكتفوا ببغض علي وسائر آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ وإن كان بغضهم علامة على النفاق المستكن في قلوبهم وكاشفا لما ابطنوه هذا إن سبق نفاقهم اما الذين لم يسبق لهم ذلك وإنما وقع منهم مؤخرا فأقل ما يبتليهم الله لا أن يعقبهم نفاقا إلى يوم يلقونه ـ وأنما زادوا عليه فهذا المسعودي يذكر الشحيح عبد الله بن الزبير بأنه:

«عمد إلى من بمكة من بني هاشم فحصرهم في الشعب وجمع لهم خطبا عظيما لو وقعت فيه شرارة من نار لم يسلم من الموت أحد وفي القوم محمد بن الحنفية «وعبد الله بن العباس» فالرواية تذكر وجود ابن عباس مع محمد بن الحنفية ولكن ليس هنا محل ذكرها فلذا ذكرناه بين معكوفين... وذكر... عن مساور بن السائب (أن ابن الزبير خطب اربعين يوما لا يصلى على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: لا يمنعني أن أصلي عليه إلا أن تشمخ رجال بآنافها».

١- مسلم بشرح النووي ج١ جزء ٢ ص٦٦.

وذكر أن النوفلي حدث في كتابه في الأخبار قال: «خطب ابن الزبير فنال من علي».. وذكر.. عن سعيد بن جبير قصة حوار بين ابن عباس وابن الزبير «فقال ابن الزبير: اني لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة»[١].

وذكر ابن الأثير أن عبد الله بن الزبير ألح على محمد بن الحنفية «وأصحابه في البيعة له فحبسهم بزمزم وتوعدهم بالقتل والإحراق وأعطاه عهدا إن لم يبايعوا أن ينفذ فيهم ما توعدهم به وضرب لهم في ذلك أجلا»[٢] وكان انتهاء الأجل عند غروب الشمس ثالث يوم فكادت الشمس تغرب فيحل إحراق الهاشميين وبيوتهم لدى ابن الزبير لولا أن الله انجدهم بأجناد العراق الذين سيرهم المختار إلى مكة المكرمة نصرة للهاشميين.

ولقد تناسى ابن الزبير أنه ابن سيد الناكثين عهد الله مع علي بن أبي طالب (عليه السلام) فلم يحبسه ولم يقتله ولم يجمع له حطبا يحيطه ليحرقه بالنار ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وآخر يجمع الحطب ليحرقن على آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيتهم وإن كانت فيه فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)[٣] وآخرون شتموهم وحاربوهم، وغيرهم قتلوهم و طردوهم وشردوهم وولغوا بدمائهم وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وهذا الإمام الشافعي عندما حدا به الأمر أن لا يذكر آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بخير، ولم يبق له الظالم إلا باطن حب يستكن في قلبه ولكن

١- مروج الذهب للمسعودي ج٢ جزء ١ ص ٨٥ ـ ٨٨ ـ ٨٩.

٢- الكامل لابن الاثير ج٤ ص ٢٤٨.

٣- أنظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة جزء١ ص١٩.

الحب قد يفضح صاحبه وبناء عليه قد راقبه العسس ووشى به المبطلون وعندها انبرى منشدا:

يا راكبا قف بالمحصب من منى واهتف بساكن خيفها والناهض
سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى فيضا كما نظم الفرات الفائض
إن كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان اني رافضي

وبعد هذا فلم لا يكون الشافعي رافضيا وإذا كان كذلك فهل يشمله صدر الحديث المشؤوم أم عجزه أم كلاهما؟!.

رفض الشيعة المتأخرين:

وإن كان المقصود بكلمة رافضة الذين يحبون آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وينهلون من فيض علمهم ويحذون حذوهم ويقتفون أثرهم ويقتدون بهم ويتخذونهم مثلا أعلى لهم فهؤلاء هم المهتدون حيث نفذوا عهد الله وتمسكوا بوصيه رسول الله كما أخرج مسلم عن زيد بن أرغم قال :

(قام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوما خطيبا بماء يدعى خما بين مكة و المدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: أما بعد أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله... وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي)[1].

وعليه فكيف يذم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من التزم بالثقلين فأن كان ولا بد منه، فالمفروض الأول أن يذم من فرط بهما أو بأحدهما،

١- مسلم بشرح النووي ج٨ جزء١ ص١٧٩-١٨٠.

والمفروض الثاني أن يكون الحديث المشؤوم ـ لو لم يكن موضوعا ـ هـذا نصـه «يكون في آخر الزمان قوم يسمون الناصبة ينصبون العداء للإسـلام فـاقتلوهم فإنهم مشركون» وحسبنا الله ونعم الوكيل.

رفض الشيعة الأوائل:

وإن كان المراد من كلمة رافضة اتباع آل محمد (صلـى الله عليه وآلـه وسـلم) الذين التزموا «بالمقروء» أي الكتاب والسـنة «والقـارئ» أي العـترة المطـهرة الذين عبر عنهما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسـلم) بـالثقلين وتـبرؤا مـن كل تغيير وتبديل فهذا صحيح، ولأجله قام مداحو الملـوك وتجـار التملـق أصحـاب الطباع الخسيسة والضمائر الرخيصة بإيجاد حديـث الرفـض المشـؤوم وامثالـه ليستساغ لفراعنة الأمة وطواغيتها الإجهاز على اتباع آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبالفعل قد حدث ذلك، فراجع تاريخ أبناء النبوة واتباعـهم مثـل حجـر بن علي ورشيد الهجري وميثم الثمار وجورية ابـن مسـهر وكميـل بـن زيـاد وقنبر وغيرهم من الصالحين.

فأنت لا تكاد ترى شيعة علي بن أبي طالب إلا وهم يتلقون أشد أنواع العذاب فتارة بالتنكيل والاضطهاد وتـارة بقطـع الألسـن مـن القفـى وأخـرى بالقتل والتشريد ورابعة بقطع الأيدي وسمل الأعـين وخامسـة بـالصلب علـى جذوع النخل وما إلى غير ذلك، والجناية تعود إلى مثل حديث الرفض المشـؤوم وما شاكله بالنص أو المفهوم، وصبر جميل والله المستعان على ما تصفون.

الحديث الثالث عشر

الموت والقيادة

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما من أحد من أصحابي يموت بأرضٍ إلاّ بعث قائداً أو نوراً لهم يوم القيامة)[1].

رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب ورواه أيضاً عن عبد بن مسلم أبي ظبية عن أبى بريدة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مرسل وهو أصح.

تأمل عزيزي القارئ في هذا الحديث الذي لا يوجب علماً ولا عملاً حتى ولا يصلح للاستئناس لأنه خداج المتن والسند حيث لا ينطبق على حال الصحابة وقالهم لا واقعاً ولا اعتقاداً بل ولا يخضع لقواعد وضوابط عامة إسلامية، ولكن أخوتنا أهل السنة أبوا إلا أن يستنبطوا منه حكماً يفرض على الله نجاة الصحابة في الآخرة ويفرض علينا عدالتهم وقبول شهادتهم ومروياتهم في هذه الحياة دونما أي التفاتة إلى المؤاخذات التي تَرِدُ على الحديث متناً وسنداً وإليك بعض التفصيل الكاشف عن علل هذا الحديث وركّته:

١ ـ أن أبا عيسى الترمذي هو الذي روى هذا الحديث وهو الذي وصفه بالغرابة وحكم عليه بالإرسال.

٢ ـ تنكير لفظة «أرض».

في الحديث يدل على تعمد حذف المضاف إليه والتقدير «ما من أحد من

١ـ سنن الترمذي ج٥ ص ٦٥٤.

أصحابي يموت بأرض كَذا وكذا ...».

ولا يمكن أن يقال أن تنكير لفظ «أرض» جاء للعموم لأنه تحصيل حاصل وإلاّ فالصحابة كلهم ماتوا بالأرض ولم يرفع أحد منهم إلى السماء كما حصل لعيسى (عليه السلام) على القول به، ولعل التابعي أو أبيه بريلة بن الْحُصَيْب هو الذي اختلق هذا الحديث أو زوّر به و لعل الذي دعاه إلى هذه الصنيع التملق لمعاوية أو الاضطرار، وباعتقادي أن صيغة الحديث كانت هكذا «ما من أحدٌ من أصحابي يموت بأرض الشأم إلاّ بعث قائداً ونوراً ...» غير أن الرواة مؤخراً استفظعوا لفظة «الشام» فاسقطوها وهناك وجه احتمال للتحليل لا نفضل التعرض له.

٣ ـ خلق الأحاديث التي لا واقع لها وتحريف مفاهيم الأحاديث الصحيحة أمر مستساغ في دهاء معاوية إلى درجة أنه عندما يصعد المنبر لا يغفل أن يطرق أسماع الناس بذكر طائفة الحق ـ يُعَرِّضُ بها عن نفسه ـ ثم يقوم شهداء الزور من جلاوزته فيشهدون ويذيعون أن هذه الطائفة هي بالشام وإليك نص الحديث:

أخرج البخاري بسنده عن معاوية يقول سمعت النبي يقول: (لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك) قال عمير فقال بن يخامر قال معاذ «وهم بالشام» فقال معاوية: (هذا مالك يزعم أنه سمع معاذ يقول وهم بالشام)[٢].

وأخرج مسلم بسنده عن جابر بن سَمُرَة عن النبي أنه قال: (لن يبرح

٢- البخاري ج٢ ت. د. بغا. باب سؤال المشركين أن يريهم النبي آية ح٣٤٤٢ ص١٢٤٣.

هذا الدين قائما يقاتل عليه من المسلمين ...).

وبسنده عن سعد بن أبي وقاص قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة) وأورد النووي في شرحه على مسلم أقوال الذين تكلموا في المعنى المراد من قوله: «أهل الغرب» وأورد من جملتها قول معاذ «وهم بالشام» كما أورده البخاري[1].

وأجمع اخوتنا السنة ـ عدا الوهابية ـ أن هناك أبدال.

وأن عددهم أربعون.

وأنهم من أهل الشام[2].

وأن قلوبهم على قلب موسى (عليه السلام)[3].

وأن عددهم هذا لا ينقص فإذا مات أحدهم أبدل مكانه من النقباء.

ثم تعال معي أخي المسلم نسبر أغوار تلك الطائفة من أحاديث الشيخين مسلم والبخاري لنجد أن الطائفة التي تقاتل على الحق يبدأ عملها من اللحظات التي أذن الله لرسوله وللمؤمنين بالقتال ولا أدل على ذلك من لفظة (لا تزال ـ لا يزال) التي تصدرت أحاديث الشيخين باعتبارها تفيد البدء أو الاستمرار »ولا يجوز أن يقال البدء بعد زمن رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لئلا يكون النبي الكريم والمهاجرون والأنصار خارج هذه الفضيلة التي أسست على أكتافهم وتفانوا فيها ومن أجلها منذ أن أذن الله لهم بالقتال بقوله تعالى:

١- مسلم بشرح النوي ج ٨ جراء ١ ص ٦٨ باب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين.

٢ - نور الأبصار للشبلنجي ص ٢٢٩.

٣ - تنوير القلوب ص ٤١٤.

﴿أذِنَ للذين يقاتَلُونَ بأنهم ظلموا﴾[١] ثم أمرهم بالقتال بقوله **﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾**[٢] ولما تمالأ المشركون من العرب على رسول الله والمسلمين عَمّ القتال بقوله **﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾**[٣].

وكذلك نجد أن هذه الطائفة هي بالشام، ومن هنا يتجلّى لك التزوير على رسول الله وعلى التاريخ، بدليل أن الجهاد للإيمان بالبرهان وللإسلام بالسيف في الميدان، بدأ الأول بمكة بِبدْءِ الدعوة وبدأ الثاني بالمدينة ببدأ الجهاد القتالي على حين أن أهل الشام برومها وعربها مازالوا على دين النصارى وغيره لمدة ستة وثلاثين سنة مضت على بدأ الإسلام إلى أن فتحت في عام ثلاثة عشر للهجرة بالفتح الإسلامي فتأمل.

ثم تعال معي أخي المسلم ثانية ننظر النظر الأخير في الأحاديث آنفة الذكر نجد أن مسلم في روايته الأخيرة يروي حديث طائفة الحق بصيغة «لا يزال أهل الغرب» والنووي يستأنس في شرحه على مسلم برواية عمير عن مالك بن يخامر عن معاذ قال: «وهم بالشام» وأما البخاري يذكر ذلك تعليقاً بصيغة الجزم فإذا أضفنا إلى ذلك أحاديث الأبدال التي تنص أنهم بالشام وأن قلوبهم على قلب موسى (عليه السلام) وأن عددهم أربعون وإذا أضفنا أن معاوية بالشام وهو صحابي والصحابي لا يدانيه بالفضل غيره إلى درجة «أن الغبار الذي دخل أنف معاوية مع رسول الله خير من عمر بن عبد

---

١ – سورة الحج:آية ٣٩.

٢ – سورة البقرة:آية ١٩٠.

٣ – سورة التوبة:آية ٣٦.

العزيز كذا وكذا مرة»[١]!.

وبناءً على ذلك كله تكون النتيجة اللازمة ـ وإن لم يلتزموا بها ـ كما يلي:

لا تزال طائفة حقةٌ من المؤمنين قائمةً على الحق والدين، تذبُّ عنه كيد المبطلين، وتجاهد بشتى أصناف الجهاد حسب الأزمنة والمكان، تبدأ ببدءِ الإسلام، وهي في الغرب، والمقصود به أهل الشام، وفي الشام أبدال ولا يكون الأبدال إلاّ من الصحابة في حال حياتهم إذ لا أفضل منهم، وعليه فصحابة الشام هم الأبدال، والأبدال هم رؤساء الطائفة الحقة، وقلوب الأبدال على قلب موسى (عليه السلام) ولا يجوز أن ينقص عدد الأبدال، فإذا مات أحدهم أبدل من النقباء، ومعاوية كرئيس للأبدال والأمّة، أخذ البيعة من الأبدال والأمّة لأعظم بدلٍ هو ولده يزيد، ومن نفحات يزيد وبركاته أن أرسل مسرف بن عقبة في جيش جرّار إلى المدينة المنورة فقتل أصحاب رسول الله من مهاجرين وأنصار وابناءهم في وقعة الحرة وأباح أعراض الصحابيات وبنات الصحابة الكرام وخصوصاً بنات الأنصار حيث فتحت ثلاثمأة عذراء وقيل ألف عذراء وهكذا يحرَّف الدين ويباح الشرف ويفترق المسلمون وهكذا تكون الأبدال، وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.

١- الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي ص ٢١٣.

الحديث الرابع عشر

أمان السماء والأمة

عن ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (النجوم أمان لأهل السماء وأصحابي أمان لأمتي)[١].

اخرجه الطبراني في الأوسط مرتين، مختصراً من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ومرة مطولاً من رواية محمد بن المنكدر عن أبيه، وتعقب الرواية الأولى بقوله: لم يرو هذا الحديث عن محمد بن سوقه إلا الصّبّاح تفرد به الحسين بن عيسى.

وتعقب الثانية بقوله: لم يرو هذا الحديث عن محمد بن سوقة إلاّ القاسم بن غصن تفرد به محمد بن عبد العزيز.

وتعقب الثالثة بقوله: لم يرو عن محمد بن سوقة إلاّ عبد الله بن عمرو تفرد به القاسم.

ونقله الهيتمي في الزوائد عن الطبراني وقال: إسناده جيد إلا أن علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس.

فأنت ترى أن الحديث منقطع لا يحتج به لأن طلحة لم يسمع من ابن عباس، وأحاديث ابن عباس كلها مرسلة إلى حد أن قيل أنه لم يسمع من رسول الله إلاّ أربع أحاديث أو ما يقرب من ذلك، وبعض الأقدمين ردّ مراسيل الصحابة مثل أبي اسحق الاسفراييني المتكلم الأصولي ـ وهو شيخ عبد القاهر

١- المعجم الأوسط للطبراني ج ٥ ح ٤٠٨٦ ص ٥٠.

البغدادي الشافعي صاحب كتاب الفرق بين الفرق وكذلك تكلم الحافظ البيهقي بما يؤول إلى هذا المذهب وعليه فالحديث معلول من ثلاث جهات مرسل ومعضل ومنقطع إلا انه له أصل في صحيح مسلم بسنده عن أبي بردة عن أبيه وفي مسند أحمد بسنده عن أبي موسى واللفظ للأول أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:

(النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون)[١].

استدل أخوتنا أهل السنة بهذا الحديث على أن الصحابة هم صمام أمان الأمة من الضياع والضلال والفتن، وباعتبار أنه يمنح الصحابة نوعا من الفضيلة لتشمل جميعهم فيلزم علينا أن نمنحهم نوعا من العدالة فبها تقبل الرواية والشهادة من جميعهم حتى وإن غرق بعضهم في عين بحر الفسق وخورام المروءة، فتبانوا في حالهم وقالهم: على هذا المسار من يومهم ذاك وإلى يومنا هذا.

أقول: إذا أردنا أن نعتذر عن حديث مسلم (أصحابي أمنة لأمتي) لا نستطيع أن نجد له واقعا إلا إذا أرجعنا الحديث إلى أصله وهو (أهل بيتي أمنة لأمتي) ونستأنس بما لم يستبعده الشيخ المظفر في دلائل الصدق وهو في مقام الرد على الفضل بل ليس القضية عدم إستبعاد وإنما هي حقيقية بدليل حديث ابن عباس عند الحاكم قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

١- مسلم بشرح النووي ج ٨ جزء ٢ ص ٨٣ مسند أحمد ح ٥ ح ١٢٠٧١ ص ٥٤٣.

(النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس)[1] أخرجه في المستدرك وقال: هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، واعترف ابن حجر في صواعقه بصحة هذا الحديث ولم يسمع لمغالطات الذهبي في تلخيصه على المستدرك.

وعليه يكون رواة أعلى السند عند أحمد ومسلم ورووا تورية المضطر بكلمة أصحابي، لأن أهل بيت النبوة كذلك أصحابه كما روى مسلم في باب الخلافة من صحيحه والبخاري في باب الاستخلاف من حديث رسول الله قوله: (... أثني عشر خليفة ... كلهم من قريش) لأن أهل بيت النبوة من قريش بل أفضلهم، وما ذلك إلا خوفا من سيف الحجاج إلا سمرة الصحابي قد زور هذا الحديث نفاقا لا خوفا، وكما ورى الصوفية كلمات التصريح بالحلول والاتحاد أو ما يؤول إليهما بالرموز والإشارات خوفا من السيف الذي هشم رأس الحلاج.

هذا كله إذا قبل أخوتنا أهل السنة اعتذارنا عن الحديث وإلا فالواقع يكذبه ويسقط وثاقة إسناده أصلا بدليل أن بعض الصحابة بل بعض كبارهم ومشيختهم هم الذين فرقوا حجاب أمان الأمة واعتاضوا بدله بضباب ضلال الأمة، وانقلبوا على أدبارهم من (أمنة) كما في الحديث المزور إلى هلكة ضالين ومضلين وإليك فيما يلي حادثة واحدة فعلها المهاجرون مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو على قيد الحياة بعد:

١- المستدرك للحاكم ٣ ص ١٤٩.

أخرج البخاري ومسلم واللفظ للأول بأسنادهما عن ابن عباس قوله:

(الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى خضب دمعه الحصباء فقال: اشتد برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجعه فقال: ائتوني بكتاب اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا) فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: هجر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ...)[1].

أورده البخاري سبع مرات في صحيحه ففي الأولى: جاء بصيغة (قال عمر أن النبي غلب عليه الوجع) وفي الثانية: (فقالوا هجر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي الثالثة: (قالوا ما له أهجر أستفهموه) وفي الرابعة: (فقالوا ما شأنه أهجر أستفهموه فذهبوا يرددون عليه) وفي الخامسة: (قال بعضهم أن رسول الله قد غلبه الوجع) وفي السادسة: (قال عمر أن النبي قد غلبه الوجع) وفي السابعة: (قال عمر أن النبي غلبه الوجع).

وكذلك أورده مسلم في باب ترك الوصية من صحيحه ثلاث مرات.

وقال الدكتور مصطفى البغا في شرحه لألفاظ البخاري عند الحديث المنصوص (وفي «نسخة» بهمزة الاستفهام أي أنكر بعض الحاضرين على من قال: لا تكتبوا وقال: لا تجعلوا كلامه ككلام من خلط وهدى).

تعال أخي المسلم ننظر في حديث رزية الخميس نظر الباحث الذي يؤمن بأن الإقلاع عن التعصب والتقليد والهوى يمون الضمير بالعثور على الحقيقة وعندها يتجلى لك الآتي:

تجد أن الصحابة رفضوا أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتبرؤا من

١- البخاري ج ٢ ت. د. بغا. باب جوائز الوفد ح ٢٨٨٨ ص ١٠٢٦.

طاعته وقد قال الله تعالى: **﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين﴾**[١].

وتجد أنهم شاقوا الرسول قبل موته وكأن الرسل يودعون بالشقاق والتمرد عليهم وقد قال الله تعالى: **﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾**[٢].

وتجد أنهم رفعوا أصواتهم فوق صوت النبي بالتشاجر والخصام وقد قال الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾**[٣].

وتجد أنهم وصموه بالهذيان بقولهم: يهجر وقد قال الله تعالى: **﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾**[٤].

وتجد أنهم وصموه بالخلط ومنهم عمر وقد نهاهم بعض الحاضرين عن مثل هذا الاتهام كما ذكر ذلك الدكتور مصطفى البغا آنفا وقد قال الله تعالى: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**[٥] وواقع الحال وظاهر ما هم عليه أنهم مضوا إلى مثواهم الأخير ولم يتوبوا ولم يرعووا عن صنيعهم ـ الذي يهتز له العرش ـ مع رسول الله وأهل البيت وأمة الإسلام.

ثم تعال عزيزي القارئ ثانية لنضع حديث الرزية على مشرط التشريح،

١- سورة النساء:آية ١٤.

٢- سورة النساء:آية ١١٥.

٣- سورة الحجرات:آية ٢.

٤ - سورة النجم:آية ٣ ـ ٤.

٥ - سورة الحشر:آية ٧.

فإنك تجد منطوق الحديث من قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا) يعصم الصحابة بل الأمة من التمزق والاختلاف إلى قيام الساعة وتجد أن المفهوم المخالف لمنطوق النص يستلزم ضلال الصحابة على علم إذ منعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الوصية أو أغتالوها، أو لم يعملوا بها، أو عمدوا على إلغائها وهذا ما أختاره أجلاؤهم لأنفسهم وللأمة المجني عليها، وهي إلى الآن تتجرع مر التمزق واغتيال الوصية، ومن هنا تعلم سقوط حديث مسلم قوله: (وأصحابي أمنة لأمتي) وتتجلى لك صحة الحديث عند الحاكم في المستدرك قوله: (وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف) وبسقوط حديث مسلم (أصحابي أمنة) تعلم يقينا بسقوط حديث النجوم القائل: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) وبطريق أولى، هذا كله من حيث التنافر بين متون الأحاديث وبين أمانية الصحابة ونجوميتهم، أما من حيث الاستناد فقد أجمع أصحاب الشأن ـ علماء الجرح والتعديل على جرح رجالها بما لا يقل عن وصمهم بما يلي:

ضعيف، مجهول، كذاب، ومن أبرز الجارحين: الدارقطني وابن حجر والذهبي وابن تيمية، وعلى هذا سار أئمة الحديث وعلماء الشأن فاعلم.

الحديث الخامس عشر

(ملايين القاسطين في ثلاثمائة سنين خير الناس أجمعين)

عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وآلــه وسـلم) قال: (خـير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقــوام تسـبق شـهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته) وفي رواية عمران بن حصين (ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يفون)[1] رواه الشيخان واللفظ للبخاري وأورده في صحيحه ثمــاني مرات وأورده مسلم في صحيحه ست مرات، وإسنادا بلا متن نحو أربع مرات.

استدل أخوتنا اهل السنة بهذا الحديث على عدالة الصحابة وخيريتــهم جملة وتفصيلا، وذكر ابن حجر في مقدمة الإصابة إجماعهم على ذلك حيث قال: (اتفق أهل السنة على أن الجميــع عـدول ولم يخـالف في ذلـك إلا شـذوذ مـن المبتدعة) ثم استشهد بحديث (خير الناس قرنــي) وكذلـك نقلـه محـب الديـن الخطيب في مقدمته على العواصم لا بصيغة المحـدث الـذي ينقـل عـن مصـدر الحديث وإنما بصيغة الناقل عن الخطيــب البغـدادي في كفايتـه، ولعلـه يقصـد بذلك الحصول على هدفين بخيوط شراك واحد، فهو يريد أن ينقل الحديث وهو في مقام الخصام ويريد أن يقول لست وحيدا أبالغ في تعديل الصحابة وتكفـير أتباع آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وإنما هناك خطيب آخر أحذو حذوه.

أقول: مكمن نقاط الضعف في معتقد أخوتنا أبناء العامة يتجلـى بأسـوء صوره في قضية خيرية الصحابة وعدالة جميعهم إذ أنـهم يخصصـون عمومـات

١- البخاري ج ٢ ت دبغا ح ٢٥٠٩ ص ٨٧٨.

الأحكام الشرعية التي جاء بها مخصص إلا عمومات ما جاء في الصحابة ـ على افتراض وجودها ـ فإنهم اهملوا ما يخصصها سواءا كان المخصص آية أو رواية واعتمدوا تعليلات عليلة، ولكن أين المفر من قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون**﴾[1].

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية (أي إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري)[2].

وقال صاحب المجمع عند تفسير قوله تعالى: ﴿**لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي**﴾ لأن فيه أحد شيئين إما نوع الاستخفاف به فهو الكفر وإما سوء الأدب فهو خلاف التعظيم المأمور به[3].

وقال صاحب الميزان وهو في معرض توجيهات الآية (وقد توجه الآية أيضا بالبناء على اختصاص الحبط بالكفر بأن رفع الصوت فوق صوت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والجهر له بالقول ليسا بمحبطين من حيث أنفسهما بل من حيث أدائهما احيانا إلى إيذائه وإيذاؤه كفر محبط للعمل)[4].

هذا كله في من يرفع صوته عند النبي لا بقصد سوء الأدب ولا الاستخفاف ولا الإيذاء بدليل ما رواه الشيخان واللفظ للبخاري بسنده

١- سورة الحجرات: آية ٢.

٢- تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٠٧.

٣- مجمع البيان للطبرسي ح ٦ ص ٨٤.

٤- تفسير الميزان للطباطبائي ج ١٨ ص ٣٠٩.

عن أبي هريرة سمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق)[1].

ويشهد لذلك ما رواه البخاري أيضا بسنده عن أنس بن مالك (أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) افتقد ثابت بن قيس فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه فأتاه فوجدوه جالسا في بيته منكسا رأسه فقال له ما شأنك فقال: شر كان يرفع صوته فوق صوت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد حبط عمله وهو من أهل النار، فأتى الرجل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأخبره أنه قال كذا وكذا فقال موسى: فرجع إليه الآخرة ببشارة عظيمة فقال: (إذهب إليه فقل أنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة)[2].

أوردنا هذا الحديث للدلالة على أن رفع الصوت فوق صوت النبي يحبط العمل ويدخل النار وأن وفد بني تميم ينادون رسول الله من وراء الحجرات ويفاخرونه ومعهم خطيب وشاعر فأذن لهم فلما قدموا خطيبهم قدم رسول الله ثابت بن قيس بن شماس ولما قدموا شاعرهم قدم رسول الله حسان بن ثابت فلما فرقوا قال الأقرع بن حابس (أن هذا الرجل خطيبه اخطب من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا وأصواتهم أعلى من أصواتنا).

ولما نزلت الآية: ﴿**لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي**﴾ ظن ثابت أنها شملته ولذلك بشره رسول الله بالجنة وإلا فالآية نزلت في أبي بكر وعمر بدليل ما رواه البخاري بسنده عن أبي مليكة قال:

«كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما) رفعا أصواتها

١- البخاري ج ٤ ت. د. بغا. باب حفظ اللسان ح ٦١١٢ ص ٢٢٤٤.

٢ - مجمع البيان للطبرسي ج٦ ص٨٣.

عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخا بني مشاجع وأشار الآخر برجل آخر قال نافع لا احفظ اسمه فقال أبو بكر لعمر ما أردت إلا خلافي قال ما أردت خلافك فارتفعت اصواتهما في ذلك فأنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم﴾... الآية قال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد هذه الآية حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر»[1].

أنظر أخي المسلم في شأن رفع الأصوات فوق صوت النبي تجد أنه يحبط العمل ويؤدي إلى الكفر ويدخل صاحبه في مهاوي الهاوية، هذا كله فيمن لا يقصد سوء الأدب ولا الاستخفاف ولا إيذاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعليه فكيف بمن أساء الأدب عنده واستخف به وآذاه ورفع صوته عند موته وخاصم فوقه ومنعه من الوصية فسلبه حقوق الإيصاء ووصمه بالهجر والهذيان وعصاه متمردا وأولج الأمة في ضلال وظلام.

وعليه يجوز أن نقول حسب العموم الموهوم «الصحابة خيرون وعدول» ولكن يجب التخصيص بالاستثناء المتصل فورا بقولنا: «لا الذين آذوا رسول الله عند موته وهو غاضب عليهم ولم يتوبوا ولم يعترفوا بخطاياهم ولم يرعووا عنها» وهذا واحد من المخصصات التي تخصص العموم الموهوم وإلا فالمخصص لعموم الصحابة لا يكفيه مجلد وإليك التفصيل التالي في مناقشة الرواية (خير الناس قرني).

١- البخاري ج ٣ ت. د. بغا. باب لا ترفعوا اصواتكم ج ٤٥٦٥ ص ١٧٢٦.

مناقشة الرواية:

١ــ إذا اردنا أن نصون السنة المطهرة من منزلقات الانحراف علينا أن نعلم أن الحديث الوارد (خير الناس قرني ...) لا يعم الصحابة بالتعديل والخيرية إذ لا يمكن أن يقال كل فرد من أهل قرن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو خير من كل فرد من أفراد القرون السابقة واللاحقة إلاّ جملة، وبكلمة لا يمكن أن يكون الوليد بن عقبة بن أبي معيط الذي سماه الله فاسقاً هو خير من الحسن البصري! وأن كان الأول صحابياً والثاني تابعياً.

ولقد تنبه النووي في شرحه على مسلم حيث قال: (ورواية خير الناس على عمومها والمراد منه جملة القرون ولا يلزم منه تفضيل الصحابي على الأنبياء (صلوات الله وسلامه عليهم) ولا أفراد النساء على مريم وآسية وغيرهما

بل المراد جملة القرون بالنسبة إلى كل قرن بجملته)[1].

والذي نفهمه أن النووي لجأ إلى تفضيل جملة القرن على جملة كل قرن ليتخلص من تفضيل مثل وحشي على مثل يحيى وزكريا (عليهما السلام) ومثل هند أم معاوية على مثل آسية ومريم بنت عمران.

٢ــ وباعتبار الاختلاف في تحديد منطوق القرن فهل هو يحدد بالسنين؟ أم بالاقتران في الزمن الواحد؟ وإذا كان بالسنين فالقرن كم سنة؟ وإن كان بالاقتران فكم مقداره؟ وتبعا لذلك اختلف السلف في المعنى المراد لرسول الله في قوله: (خير الناس قرني ...) وإليك قائمة بأقوالهم:

أ ــ قيل القرن عشر سنين وهو مذهب الحسن وغيره.

---

١ - شرح النووي على مسلم ج ٨ جزء ٢ ص ٨٥.

ب ـ وقيل عشرون سنة.

ج ـ وقيل هو الوقت من الزمن وهو مذهب ابن الأعرابي.

د ـ وقيل هو لأهل ملة بعث فيها نبي طالت مدته أم قصرت.

هـ ـ وقيل هو ثلاثون سنة.

و ـ وقيل هو أربعون سنة وهو مذهب النخعي.

ز ـ وقيل هو خمسون سنة.

ح ـ وقيل هو ستون سنة.

ط ـ وقيل هو سبعون سنة وهو مذهب قتادة.

ي ـ وقيل ثمانون سنة.

ك ـ وقيل مائة سنة وهو مذهب عبد الملك بن عمير.

ل ـ وقيل هو مائة وعشرون سنة وهو مذهب زرارة بن أبي أوفى.

م ـ وقيل القرن كل أمة هلكت لم يبق منها أحد وهو رأي الحربي.

ن ـ وقيل هو أهل زمان واحد.

س ـ وقيل قرنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أصحابه، والثاني أبناؤهم، والثالث أبناء الأبناء وهو مذهب المغيرة.

ع ـ وقيل قرنه (صلى الله عليه وآله وسلم) ما بقيت عين رأته، والثاني ما بقيت عين رأت من رآه، والثالث كذلك وهو مذهب شهر.

ف ـ وقيل القرن كل طبقة مقترنين وهو مطابق لما ذكره العلامة صاحب الميزان عن الراغب.

ص ـ وقيل قرنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أصحابه والثاني التابعون

والثالث أتباعهم وهذا الأخير هوالصحيح في رأي النووي) أهـ بتصرف[1].

قلت: إن الأقوال الأربعة الأولى هـي الأقـرب إلى المـراد بإعتبـار الواقـع. وعليه فإن قلنا بمذهب الحسن ومـن حـذا حـذوه فـإن القـرن الأول المـراد مـن الحديث ينتهي بزمن يقرب من زمن وفـاة أبـي طـالب وخديجـة (عليـها السـلام) والثاني ينتهي بوفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) وعليه فمدة نبوتـه قرنـان وشـيء، وإن قلنا بمذهب من قال القرن المراد عشرون سنة فإن قرنـه (صلـى الله عليـه وآلـه وبسلم) ينتهي بموته فتكون مدة نبوته قرنا وشيء، وأن قلنا بمذهب ابن الاعرابي ـ وباعتبار أن قوله يلتقي مع أصحاب المذهب الرابع فكلاهما لا يتأخر عن فـترة حياته (صلى الله عليه وآلـه وسـلم) وعليـهما ـ ينتـهي قرنـه بأنتـهاء حياتـه ولحاقـه بالرفيق الأعلى.

٣ــ هذا كله إن قبل أخوتنا أهل السنة اعتذارنا عـن الحديـث وتخليصـه مما يرد عليه، وبالفعل فإن اختيارنا لمذهب الحسن ومن معه وما يقرب منـه كـل ذلك يجعل الحديث بمنأى عن المساس وإلا فالواقع يكذبه حالا وإن سكتنا عنه مقالا، وإليك الدليل الواقعي والمنطقي في الفقرتين التاليتين:

أ ــ لو سلمنا جدلا بأن المراد بالقرن في الحديث مئـة عـام، أو الصحابـة ما بقي منهم ولو فرد واحد، وعممنا الحكم بأفضليـة وعدالـة كـل فـرد منـهم على كل فرد من القرون اللاحقة، فإنه يجب أن نعمم على كل فـرد مـن أفـراد القرن الرابع الهجري فما دون بأنــه يخـون ولا يؤئمـن وينـذر ولا يفـي ويمينـه يسبق شهادته وشهادته يمينه كما هــو موجـود في عجـز الحديـث (خـير النـاس

---

١ - انظر بعض ما قيل شرح النـووي علـى مسـلم ج ٨ جـزء ص ٨٥ وبعضـها في القـاموس المحيـط فصـل القاف باب العين ج ٤ ص ٥٧.

قرني ...) ومن هنا تعلم كذب الحديث والمغالطة فيه والمواربة في فهمه والتلجلج عنه.

ب ـ بل لا نسلم جدلا وكيف نسلم بأن الحديث صحيح والقرن مائة عام ! ولكن نسلم لأحدها، فإن سلمنا بصحة الحديث فلا نسلم بأن القرن المراد مئة عام، وإن سلمنا بأن القرن المراد مئة عام فلا نسلم بأن الحديث صحيح وإلا فأين المفر من قبضة الواقع وهل الكوارث التي مزقت الأمة إلا في القرن الأول؟ وهل طواغيت الأمة وفراعنتها إلا في القرون الأولى؟ وهل تمزق الأمة إلى أشعرية، وظاهرية، ومجسمة، وماتريدية، ومعتزلة، وشيعة، ومرجئة، وخوارج، وغلاة، وناكثين، وقاسطين،... إلى... إلا في الصدر الأول؟ وإليك عزيزي القارئ بعض الكلام عن القرن الأول وقليل من حوادث الصحابة في عصرهم:

كارثة المهاجرين والأنصار:

١ـ في قرن خير القرون ثار الصحابة ـ وبالأخص المهاجرون ـ على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فمنعوه من الوصية فتمزقت الأمة بصنيعهم هذا إلى يوم القيامة فتحقق فيهم قول الله تعالى: **﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل أنقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين﴾**[1] ثم إن واقعة الانقلاب هذه تسمى (رزية يوم الخميس) وقع هذا الحدث المؤلم قبل موته (صلى الله عليه وآله وسلم) بأربعة أيام راجع مناقشة حديث الشطط الرابع عشر إن شئت.

١ـ سورة آل عمران:آية ١٤٤.

كارثة الردة:

٢ـ وفي قرن خير القرون ارتد سلفنا الصالح[1] عن الإسلام كما نقل السيوطي عن البغوي وأبي بكر الشافعي وابن عساكر من حديث عائشة قولها: (لما توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أشرأب النفاق وأرتدت العرب وأنحازت الأنصار)[1].

وقال ابن الأثير: (وأرتدت كل قبيلة عامة أو خاصة إلا قريشا وثقيفا)[2].

وقال المسعودي: (ولما أرتدت العرب إلا أهل المسجدين وما بينهما وأناس من العرب)[3]. بدأ هذا الحدث المستطير بعد استلام ابي بكر للخلافة بعشرة أيام ويسمى أصحابه (أهل الردة).

فأنظر رعاك الله في شأن أصحاب رسول الله الذين بلغت أعدادهم «١٢٤» ألف صحابي حسب إحصائيات أبي زرعة الرازي ـ تجد أنهم أرتدوا عن الإسلام بمجرد أن مات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا قليلا وبعضهم كفر بالله وبعضهم آمن بنبوة سجاح بنت الحارث التميمية وبعضهم آمن بنبوة طليحة بن خويلد الأسدي وبعضهم أمن بنبوة مسيلمة الكذاب وبعد أن قام أبو بكر بحروب الردة وخضعت العرب لحر الحديد أصبحوا على بكرة أبيهم مسلمين وصحابة ورضي الله عنهم جميعا وأرضاهم وأصبحوا خير القرون، ويا ويل ويلك أخي المسلم إن تنتقد منهم أحدا!! وإنا لله وإنا إليه راجعون.

١- تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٨.

٢ - الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٤٢.

٣ - مروج الذهب ج١ جزء٢ ص ٣٠٨.

كارثة الناكثين:

٣ـ وفي قرن خير القرون حدث حرب الناكثين وهم طلحة والزبير وعائشة حيث خرجوا على علي إمام زمانهم، وبلغت القتلى «ثلاثة عشر ألف قتيل»[1] وقيل: «ثلاثين ألف قتيل» وقد وقعت هذه الكارثة في سنة ست وثلاثين للهجرة ويسمونها «حرب الجمل».

كارثة القاسطين:

٤ـ وفي قرن خير القرون حدث حرب القاسطين بقيادة سيد الفئة الباغية معاوية بن أبي سفيان حيث خرج على علي (عليه السلام) إمام زمانه وبلغت القتلى تسعين ألف قتيل كما أشار إليه شيخ الأزهر عبد الحليم محمود وهو في معرض الكلام عن الخلافة[2].

وقد بدأت هذه الكارثة في صفر سنة سبع وثلاثين ويسمونها «حرب صفين».

---

١ - طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٢.

٢ - الإسلام العقل لشيخ الأزهر عبد الحليم محمود ص ١٤١.

كارثة المارقين:

٥ـ وفي قرن خير القرون حدث حرب المارقين وهم الذين خرجوا على علي أمير المؤمنين وإمام زمانهم وقتل في هذه الحرب ألف وثمانمأة قتيل وتم ذلك في سنة ثمان وثلاثين) ويسمونها (حرب النهروان).

كارثة خيانة التحكيم:

٦ـ وفي قرن خير القرون وقعت أعظم خيانة في التحكيم بين المسلمين من اعظم داهية من الصحابة لا يخشى الله ولا يرجو عفوه هو ابن النابغة عمرو بن العاص حيث خان العهد ووضع المكايد إلى أن غرر بأبي موسى الأشعري وعندها قام أبو موسى فخلع عليا ومعاوية ثم قام عمرو فقال:

(إن هذا .... خلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية ... وقال أبو موسى لعمرو لا وفقك الله غدرت وفجرت إنما مثلك ﴿**كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث**﴾[1] قال عمرو وإنما مثلك ﴿**كمثل الحمار يحمل إسفارا**﴾[2])[3]وقع هذا الحدث الذي يندو له جبين التاريخ لما تولد عنه من تفريق الأمة وتمزيق أوصالها في سنة ثمان وثلاثين ويسمونه (عام التحكيم).

---

١ – سورة الأعراف:آية ١٧٦.

٢ – سورة الجمعة:آية ٥.

٣ – الكامل لابن الآثير ج ٣ ص ٣٣٢ـ ٣٣٣ وأنظر خروج المذهب ج أجزاء ٢ ص ٤٠٩ تاريخ حلفاء ص ١٦٣.

كارثة سب الله ورسوله:

٧ــ وفي قرن خير القرون وقعت أعظم خيانة لله ورسوله وهي أن يسب الله ورسوله ـ على المنابر وبخاصة منبر المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومنبر خاتم الأنبياء والمرسلين إلى أن بلغت المنابر «٧٠» ألف منبر و «١٠» منابر، إحدى وستين سنة ـ بأمر من أعظم داهية من دهاة الصحابة، لا يخاف الله ولا يرجو عفوه هو ابن هند معاوية بن أبي سفيان وكيفية السب واللعن: أن الخطيب قبل أن ينزل من على المنبر يقول: (لعن الله عليا وابن العباس والأشتر وحسنا وحسينا)[١] ولقد بدأ السب واللعن عام التحكيم ولعلي أصيب إن أسميته «مرسوم سب الله ورسول» باعتبار أن سباب آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو سب لله ولرسوله قطعا ونوافيك بالأدلة التالية:

أورد ابن حجر الهيتمي حديثا عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (من سب أهل بيتي فإنما يرتد عن الإسلام ومن آذاني في عترتي فقد آذى الله إن الله حرم الجنة على من آذى أهل بيتي أو قاتلهم أو أعان عليهم أو سبهم ...)[٢].

وأخرج الإمام الحافظ محمد بن يوسف الكنجي الشافعي بسنده عن سليمان قال (كنت مع عبد الله بن عباس وسعيد بن جبير يقوده فمر على ضفة زمزم فإذا قوم من أهل الشام يشتمون عليا (عليه السلام) فقال لسعيد بن جبير ردني إليهم فوقف عليهم فقال: «أيكم الساب لله عز وجل فقالوا: سبحان الله ما فينا أحد سب الله قال: أيكم الساب رسول الله قالوا سبحان الله

---

١ – تاريخ الأمم والملوك لابن جرير ج٣ جزء ٢ ص ٤٠ حوادث سنة ٣٧ الكامل لابن الآثير ج ٣ ص ٣٣٣.

٢ – الصواعق لابن حجر الهيتمي ص ٢٤٠.

ما فينا أحد سب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال أيكم الساب علـي بـن أبي طالب (عليه السلام) فقالوا: أما هذا فقد كان قـال: فأشـهد علـى رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سمعته أذناي ووعاه قلبي يقول: لعلي بـن أبـي طـالب » من سبك فقد سبني ومن سـبني فقـد سـب الله ومـن سـب الله أكبـه الله علـى منخريه في النار ثم تولى عنهم ...)[1].

وأخرج أحمد بسنده عــن عمـرو بـن شـاس الأسـلمي قـال: وكـان مـن أصحاب الحديبية قال: (خرجت مع علـي إلى اليمـن فجفـاني في سـفري ذلـك حتى وجدت في نفسي عليه فلما قدمت أظهرت شكايته في المسجد حتـى بلـغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسـلم) فدخلـت المسـجد ذات غـدوة في نـاس مـن أصحابه فلما رآني أبدني عينيه يقول (حدد إلى النظر) حتى إذا جلست قال: يـا عمرو والله لقد آذيتني قلت: أعوذ بالله أن أوذيك يا رسول الله قال: بلى من آذى عليا فقد آذانــي)[2] وأخرجـه الحـاكم في المسـتدرك وقـال: هـذا حديـث صحيـح الإسناد[3] ولم يخرجاه وأعترف بصحته الذهبي في التلخيص[4].

تأمل أخي المسلم فهذا ابن شاس بمجرد أن حاك في صدره شيء من جفاء علي ولم يبغضه ولم يغضبه وإنما أظهر الشكوى فاستحق أن يقول له رسـول الله (يا عمرو والله لقد آذيتني) فإذا كان هذا هكذا فكيف حال الناكثين والقاسـطين والمارقين؟.

---

١ – كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٨٣.

٢ – مسند أحمد ج ٤ ح ١٥٥٣٠ ص ٥٣٤.

٣ – المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٢٢.

٤ – التلخيص للذهبي على هامش المستدرك ج ٣ ص ١٢٢.

وأورد حافظ المغرب ابن عبد البر في الاستيعاب حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال (وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من أحب عليا فقد أحبني ومن أبغض عليا فقد أبغضني ومن آذى عليا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله)[١].

كارثة نفاق الملك العضوض:

٨ـ ثم تعال أخي المسلم نستبين الحكم من شرع الله المقدس ـ وأن كان جليا لا يخفى على ذي لب ـ وعندها لا مناص شرعا من الإيمان بنتيجة الحكم الملخص في الكلماب التالية:

بغض علي نفاق ـ وسبه مروق ـ وعداؤه ويل وشقاق ـ وإيذاؤه قنوط ـ والخروج عليه ردة ـ وقتاله كفر.

وبغضه، وسبه، وعداؤه، وإيذاؤه، والخروج عليه، وقتاله، كلها حرب ضد الله ورسوله.

والنفاق، والمروق، والشقاق، والقنوط، والردة، والكفر، كلها كفر.

(فأما قولنا بغض علي نفاق)

فبدليل ما أخرج مسلم بسنده عن علي(عليه السلام) قال: (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلي أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق[٢].

---

١ - الاستيعاب لابن عبد البر بهامش الاصابة لابن حجر ج ٣ ص ٣٧ باب العين.

٢ - مسلم بشرح النووي ج١ جزء٢ ص٦٤.

وأما قولنا سب علي مروق:

فبدليل ما أورده ابن حجر الهيتمي حيث قال (وورد: من سب أهل بيتي فإنما يرتد عن الإسلام ومن آذاني في عترتي فعليه لعنة الله ومن آذاني في عترتي فقد آذى الله إن الله حرم الجنة على من ظلم أهل بيتي أو قاتلهم أو أعان عليهم أو سبهم)[١] وقد أوردناه آنفا.

وأخرج الحاكم بسنده عن عبد الله الجدلي قال:(دخلت على أم سلمة رضي الله عنها قالت لي أيسب رسول الله فيكم فقلت معاذ الله ... فقالت سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «من سب عليا فقد سبني»[٢] قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه واعترف الذهبي بصحته في تلخيصه واخرج بسنده عن عبيد الله بن أبي مليكة قال: (جاء رجل من أهل الشام فسب عليا عند ابن عباس فحصه ابن عباس وقال: يا عدو الله آذيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) **﴿أن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا﴾**[٣] لو كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيا لآذيته)[٤].

قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي في التلخيص معترفا بصحته[٥].

---

١ – الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي ص ٢٤٠.

٢ – المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٢١.

٣ – سورة الأحزاب:آية ٥٧.

٤ – المستدرك للحاكم ج٣ ص١٢٢.

٥ – التلخيص للذهبي بهامش المستدرك ج ٣ ص ١٢٢.

وأما قولنا عداء علي شقاق:

فبدليل ما أخرج الحاكم بسنده عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: (نظر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى علي فقال: يا علي أنت سيد في الدنيا سيد في الآخرة حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله وعدوك عدوي وعدوي عدو الله والويل لمن أبغضك بعدي) قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وأعترف الذهبي بثقة رجاله غير أنه أنكره لأن عبد الرزاق أسره إلى أبي الأزهر ولذا اعتذر العلامة عبد الحسين شرف الدين عن سرية عبد الرزاق قائلا: (أما تكتم عبد الرزاق فإنما هو الخوف من سلطة الظالمين كما خاف سعيد بن جبير حين سأله مالك ابن دينار فقال: له من كان حامل راية رسول الله قال فنظر إلي وقال: كأني رخي البال قال: مالك فغضبت وشكوته إلى إخوانه من القراء فاعتذروا بأنه يخاف من الحجاج أن يقول حاملها على أبي طالب أخرج ذلك الحاكم في ص ١٣٧ من الجزء الثالث ثم قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ا هـ بعين لفظه.

وقال تعالى: **﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾**[١].

وأما قولنا إيذاء علي قنوط :

فبدليل ما أخرج الحاكم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (يا بني عبد المطلب إني سألت الله لكم ثلاثا

---

١ – سورة النساء:آية ١١٥.

أن يثبت قائمكم وأن يهدي ضالكم وأن يعلم جاهلكم وسألت الله أن يجعلكم جوداء نجداء رحماء فلو أن رجلا صفن بين الركن والمقام فصلى وصام ثم لقى الله وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار)[١] قل الحاكم: هذا حديث حسن صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأورده الذهبي في التلخيص ولم يعقب عليه[٢].

ومعنى ذلك أن المسلم لوصف قدميه في المسجد الحرام بين الركن والمقام صائما وقائما ولكنه مبغض لآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا بد وأن ينسلخ منه الإيمان ويحل محله النفاق فيحبط عمله كما اخرج الثعالبي بسنده إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (.... ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينية آيس من رحمة الله..)[٣] وقال تعالى: ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ [٤].

وأما قولنا الخروج على علي ردة

فبدليل ما أخرج مسلم والبخاري بسنديهما عن جرير قال قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «استنصت الناس» ثم قال: «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»[٥] وفي رواية للبخاري (لا ترتدوا بعدي

---

١ – المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٤٩.

٢ – التلخيص الذهبي بهامش المستدرك ج ٣ ص ١٤٩.

٣ – نقلا عن المراجعات للعلامة عبد الحسين شرف الدين المراجعة ١٠.

٤ – سورة يوسف آية ٨٧.

٥ – البخاري ج٤ ت. د. بغا. باب لا ترجعوا بعدي كفار ح٦٦٦٩ ص٢٤٣٤ مسلم بشرح النووي ج١ جزء٢ ص٥٥.

كفارا).

نقل النووي في معنى الحديث سبعة أقوال:

١ــ قيل أن ضرب الرقاب كفر في حق المستحل له بغير حق.

٢ــ وقيل أنه كفر للنعمة وحق الإسلام.

٣ــ وقيل أنه يقرب من الكفر ويؤدي إليه.

٤ــ وقيل أنه فعل كفعل الكفار.

٥ــ وقيل المراد أن ضرب الرقاب بغير حق هو كفر حقيقة ومعنى الحديث لا تكفروا بل دوموا مسلمين.

٦ــ وقيل المراد بالكفار المتكفرون بالسلاح أي لابسوه للحرب بغير حق.

٧ــ وقيل المراد لا يكفر بعضكم بعضا. واختار النووي القول الرابع وهو (اختيار القاض عياض)، أ هـ بتصرف في اللفظ دون إحالة المعنى[١].

قلت: وعلى أية حال وأي يكون معنى الحديث فلا بد وأن يكون الخروج على الإمام الشرعي ـ المنصوب من قبل الله ورسوله أو من قبل الصحابة آنذاك كما هو رأي اخوتنا أهل السنة ـ هو من أعظم مصاديق قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا ترتدوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) بدليل أنه يجب على الإمام الشرعي ضرب رقاب الخارجين عليه ليردهم إلى الصراط السوي فيكون المقصود بالكفار هم الفئات الباغية الخارجة على إمام أهل زمانها.

١- شرح النووي على مسلم ج١ جزء٢ ص٥٥.

ونستشف من الحديث أن الخروج على الإمام ردة وانقلاب في الدين غير أن الردة أنواع فمالك بن نويرة لم يرتد عن الدين لأنه فقط منع قومه من إيصال الصدقات إلى أبي بكر لأنه لم يعتبره خليفة شرعيا، ولم تكن معارضته بأشد من معارضة علي بن أبي طالب وسعد بن عبادة وجماعة من الهاشميين والأنصار وعندها والحال هكذا أمر طبيعي أن لا يبعث مالك بصدقات قومه إلى الخليفة الجديد وإنما فرقها على قومه وتأول قول الله تعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم﴾**[1] بأن هذا الخطاب خاص في مواجهة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دون غيره بحيث ليس لأحد من التطهير والتزكية والصلاة على المتصدق ما للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكانت صلاته سكنا لنا وهذه الصفة لا توجد في أبي بكر.

ولذلك لم يحتج أبو بكر إلا بالتفرقة بين الصلاة والزكاة وهو قياس باطل لأن الصلاة لا تؤدى لبشر كالزكاة، ولو كان كذلك لجاز له القياس ولو اقتصر على قوله: (والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه) لكان منطقيا مع نفسه أكثر.

وعلى أية حال لو كان عدم أداء الزكاة للإمام كفرا لأصبح المسلمون اليوم مرتدين وكافرين باعتبارهم لم يبعثوا بها إلى أئمتهم لا في وقت وجود الخلافة ـ قبل إلقائها على يد مصطفى كمال أتاتورك في سنة «١٩٢٤م» ـ ولا بعدها.

فلو قيل أن خلفاء المسلمين وملوكهم لم يبعثوا السعاة في طلبها فباؤوا

---

١ – سورة التوبة،آية ١٠٣.

بالإثم والمسلمون أبرياء، قلت: يرد على ذلك أن عثمان بن عفان (هو أول من فوض إلى الناس إخراج زكواتهم)[١] وعليه: إن كان التفويض ذنب وجلب الزكاة للإمام ركن إسلامي ومانعه مرتد فملوك الأمة وخلفاؤها ليسوا بأسوء حالا من عثمان بن عفان، وإن كان ذلك جائز فقتل من لم يبعثها للإمام حرام والقاتل في النار إن جزاه الله حق الجزاء.

وهذا هو الصحيح الذي جعل أبا بكر يدفع دية مالك بن نويرة من بيت المال، ويفرق بين خالد بن الوليد وبين زوجة مالك المعتدى على شرفها، ومن العجيب أن أبا بكر بدل سيئات خالد حسنات فانتقل خالد فجأة من مجرم حرب إلى درجة فقيه ديني له حق الاجتهاد لا في فهم النص وإنما ضد النص القرآني فنزى على زوجة مالك بلا عدة حتى وإن قال الله تعالى: **﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا﴾**[٢] وقتل زوجها وهو يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهكذا يكون الاجتهاد بالباطل ومثل خالد فليكن المجتهدون ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن أعجب العجب أن اخوتنا أهل السنة حكموا على بني يربوع ومن هم على شاكلتهم بالردة لا لشيء فقط لأنهم لم يبعثوا صدقاتهم إلى أبي بكر فاعتبروهم خرجوا على الخليفة وحكموا على الخوارج بالردة لأنهم خرجوا على علي بن أبي طالب وحكموا على معاوية برضى الله والجنة حتى وإن خرج على علي وقتل الصحابة ولعن آل محمد (عليهم السلام) حتى وإن حكم عليه رسول الله بالنار كما أخرج البخاري بسنده عن أبي سعيد عن رسول الله

١- تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٥٤.

٢ – سورة البقرة:آية ٢٣٤.

(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول:

(ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار)[١].

وروى الطبراني في الأوسط بسنده عن ربيعة بن ناجذ قال (سمعت عليا يقول: «أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين»[٢] ونقله الهيتمي عن الطبراني والبزار وتعقبه بقوله: أحد اسناد البزار رجاله رجال الصحيح غير الربيع بن سعد ووثقه ابن حبان)[٣].

وقال تعالى: ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾[٤].

وأما قولنا قتال علي كفر:

فبدليل أن حرب علي حرب رسول الله وحرب رسول الله حرب الله فمن حاربهم أو أحدهم أو حاربوه فإنه يكفر اتفاقا بين المسلمين لأن الحرب شامل لمعاني البغض والسب والعداء والإيذاء والخروج وكل ذلك كفر بالاتفاق كما مر عليك موضحا في الفقرات آنفة الذكر ومحل الشاهد هنا نرتشفه من الطائفة الروائية التالية:

ادعى ابن أبي الحديد جازما أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي في ألف مقام (أنا حرب لمن حاربت وسلم لمن سالمت) وأورد بعد ذلك

١- البخاري ج١ ت. د. بغا. ح٤٣٦ ص١٦٧ باب التعاون في بناء المسجد.

٢- المعجم الأوسط للطبراني ج٩ ج٨٤٢٨ ص.

٣- مجمع الزوائد ج٤ جزء ٢ ص ٢٣٨ انظر شرح النهج لابن أبي الحديد ج٣ ص ٢٤٥ المستدرك للحاكم ج٣ ص١٣٩.

٤- سورة الجن:آية ١٥.

أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي: (حربك حربي وسلمك سلمي)[١].

قلت أظن أن المؤلف قصد التكثير في المقامات دون الحصر العددي والله العالم.

وأخرج أحمد والحاكم والكنجي الشافعي ونقل الهيتمي عن الطبراني واللفظ لأحمد بسنده عن أبي هريرة قال (نظر النبي إلى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال: «أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم»)[٢] وقال الحاكم هذا حديث حسن ولم يتعقبه الذهبي في التلخيص وقال الهيتمي في المجمع فيه تليد بن سليمان وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح.

ورواه الترمذي بصيغة (أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم) ونقله ابن حجر في صواعقه وأرسله إرسال المسلمات ولكن بصيغة الغيبة (أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم) ونقله ابن حجر العسقلاني عن الترمذي كذلك بصيغة الغيبة عن زيد ابن أرقم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (علي وفاطمة والحسن والحسين أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم) وهو خطأ وقع للعسقلاني حيث راجعنا جامع الترمذي فوجدناه مضبوطا بصيغة المخاطب، هذا وقد وافق ابن حجر الهيتمي في صواعقه ما نقله العسقلاني في الإصابة غير أننا لم نعرض له لأنه لم يذكر المصدر.

١- شرح النهج لابن أبي الحديد ج٤ ص٢٢١.

٢ - مسند أحمد ج٣ ح٩٤٠٥ ص١٨٧ المستدرك للحاكم ج٣ ص١٤٩ كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص٣٣٠ مجمع الزوائد ج٩ ص١٧٢ صحيح الترمذي ج٥ ص٦٥٦ الصواعق المحرقة ص١٤٠ الاصابة لابن حجر ج٤ ص٣٦٧.

كارثة السب لآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم):

٩ـ وفي قرن خير القرون تواطأ العالم الإسلامي على بكرة أبيه أن يسب آل محمد على المنابر وبكل مناسبة وغير مناسبة طوعا من الناس وكرها من بعض الصحابة وكل ذلك تنفيذا لمرسوم (سب الله ورسوله) الذي شرعه سيد الفئة الباغية معاوية بن أبي سفيان إلى درجة أنه كان يعاقب كل صحابي يخشى من شتم آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبخاصة علي والحسن والحسين(عليهم السلام) وإليك بعض ما كان يصنعه بنو أمية في حقل اللعن والسباب:

أخرج مسلم بسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: (أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب فقال: أما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول له.. أما ترضى أن تكون مني بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي وسمعته يقول يوم خيبر لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله... ولما نزلت هذه الآية ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾[1] دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال اللهم هؤلائ أهلي)[2].

وأخرج بسنده عن سهل بن سعد قال (استعمل على المدينة رجل من آل مروان قال: فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم عليا قال: فأبى سهل فقال له أما

---

١ – سورة آل عمران:آية ٦١.

٢ – مسلم بشرح النووي ج٨ جزء ١ ص١٧٥ ـ ١٧٦.

إذا أبيت فقل لعن الله أبا التراب فقال: سهل ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي التراب وإن كان ليفرح إذا دعي بها..)[١].

وهكذا تجذر لعن آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من قلوب الناس جيلا عن جيل يربو عليه الصغير ويهرم عليه الكبير طوال إحدى وستين سنة تقريبا ابتداء من أيام صفين وانتهاء بخلافة عمر بن عبد العزيز حيث أصدر مرسوما برفع السب عن آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وإليك نصه:

نقل السيوطي عن غيره قوله: (كان بنو أمية يسبون عليا بن أبي طالب في الخطبة فلما ولي عمر بن عبد العزيز أبطله وكتب إلى نوابه بإبطاله وقرأ مكانه ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان**﴾ الآية فاستمرت قراءتها في الخطبة إلى الآن)[٢].

وذكر ابن الأثير تحت عنوان (ترك سب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) كان بنو أمية يسبون أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليه السلام) إلى أن ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة فترك ذلك وكتب إلى العمال في الآفاق بتركه وكان سبب محبته لعلي وكما أخبر هو عن نفسه قال: (كنت بالمدينة أتعلم العلم وكنت ألزم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فبلغه عني شيء من ذلك فأتيته يوما وهو يصلي فأطال الصلاة فقعدت انتظر فراغة فلما فرغ من صلاته التفت إلي فقال لي: متى علمت أن الله غضب على أهل بدر وبيعة الرضوان بعد أن رضي عنهم؟.

قلت: لم أسمع ذلك قال: فما الذي بلغني عنك في علي قلت: معذرة إلى

---

١ – المصدر السابق ص١٨٢.

٢ – تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٢٦.

الله وإليك وتركت ما كنت عليه وكان أبي إذا خطب فنال من علـي رضـي الله عنه تلجلج فقلت يا أبه إنك تمضـي في خطبتـك فـإذا أتيـت علـى ذكـر علـي عرفت منك تقصيرا؟ قال أو فطنت لذلك؟ قلت:نعم فقـال: يـا بـني إن الذيـن حولنا لو يعلمون من علي ما نعلم لتفرقوا عنا إلى أولاده.

فلما ولي الخلافة لم يكن عنده من الرغبة في الدنيا ما يرتكب هذا الأمـر العظيم لأجلها فترك ذلك وكتـب بتركـه وقـرأ عوضـه ﴿**إن الله يـأمر بـالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى**﴾ الآية فحل هذا الفعل عنـد النـاس محـلا حسـنا و أكثروا من ملحه بسببه فمن قول كثير عزة:

وليت فلم تشـتم عليـا ولم تخـف	**بريـا ولم تتبـع مقالـة مجـرم**
وتكلمـت بـالحق المبـين وإنمـا	**تبيـن آيـات الهـدى بـالتكلم**
وصدقت معروف الذي قلت بـالذي	**فعلت فأضحى راضيا كـل مسـلم**
ألا إنمـا يكفـي الفـتى بعـد زيغـه	**مـن الأود البـادي ثقـاف المقـوم**

فقال عمر حين انشده هذا الشعر: (أفلحنا إذا)[1].

١- الكامل لابن الأثير ج٥ ص٤٢.

كارثة قتل آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم):

١٠ ـ وفي قرن خير القرون أجمع الكثير من الناس إجماعاً منصوصاً عند بعضهم وسكوتياً عند البعض الآخر ـ على قتل آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فشردوهم وطاردوهم وولغوا بدمائهم وتواطأ الناس صحابة وتابعين إلا ما رحم ربي ـ على قتل الحسين بن بنت نبيهم ودليل التَّواطُؤ أن العربي كان يقتل ويُقْتَلُ من أجل شاة جرباء ولكنهم ما قاتلوا وما قُتِلوا من اجل الحسين بن رسول الله وسيد شباب أهل الجنة وتركوا يزيد بن معاوية يسبي بنات رسول الله كما تسبى العبيد غير أن يزيد على طغيانه فهو أكثر مروءة على أخوات وبنات الحسين من صحابة الاسم دون الجوهر حيث منَّ عليهم بإطلاق السراح ولذلك كانت سكينة بنت الحسين تمدح يزيد بن معاوية قائلة: «ما رأيت كافراً بالله خيراً من يزيد بن معاوية»[١].

ولعلي لا أستطيع أن أفصِّل كارثة مقتل الحسين لأنها تعصر القلب عصراً ولا أملك قلباً أشجع من قلب السيوطي فإنه بعد أن لعن قاتل الحسين وابن زياد ويزيد بن معاوية تضجر قائلاً: «وكان قتله بكربلاء وفي قتله قصة فيها طول لا يحتمل القلب ذكرها فإنا لله وإنا إليه راجعون»[٢].

وقعت كارثة مقتل الحسين في عشرة محرم سنة إحدى وستين للهجرة والمسلمون يسمونها (واقعة الطّف) وبهذا استطاع البحث العلمي أن يسقط وثاقة الحديث (خير القرون قرني) وبكلمة شر القرون القرن الذي يقتل فيه

١- المصدر السابق ج٤ ص٨٦.

٢ - تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٩٣.

آل محمد وحسينهم ويولغ بدماء أبناء الأنبياء وعترة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما كان اليهود يقتلون الأنبياء وأبناءهم وإنا لله وإنا إليه راجعون.

كارثة قتل المهاجرين والأنصار وإباحة أعراضهم

١١ـ وفي قرن خير القرون أبيحت أعراض بنات المهاجرين والأنصار وأخواتهم في المدينة المنورة وبجوار مسجد رسول الله وقبره، والذين تولوا كبرها هم أكابر مجرميها من مسلمي خير القرون «حسب المدعى» وكان السبب في ذلك أن الصحابة وأبناءهم في المدينة المنورة خرجوا على يزيد بن معاوية وخلعوه لأسباب يفرض الله ورسوله عليهم خلعه كما نقل السيوطي عن الواقدي أن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة قال:

«والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إنه رجل ينكح أمهات الأولاد والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة»[1].

ومما يؤيد ما نقله السيوطي المقولة الشائعة: أن يزيد بن معاوية راود إحدى محارمه عن نفسها وعضها من ثديها فتنهدت باكية وعضت على أناملها ويشهد له من الشعر ما نسب إليه حيث أنشد:

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت ... وردا وعضت على العناب بالبرد

فهو كما ترى قد صور الواقعة بأجمل تصوير فالصورة منتزعة عن الاستعارة التصريحية.

والصحيح أن هذا البيت الذي صور الواقعة هو للشاعر أبي الفرج

---

١ – المصدر السابق ١٩٥.

محمد بن أحمد الغساني المشهور باسم (الوأواء الدمشقي)[١].

وكان صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب.. وكان له قرد. يحضر مجلس منادمته ويطرح له متكأ وكان قردا خبيثا وكان يحمله على إتان وحشية.. ويسابق بها الخيل... وعلى رأسه قلنسوة من الحرير.. فقال في ذلك بعض شعراء الشام:

تمسك أبا قيس بفضل عنانها فليس عليها إن سقطت ضمان

ألا من رأى القرد الذي سبقت به جياد أمير المؤمنين أتان[٢]

وكان لا يؤمن بالإسلام ولا يحترم شعائره إلا على قدر ما تدعو إليه سياسة الملك كونه تربى بأحضان من هو كذلك، ومن أدلة كفره الأبيات التي بعث بها إلى ابن الزبير:

أدعو إلهك في السماء فإنني أدعو عليك رجال عك وأشعر

كيف النجاة أبا خبيب منهم فاحتل لنفسك قبل أتي العسكر[٣]

فلهذا وذاك خلعه أهل المدينة المنورة فبعث يزيد إليها جيشا كثيفا عدده اثنا عشر ألف كما في الكامل لابن الأثير وأمر عليهم مسلم بن عقبة وأوصاه بقوله: «فإذا ظهرت عليهم فانهبها ثلاثا فكل ما فيها من مال أو دابة أو سلاح أو طعام فهو للجند فإذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس»[٤].

ولما ودع يزيد جيش الخزي والعار قال لقائد الجيش: «يا مسلم لا تردن

---

١ – ديوان الوأواء الدمشقي تحقيق: د. سامي الدهان ص٨٤.

٢– مروج الذهب للمسعودي ج٣ ص٧٧.

٣– المصدر السابق ص٧٩.

٤– الكامل لابن الأثير ج٤ ص١١٢ ـ ١١٣.

أهل الشام عن شيء يريدونه بعدوهم»[١].

وقال السيوطي: «كانت وقعة الحرة على باب طيبة وما أدراك ما وقعة الحرة؟ ذكرها الحسن مرة فقال والله ما كاد ينجو منهم أحد قتل فيها خلق من الصحابة رضي الله عنهم ومن غيرهم وافتض فيها ألف عذراء وإنا لله وإنا إليه راجعون»[٢].

«وأبيح حرم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى ولدن الأبكار لا يعرف من أولدهن»[٣].

ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سمى المدينة المنورة «طيبة» ولكن مسلم قائد جيش يزيد في وقعة الحرة سماها «نتنة»[٤] وبايع أهلها على أنهم عبيد أقنان ليزيد بن معاوية[٥].

فأطلق المسلمون على مسلم بن عقبة اسم «مسرف ومجرم»[٦].

وذكر ابن الأثير في كامله أنه: سمي مسرف وسكت عن مجرم وأصبح اسم المدينة المنورة في بلاد الشام «الخبيثة» قال محمد بن عمارة: «قدمت الشام في تجارة فقال لي رجل:من أين أنت؟قلت:من المدينة فقال: «خبيثة» قلت: يسميها رسول الله طيبة وتسميها خبيثة قال:

١- حياة الحيوان للدميري ج١ باء الهمزة فصل الأوز ص٧٦.

٢- تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٩٤ـ ١٩٥.

٣- تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٥٠.

٤- مروج الذهب للمسعودي ج٣ ص٧٨.

٥ - انظر اليعقوبي ج٢ ص٢١٥ مروج الذهب ج٣ ص٧٨ الكامل ج٤ ص١١٨.

٦ - مروج الذهب ج٣ ص٧٨.

إن لي ولها لشأن..[١].

قتل في هذه الوقعة خلق كثير من أصحاب رسول الله من مهاجرين وأنصار وغيرهم وعلى أقل تقدير قتل فيها من الهاشميين خمسة رجال «وبضع وتسعون من سائر قريش ومثلهم من الأنصار وأربعة آلاف من سائر الناس ممن أدركه الإحصاء دون من لم يعرف»[٢].

وقال السيوطي: «عدة المقتولين بالحرة من قريش والأنصار ثلاثمائة وستة رجال»[٣].

وقال الدميري: «فغلب أهل الشام وقتلوا أمير المدينة عبد الله بن حنظلة وسبعمائة من المهاجرين والأنصار ودخل مسلم المدينة فأباحها ثلاثة أيام»[٤].

وقعت هذه الكارثة المخزية والتي يندو لها جبين التاريخ لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين والمسلمون يسمونها «واقعة الحرة» وكان سعيد بن المسيب يسمي سني يزيد بن معاوية بالشؤم في السنة الأولى قتل الحسين بن علي وأهل بيت رسول الله والثانية أستبيح حرم رسول الله وانتهكت حرمة المدينة الثالثة سفكت الدماء في حرم الله وحرقت الكعبة[٥].

أخي المسلم بربك قل لي لعلي أهتدي أشعب مسلم يهدم الكعبة ويبيح الأعراض والشرف ويهتك حرمات الله وشعائر الإسلام والمسلمين، شعب

---

١ - الكامل ج٤ ص١٢١.

٢- مروج الذهب ج٣ ص٧٩.

٣- تاريخ الخلفاء ص١٩٦.

٤- حياة الحيوان ج١ ص٧٦.

٥ - تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٥٣.

هكذا أخلاقه أقرنه خير القرون؟ وإنا لله وإنا إليه راجعون.

قرن خير القرون يهدم الكعبة

١٢ـ وفي قرن خير القرون وبعد وقعة الحرة التي حرت قلوب المؤمنين ـ بقتل رجالهم واستباحة أعراضهم وانتهاك حرمات الرسول الأعظم ـ وجه يزيد بن معاوية جيش الخزي والعار من المدينة المنورة إلى الكعبة المشرفة فنصب المجانيق على مكة والمسجد الحرام من الجبال والفجاج دون التفاتة إلى حلال أو حرام نابذين قول الله: ﴿**ومن دخله كان آمنا**﴾[1] وراء ظهورهم بل المسجد الحرام نفسه لم يعد آمنا فضلا عمن دخل فيه أو تعلق بأستاره فأمر الحصين بن نمير السكوني جيشه بقصفه فتواردت الأحجار تقذف الكعبة المشرفة بلادين ولا وازع من ضمير، ولقد وصف المسعودي تلك الكارثة بقوله (ورمى ـ أي الحصين ـ مع الأحجار بالنار والنفط ومشاقات الكتان وغير ذلك من المحرقات وانهدمت الكعبة واحترقت البنية ووقعت صاعقة فلحترق من أصحاب المجانيق أحد عشر رجلا وقيل أكثر من ذلك، وذلك يوم السبت لثلاث خلون من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة (أي سنة أربع وستين) قبل وفاة يزيد بأحد عشر يوما واشتد الأمر على أهل مكة وابن الزبير واتصل الأذى بالأحجار والنار والسيف ففي ذلك يقول أبو وجزة المديني:

ابن نمير بئس ما تولى   قد أحرق المقام والمصلى[2]

ونقل السيوطي عن الذهبي قوله:« واحترقت من شرارة نيرانهم أستار

١-سورة آل عمران:آية ٩٧.

٢- مروج الذهب للمسعودي ج٣ ص٨١.

الكعبة وسقفها وقرنا الكبش الذي فدى الله به إسماعيل وكانا في السقف»[١].

ووصف ابن الأثير كارثة هدم الكعبة بقوله: «رموا البيت بالمجانيق وحرقوه بالنار وأخذوا يرتجزون ويقولون:

خطارة مثل الفنيق المزبد نرمي بها أعواد هذا المسجد[٢]

وقال بعض أهل الشام: «إن الحرمة والطاعة اجتمعتا فغلبت الطاعة الحرمة»[٣].

والمسلمون يسمون هذه الكارثة «الحصار الأول» أو كارثة «هدم الكعبة» وعمد عبد الله بن الزبير إلى إعادة بنائها فحملت إليه الفسيفساء التي بناها أبره الحبشي في كنيسته فشرع ببناء الكعبة وجعل فيه الفسيفساء «وشهد عنده سبعون شيخا من قريش أن قريشا حين بنت الكعبة عجزت نفقتهم فنقصوا من سعة البيت سبعة أذرع من أساس إبراهيم الخليل.. فبناه ابن الزبير وزاد فيه الأذرع المذكورة»[٤].

تأمل عزيزي القارئ في هذا كله واستفتي وجدانك المستكن في أعماق ضميرك الحر، وقل له أصحيح أن القرن الذي يقتل الأبرياء ويبيح الأعراض ويهدم الكعبة أهو خير القرون؟ ثم أمهله وانتظر منه الإجابة.

---

١ – تاريخ الخلفاء وللسيوطي ص١٩٥.

٢– الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٤ ص١٢٤.

٣– تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٥٢.

٤– مروج الذهب للمسعودي ج٣ ص٩٢.

قرن خير القرون يهدم الكعبة من جديد:

١٣_ وفي قرن خير القرون عاودت المجانيق كرتها الثانية لتهدم الكعبة من جديد بعد أن نصبها جيش الخزي والعار بقيادة مبير ثقيف الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان السبب في تسييره دون غيره «أنه قال لعبد الملك قد رأيت في المنام أني أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته فابعثني وولني قتاله فبعثه»[١].

وذكر السيوطي: أن عبد الملك «جهز لقتاله الحجاج في أربعين ألفا فحصره بمكة أشهرا ورمى عليه بالمنجنيق وخذل ابن الزبير أصحابه وتسللوا إلى الحجاج»[٢].

وكان السبب في حصر ابن الزبير أن الحجاج ظفر بجبل أبي قبيس فنصب عليه المجانيق، وكتب بذلك يخبر عبد الملك ولما ورد عليه الكتاب كبر ومن معه ومن في مسجد دمشق واتصل التكبير بأهل السوق فكبروا «ثم سألوا عن الخبر فقيل لهم أن الحجاج حاصر ابن الزبير بمكة وظفر بأبي قبيس فقالوا: لا نرضى حتى يحمله إلينا مكبلا على رأسه برنس على جمل يمر بنا في الأسواق الترابي الملعون»[٣].

وقال ابن الأثير: «ولما حصر الحجاج ابن الزبير نصب المنجنيق على أبي قبيس ورمى به الكعبة وكان عبد الملك ينكر ذلك أيام يزيد بن معاوية

١- الكامل لابن الأثير ج٤ ص٣٤٩.

٢-تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٩٨.

٣- مروج الذهب للمسعودي ج٣ ص١٢٠

ثم أمر به فكان الناس يقولون خنل في دينه»[١].

ونقل السيوطي عن أبي بكر بن عبد الله المزني حيث قال: «أسلم يهودي اسمه يوسف.. وكان صديقا لعبد الملك بن مروان.. قال وجهز يزيد جيشا إلى أهل مكة فقال عبد الملك أعوذ بالله أيبعث إلى حرم الله فضرب يوسف على منكبه وقال: جيشك إليهم أعظم».

ونقل عن ابن أبي عائشة قوله: «أفضى الأمر إلى عبد الملك والقرآن في حجره فأطبقه وقال: هذا آخر العهد بك»[٢].

ونقل عن يحيى الغساني قوله: «كان عبد الملك بن مروان كثيرا ما يجلس إلى أم الدرداء فقالت له مرة: بلغني يا أمير المؤمنين أنك شربت الطلى بعد النسك والعبادة قال: أي والله والدماء قد شربتها»[٣].

وفي الكامل «حج ابن عمر تلك السنة فأرسل إلى الحجاج: أن اتق الله واكفف هذه الحجارة عن الناس فإنك في شهر حرام وبلد حرام وقد قدمت وفود الله من أقطار الأرض ليؤدوا فريضة الحج ويزدادوا خيرا وإن المنجنيق قد منعهم عن الطواف فاكفف عن الرمي حتى يقضوا ما يجب عليهم بمكة فبطل الرمي... فلما فرقوا من طواف الزيارة نادى منادي الحجاج انصرفوا إلى بلادكم فإننا نعود بالحجارة على ابن الزبير الملحد.

وأول ما رمى بالمنجنيق إلى الكعبة رعدت السماء وبرقت وعلى صوت الرعد على الحجارة فاعظم ذلك أهل الشام وأمسكوا أيديهم فأخذ الحجاج

١- الكامل لابن الأثير ج٤ ص٣٥٠.

٢- تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٠٢.

٣- المصدر السابق ص٢٠١.

حجر المنجنيق بيده فوضعه فيه ورمى به إليهم»[١].

وذكر اليعقوبي وابن الأثير واللفظ للأول إن الحجاج قال لأهل الشام: «لا يهولنكم هذه فإنما هي صواعق تهامة فلم يزل يرميه بالمنجنيق حتى هدم البيت»[٢].

ونقل السيوطي عن العسكري في الأوائل الأثر القائل: «خطبنا عبد الملك بن مروان بالمدينة بعد قتل ابن الزبير عام حج سنة خمس وسبعين فقال: «أما بعد فلست بالخليفة المستضعف ـ يعني عثمان ـ ولا الخليفة المداهن ـ يعني معاوية ـ ولا الخليفة المأفون ـ يعني يزيد ـ «إلى أن قال» والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه ثم نزل»[٣].

وقال السيوطي: «لو لم يكن من مساوئ عبد الملك إلا الحجاج وتوليته إياه على المسلمين وعلى الصحابة رضي الله عنهم يهينهم ويذلهم قتلا وشتما وحبسا، وقد قتل من الصحابة وأكابر التابعين ما لا يحصى»[٤].

وقال ابن الأثير: «فلما فرغ الحجاج من أمر ابن الزبير دخل مكة فبايع أهلها لعبد الملك.. فلما قدم المدينة أقام بها شهرا أو شهرين فأساء إلى أهلها واستخف بهم وقال: أنتم قتلة أمير المؤمنين عثمان، وختم أيدي جماعة من الصحابة بالرصاص استخفافا بهم كما يفعل بأهل الذمة منهم جابر بن عبد الله وأنس بن مالك وسهل بن سعد، ثم عاد إلى مكة فقال حين خرج منها:

١- الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٤ ص٣٥٠ ـ ٣٥١.

٢- تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٦٦ الكامل ج٤ ص٣٥١.

٣- تاريخ الخلفاء ص٢٠٣ـ ٢٠٤.

٤- المصدر السابق ص٢٠٥.

الحمد لله الذي أخرجني من أم «نتن» أهلها أخبث بلد وأغشه لأمير المؤمنين وأحسدهم على نعمة الله، والله لو ما كانت تأتيني كتب أمير المؤمنين فيهم «يقصد عبد الملك» لجعلتها مثل جوف الحمار أعوادا يعودون بها ورمة قد بليت يقولون منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقبر رسول الله»[١].

ونقل السيوطي عن العسكري حيث قال: «وأول خليفة بخل عبد الملك وكان يسمى «رشح الحجارة» لبخله ويكنى «أبا الذبان» لبخره قال: وهو أول من غدر في الإسلام وأول من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء وأول من نهى عن الأمر بالمعروف»[٢].

وذكر الدميري وابن الأثير وغيرهما واللفظ للأول في شأن قتل ابن الزبير أن «الحجاج صلبه منكسا ثم أنزله ودفنه في مقابر اليهود»[٣].

ولما هدم الحجاج بيت الله الحرام بالمجانيق كتب إلى عبد الملك ما مضمونه: إن يزيد بن معاوية لما هدم بيت الله أعاد بناءه عبد الله بن الزبير وزاد فيه سبعة أذرع «فأمره عبد الملك بهدمه ورده إلى ما كان عليه آنفا من بناء قريش وعصر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأن يجعل له بابا واحدا ففعل الحجاج ذلك»[٤].

والمسلمون يسمون هذه الكارثة «الحصار الثاني» إن قصدوا حصر ابن الزبير وقتله أما إن قصدوا هدم الكعبة المشرفة يسمونها «كارثة هدم الكعبة

١- الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٤ ص٣٥٨ـ ٣٥٩.

٢- تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٠٣.

٣- حياة الحيوان للدميري ج١ ص٨٢ باب الهمزة فصل الأوز.

٤- مروج الذهب للمسعودي ج٣ ص٩٢.

من جديد» وتم ذلك في سنة ثلاث وسبعين.

كارثة غلام ثقيف ومبيرها

١٤ـ وفي قرن خير القرون، المسلمون إما ناكثون كما صنع طلحة والزبير وعائشة مما تولد عنه كارثة حرب الجمل التي ذهب ضحيتها ثلاثون ألف نفس سالت على حد السيوف وأسنة الرماح.

وإما قاسطون كما صنع معاوية وعمرو بن العاص مما نتج عنه كارثة حرب صفين التي ذهب ضحيتها سبعون ألف مسلم.

وإما مارقون كما اعتقد الخوارج مما تسبب عنه كارثة حرب النهروان.

ونستطيع أن نقسم العالم الإسلامي آنذاك إلى قسمين، إما: مع إمامة علي (عليه السلام) خليفة الله في الأرض ولكنهم عاصون متمردون، وإما: مع باطل غيره خاضعون مطيعون ويشهد لذلك ما جاء عن الحسن حيث قال:

سمعت عليا على المنبر يقول: اللهم إئتمنتهم فخانوني ونصحتهم فغشوني اللهم سلط عليهم غلام ثقيف يحكم بدمائهم وأموالهم بحكم الجاهلية فوصفه وهو يقول: (الزيال مفجر الأنهار يأكل خضرتها ويلبس فروتها.

قال الحسن: هذه والله صفة الحجاج)[١].

وبالفعل نهض فرعون الأمة عبد الملك بن مروان بن الحكم فسلط مبير ثقيف وحجلجها على ألوف الصحابة وخيار التابعين ففتك بهم قتلا وطردا وتشريدا فأصبحوا بين القتل والسجن والدموع والدمار يقتلهم بسيف من

١- الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٤ ص٥٨٧.

أطاعه منهم.

ولقد ذكر ابن الأثير غيضا من فيض كوارث خير القرون حيث قال: «أحصي من قتله الحجاج صبرا فكانوا مئة ألف وعشرين ألفا.

وقيل: أن الحجاج مر بخالد بن يزيد بن معاوية وهو يخطر في مشيته فقال رجل لخالد: من هذا؟ قال بخ بخ هذا عمرو بن العاص فسمعها الحجاج فرجع وقال: والله ما يسرني أن العاص ولدني ولكنني ابن الأشياخ من ثقيف والعقائل من قريش وأنا الذي ضربت بسيفي هذا مائة ألف كلهم يشهد أن أباك كان يشرب الخمرَ ويضمر الكفر ثم ولى وهو يقول: بخ بخ عمرو بن العاص، فهو قد اعترف في بعض أيامه بمئة ألف قتيل على ذنب واحد»[1].

ومن أعجب العجب الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم واللفظ للأول بسنده عن أنس بن مالك عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (ليس من بلد إلا سيطوه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها..)[2].

قلت: فإذا كان صحيحا أن الملائكة يحرسون مكة والمدينة من الدجال فلم لم يحرسوهما من الحجاج ومسرف بن عقبة، فالأول هدم الكعبة بالمنجنيق حتى أناخها إلى الأرض وقتل أهلها وأخاف أهل المدينة وأذلهم وختم أعناقهم بالرصاص، والثاني كذلك هدم الكعبة المشرفة وأباح أعراض الصحابيات وبنات الصحابة من مهاجرين وأنصار في المدينة ومزق أهلها شر ممزق فماذا عسى أن يفعل الدجال لو دخل مكة والمدينة أكثر مما فعل حجاج عبد الملك

١- المصدر السابق.

٢- البخاري ج١ ت. د. بغا. ج ١٧٨٢ ص٦١٦ مسلم بشرح النووي باب قصة الجساسة ج٩ جزء ٢ ص٨٥.

ومسرف يزيد بن معاوية، فلم يحرس الملائكة مكة والمدينة من دجال اليهود ويبيحوهما ليهود المسلمين؟ ودجالهم آنذاك، ولو أن مسلما تشكك في حديث حراسة هذه المقدسات من المتن والمفهوم لكان حري به أن يعذر.

والأعجب من ذلك الحديث الذي يرويه البخاري بسنده عن جابر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (المدينة كالكير تنفي خبثها)[1] أي تخرج شرار الناس منها كما فسره الدكتور مصطفى البغا في شرح ألفاظ البخاري.

فإذا كان هذا الحديث صحيحا فلم لم تنف المنافقين منها ومن حولها، وقد قال الله تعالى: **﴿ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾**[2] فالمدينة المنورة تعج بهم ومسجد رسول الله يضيق من كثرتهم.

وإذا كان هذا الحديث صحيحا ففيم تفسر هجرة ألوف الصحابة من المدينة إلى غيرها من البلاد فهل كانوا خبثا في المدينة؟ وإذا كان صحيحا فبماذا نفسر صنيع علي بن أبي طالب عندما نقل دار الخلافة من المدينة إلى الكوفة فهل نفته المدينة؟ فو الله لقد اسمعني أحد الناس (وإني لأعرف اسمه وكنيته) حيث قال: لماذا علي نقل الخلافة إلى الكوفة فهذا شيء لم يصنعه الخلفاء من قبله وأخذ يوصم عليا بما يخدش العصمة ويوقعه بما يشبه الذنوب وأطال الكلام، ولقد كاد أن يقول: المدينة تنفي خبثها، غير أنه لم يقل، وإنما فهمتها من لحن القول، وإنني لأعلم أن هذا الحجاج ليس منه وإنما هو مدفوع من قبل دعاة العلم في مدينتنا الموقرة.

١- البخاري ج١ ت. د. بغا. ج ١٧٨٤ ص٦١٧.

٢- سورة التوبة:آية ١٠١.

كثير من آخر الأمة أفضل من كثير أولها

١٥_ إذا اعتبرنا حديث (خير الناس قرني...) صحيح المتن والسند فهذا لا يعني أن كل فرد من أفراد الصحابة هو خير من كل فرد مما سواهم وإنما المعنى جملة هذا القرن خير من كل قرن بجملته وإلا فهناك أفراد الأنبياء والمرسلين هم أفضل من كل فرد مما سواهم إلا ما شاء الله، وهناك أوصياء وأولياء في القرون السابقة أفضل من ألوف الصحابة والتابعين وأتباعهم، وهناك أفراد في هذه الأمة من أوصياء وأبرار ومقربين إلى يوم القيامة أفضل من عشرات الألوف من أفراد القرن الأول والثاني والثالث، ولقد أشار النووي بل صرح بهذا التفصيل في شرحه على مسلم.

ويشهد لهذا الفهم أن الشارع المقدس لا يزن الأشخاص بالأزمان والأمكنة فيعطي زيدا فضيلة لأنه في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أو في مكان هو مكة المكرمة، وإنما يزن بميزان العمل الصالح وإلا فبني أمية كلهم في القرن الأول وهو خير القرون ـ حسب المدعى ـ ولكنهم لا يعرفون عن الدين شيئا وقادوا المسلمين وفتحوا البلاد ووسعوا رقعة المسلمين وصدق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال ما أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة (يا بلال قم فأذن: لا يدخل الجنة إلا مؤمن وأن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر)[١].

ويشهد له قوله تعالى: **﴿ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك**

١- البخاري ج٤ ت، دبغا باب العمل بالخواتم ج٦٢٣٢ ص٢٢٨٠.

وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾[١].

هذه الآيات الكريمة هي التي تقرر بأدق الموازين وأجلى المعادلات من الأفضل فمتى وجد مؤمن في أي عصر من الأعصار يهتدي بهدي القرآن الحكيم ويخشى الله ويتقيه ويؤمن بالغيب ويقيم الصلاة وينفق من رزق الله ويؤمن بالكتب السماوية ويوقن بالآخرة فهو أفضل بكثير ممن قصر أو قصر عن هذه المواصفات كائنا من كان، حتى وإن كان القاصر أو المقصر من قرون الإسلام الأولى، بل وإن كان صحابيا ويشهد لذلك من السنة المطهرة ما يلي:

أخرج الحاكم بسنده عن عبد الرحمن بن زيد قال (ذكروا عند عبد الله (أي ابن مسعود) أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإيمانهم قال فقال عبد الله: إن أمر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ **﴿ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه ـ إلى قوله تعالى ـ يؤمنون بالغيب﴾**.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»[٢] وتعقبه الذهبي في التلخيص برمز البخاري ومسلم «خ م»[٣] وسكت عليه، ونقله ابن كثير في تفسيره عن ابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم[٤].

١- سورة البقرة:آية ١-٥.

٢- المستدرك للحاكم ج٢ ص٢٦٠ أول تفسير سورة البقرة.

٣- التلخيص للذهبي على هامش المستدرك ج٢ ص٢٦٠.

٤ - تفسير ابن كثير ج١ ص٤١.

وأخرج أحمد في مسنده بسنده عن أبي جمعة قال: «تغدينا مع رسول الله ومعنا أبو عبيدة بن الجراح قال فقال: يا رسول الله هل أحد خير منا؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك قال: نعم قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني» أخرجه عن أبي جمعة مرتين.

ونقله ابن كثير عن تفسير ابن مردويه من رواية أبي جمعة ولكن بالصيغة التالية قال: «كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعنا معاذ بن جبل عاشر عشرة فقلنا يا رسول الله هل قوم أعظم منا أجرا؟ آمنا بالله وتبعناك قال: «ما يمنعكم من ذلك رسول الله بين أظهركم يأتيكم بالوحي من السماء بل قوم بعدكم يأتيهم كتاب من بين لوحين يؤمنون به ويعملون بما فيه أولئك أعظم أجرا» مرتين» وقال ابن كثير بعد إيراده (وهذا الحديث فيه دلالة على العمل بالوجادة)[1].

واخرج في المسند من رواية أنس بن مالك وعمار بن ياسر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (مثل أمتي مثل المطر لا يدري الخير في أوله أم آخره)[2].

واخرج مسلم بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (... وددت أنا قد رأينا إخواننا قالوا أولسنا إخوانك يا رسول الله قال: أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد..)[3].

فأنت كما ترى أخي المسلم إرشاد الحديث أن رسول الله نفى أخوة

١- مسند أحمد ج٥ ح١٦٥٢٨.

٢- تفسير ابن كثير ج١ ص٤١.

٣- مسلم بشرح النووي ج٢ جزء١ ص١٣٨.

السائلين ضمنا وإن كانوا صحابة وأثبت لهم الصحبة، قلت: إن دل هـذا علـى شيء فإنه يدل على عدم إيمان السائلين القلبي وإن كانوا صحابة وإثبـات أخـوة الإسلام والإيمان للجائين من بعد أيا كانوا، فالمقياس الإيمـان لا الصحبـة، هـذا كله في حقيقة الأمر وإلا فيطلق عليهم ظاهرا الأخـوة بنـاء علـى سـعة مفـهوم الإسلام بشرط الشهادتين والصلاة وغيرها وهي حاصلة لهم، وهذا الفـهم مـن هذا الوجه أفضل بكثير مـن مجازفـات الإمـام البـاجي حيـث قـال: (بـل أنتـم أصحابي ليس نفيا لأخوتهم ولكن ذكر مرتبتهم الزائدة في الصحبة) وإلا فهو تحصيل حاصل ويرد عليه إيرادات عزفنا عن إيرادها والله العالم.

ونقل النووي عن القاضي عياض قال: (ذهب أبو عمرو بن عبد البر في هذا الحديث وغيره من الأحاديث في فضل من يـأتي آخـر الزمـان إلى أنـه قـد يكون فيمن يأتي بعد الصحابة من هو أفضل ممن كان من جملة الصحابـة وأن قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (خيركم قرني) على الخصوص معناه خير النـاس. قرني أي السابقون الأولون من المهاجرين والأنصـار ومـن سـلك مسـلكهم... وأما من خلط في زمنه (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن رآه وصحبـه، أو لم يكـن لـه سابقة ولا أثر في الدين فقد يكون في القرون التي تأتي بعد القـرن الأول مـن يفضلهم على ما دلت عليه الآثار، قال القاضي: وقد ذهب إلى هذا أيضـا غـيره من المتكلمين على المعاني، قال: وذهب معظم العلماء إلى خلاف هذا..)[1].

قلت: قوله: «ذهب معظم العلماء إلى خلاف هذا» يدل على أن العلمـاء القدامى الذيـن فضلـوا صلحـاء الأمـة علـى الغـافلين والمقصريـن والمغفلـين

١- شرح النووي على مسلم ج٢ جزء ١ ص١٣٨ باب إطالة الغرة والتجميل.

والحمقى من الصحابة لا تقل أعدادهم عن ٤٠٪ غير أنهم أغفلت أسماؤهم وآراؤهم ويعضد رأيهم هذا ـ زائدا على ما قدمنا ـ أحاديث الكنز للمتقي الهندي وإليكها:

قال: «طوبى لمن أدركني وآمن بي وطوبى لمن لم يدركني ثم آمن بي» قال السيوطي: ابن النجار عن أبي هريرة أي رواه ابن النجار.

وقال: «طوبى لمن رآني وآمن بي ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني» قال السيوطي: حم عن أبي سعيد أي رواه أحمد بن حنبل في مسنده.

وقال: «طوبى لمن رآني وآمن بي مرة وطوبى لمن لم يرني وآمن بي سبع مرات» .

قال السيوطي: «حم تخ حب ك عن أبي إمامة حم عن أنس»[1] أي رواه أحمد بن حنبل في مسنده والبخاري في تاريخه وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وكلهم عن رواية أبي إمامه وزاد أحمد أن رواه كذلك عن أنس بن مالك ولله الحمد والمنة.

١- كنز العمال للمتقي الهندي ج١ ص ٦٧ ح٢٤٨- ٢٤٩- ٢٥٠.

الحديث السادس عشر

تزوجت إليه وتزوج إلي

أخرج الطبراني بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إني سألت ربي أن لا أتزوج إلى أحد ولا يتزوج إلي أحد إلا كان معي في الجنة فأعطاني ذلك) وقال لم يرو هذا الحديث عن هشام ابن عروة إلا عمار بن سيف ولا عن عمار إلا يزيد بن الكميت تفرد به محمد بن أبي النعمان[1].

وأورده الهيتمي في الزوائد وقال: (فيه يزيد بن الكميت وهو ضعيف)[2].

تأمل أخي المسلم في معنى هذا الحديث الضعيف ـ بل المكذوب ـ الذي يرويه ابن الكميت والذي جاء شاملا ليعم كل من تزوج إليه رسول الله بدخول الجنة والبراءة من النار ثم تعال معي نعدل عنه إلى عرض سريع لتراجم أزواج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث نتعرف نحلة أو ملة آبائي وإخواني بعضهن وبعض من تولى مباشرة عقد الزواج من رسول الله ثم تعاود مناقشة الحديث ونقده إن شاء الله تعالى.

لقد تزوج رسول الله من خمس وعشرين زوجة على خلاف في بعضهن حيث بنى باثني عشر منهن وفارق البواقي قبل الدخول وفي ما يلي ترجمة لكل واحدة منهن على حدة.

١- المعجم الأوسط للطبراني ج٤ ح٣٨٥٦ ص٥٠٢.

٢- انظر مجمع الزوائد للهيتمي ج٥ جزء ٢ ص٢٠.

الزوجة الأولى:

هي: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو الجد الرابع لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكانت أسن من رسول الله بخمس عشرة سنة.

وكانت تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتدفعه إليهم مضاربة، وكانت قريش تجارا، فلما بلغها عن رسول الله من صدق حديثه وعظم أمانته وأنه يلقب بالصادق الأمين أرسلت إليه تسأله الخروج إلى الشام في تجارتها مع غلامها ميسرة ووعدته أن تعطيه ضعف ما تعطي غيره ففعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخرج إلى سوق بصرى فباع سلعته واشترى غيرها وقدم بها فربحت ضعف ما كانت تربح فأضعفت لرسول الله ضعف ما سمت له.

وقد أعلمها غلامها ميسرة بأن راهبا أشار إلى نبوة محمد وأن الغمام يظله وأنه صادق وأمين ثم أرسلت خديجة إلى رسول الله امرأة اسمها نفيسة دسيسا تعرض عليه نكاحها ففعل (صلى الله عليه وآله وسلم) فأنجبت له (صلى الله عليه وآله وسلم) أولادا ذكورا منهم القاسم وعبد الله وفاطمة الزهراء، وأما بقية نسائه على كثرتهن لم يلدن له قط، وأما مارية القبطية أنجبت له إبراهيم (عليه السلام) غير أنها ليس من عداد أزواجه لأنها أمة مملوكة له (صلى الله عليه وآله وسلم) وسنفرد لها ترجمة إن شاء الله.

وأخيرا نخلص إلى القول الذي سيقت له ترجمة أم المؤمنين خديجة الكبرى وهو أن الذي تولى عقد زواج رسول الله منها هو عمها عمرو بن أسد وقيل أخوها عمرو بن خويلد باعتبار أن أباها كان قد هلك قبل حرب الفجار

توفيت لعشرة خلوْن من شهر رمضان وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين وهي يومئذ بنت خمسٍ وستين سنة.

الزوجة الثانية:

هي: سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن سحل بن عامر بن لؤي وهو الجد الثامن لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أسلمت قديما وأسلم زوجها السكران بن عمرو وخرجا مهاجرين إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية ثم قدم السكران مكة ومعه زوجته سودة فتوفى عنها بمكة فلما حلت أرسل إليها رسول الله يخطبها فتزوجها فكانت أول زوجة له بعد خديجة وقد حج رسول الله بنسائه عام حجة الوداع ثم قال: هذه الحجة ثم ظهور الحصر... وكان كل نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يحججن إلا سودة وزينب بنت جحش قالتا: لا تحركنا دابة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن ابن سيرين قال: (قالت سودة حججت واعتمرت فأنا أقر في بيتي كما أمرني الله عز وجل)[1].

توفيت أم المؤمنين سودة في شوال سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية، والغرض الذي سيقت له ترجمة أم المؤمنين سودة بنت زمعة هو أن الذي تولى عقد زواجها من رسول الله هو حاطب بن عمرو بن عبد شمس فيكون ابن عم أبيها وقيل سليط بن عمرو وقيل أبوها زوجها وأخوها عبد كان غائبا ولم يسلم حين ذاك.

١- طبقات ابن سعد ج٨ ص٥٥.

الزوجة الثالثة:

هي: عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة وهو الجد السادس لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تزوجها (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي ابنة ستٍّ أو سبع سنين وبنى بها وهي ابنة تسع سنين ـ على حد قولها ـ وتوفى عنها وهي ابنة ثماني عشرة سنة، وكانت صاحبة غيرة مع ضرائرها كما سيأتي ماذا عملت بأسماء بنت النعمان بن أبي الجون الزوجة السابعة عشرة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكما يأتي ماذا عملت ببنت كعب الليثي الزوجة التاسعة عشرة لرسول الله، وكانت تغضب على رسول الله كثيراً من الأحيان حتى أنها تهجر اسمه عن لسانها كما ورد في صحيح مسلم حيث قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

(إني لأعلم إذا كنتِ عني راضية وإذا كنت علي غضبى قالت فقلت ومن أين تعرف ذلك قال أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين لا ورب محمد وإذا كنت غضبى قلتِ لا ورب إبراهيم..)[1].

وكانت تغضب وتسب بعض ضرائرها اللآتي يضاهينها مثل صفية زوجة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قالت عائشة: «كنت استب أنا وصفية فسببت أباها فسبت أبي وسمعه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا صفية تسبين أبا بكر..»[2].

وكانت تشتم خديجة بنت خويلد الكبرى وتغار منها وهي تحت التراب قالت: عائشة كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها فذكرها يوماً من الأيام فأخذتني الغيرة

١- مسلم بشرح النووي باب فضائل عائشة ج٨ جزء١ ص٢٠٣.

٢- طبقات ابن سعد ج٨ ص٨٠.

فقلت هل كانت إلا عجوزا قد أبدلك الله خيرا منها فغضب ثم قال: «لا والله ما أبدلني خيرا منها آمنت إذ كفر الناس وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني منها الله بالولد دون غيرها من النساء قالت عائشة فقلت في نفسي لا أذكرها بعدها بسبة أبدا»[1].

وفي يوم من الأيام ظاهرت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبالاشتراك مع زوجة رسول الله بنت عمر فانزل الله تعالى: **﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيرا﴾**[2].

وكانت لا تحب عليا ولا ترضى له خيرا ولا يذكر اسمه على لسانها قالت عائشة: «لما ثقل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واشتد به وجعه استأذن أزواجه في أن يمرض في بيتي فأذن له فخرج بين رجلين تخط رجلاه في الأرض بين ابن عباس تعني الفضل وبين رجل آخر قال عبيد الله فأخبرت ابن عباس بما قالت قال فهل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة قال قلت: لا قال ابن عباس: هو علي إن عائشة لا تطيب له نفسا بخير»[3].

وكانت لا تقر في بيتها على عكس سودة وزينب بنت جحش زوجتا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «راجع ترجمة سودة بنت زمعة» وخروجها على علي أمير المؤمنين واضح، وكانت أحد الأقطاب الثلاثة الذين يديرون

١- انظر الإصابة لابن حجر العسقلاني ترجمة خديجة ج٤ ص٢٧٥ انظر الاستيعاب بهامش الاصابة ج٤ ص٧٩.

٢- انظر الجلالين وتفسير ابن كثير عند تفسير الآية المذكورة.

٣ - طبقات ابن سعد واللفظ له ج٢ ص٢٣٢ سيرة ابن هشام ج٢ ص٢٣١.

حرب الجمل ضد علي بن أبي طالب (عليه السلام) وكانت تحتجب عن الحسن والحسين، قال: عكرمة:كانت عائشة تحتجب من حسن وحسين.قال:فقال ابن عباس:إن دخولهما عليها ليحل.

وعن ابن دينار عن أبي جعفر قال: كان حسن وحسين لا يدخلان على أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال ابن عباس أما دخولهما على أزواج النبي لحل لهما. وقال محمد بن عمر: لأنهما ولد ولد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد قال أبو حنيفة ومالك بن أنس: الرجل يتزوج المرأة فلا تحل لولده ولا ولد ولده من الذكور أن يتزوجها أبدا لا هم ولا أولادهم ولا أولاد بناتهم وهذا مجمع عليه»[1].

وكانت عالمة بالفقه والطب والشعر على حد ما أورده العسقلاني في الإصابة. قلت: إن صح أنها عالمة بالطب والشعر لعله بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإلا فكيف ومتى. وكانت تحفظ الكثير من حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث بلغ عدد ما رواه المحدثون عنها «٢٢١٠» كما ذكره ابن كثير في الباعث عن ابن الجوزي[2] أما ما ينسب إلى رسول الله من أنه قال فيها: «خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء» قال صاحب علوم الحديث: فإنه لا سند له، وقد صرح ابن حجر والمزي والذهبي وابن كثير بأنه مكذوب مصنوع»[3].

---

١ - الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٧٣.

٢ - الباعث الحثيث لابن كثير ص١٨٧.

٣ - علوم الحديث :د: صبحي الصالح ص٣٦٥.

وكانت تناقض أبا هريرة وتكذبه في الحديث وفي يوم كان يحدث عن النبي: أنه نهى عن المشي في الخف الواحد «فبلغ عائشة فمشت في خف واحد وقالت لأخالفن أبا هريرة» نقل ذلك الشيخ أبو رية عن تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة.

ونقل ابن حجر في الإصابة عند ترجمته عن ابن سعد قائلا: «واخرج ابن سعد بسند جيد قالت عائشة لأبي هريرة إنك لتحدث بشيء ما سمعته قال يا أمة طلقتها وشغلك عنها المكحلة والمرآة»[١].

ونقل الشيخ أبو رية عن سير الإعلام للذهبي أن عائشة قالت له: أكثرت يا أبا هريرة على رسول الله فكان جوابه: (ما كانت تشغلني عنه المرآة ولا المكحلة ولا المدهن) ولقد كان لأم المؤمنين ترد عليه فتجبهه بقولها: إنما أنت الذي شغلك بطنك وألهاك نهمك عن رسول الله حتى كنت تعدو وراء الناس في الطرقات تلتمس منهم أن يطعموك من جوعك فينفرون منك ويهربون حتى ينتهي بك الأمر إلى أن تصرع مغشيا عليك من الجوع أمام حجرتي فيحسب الناس أنك مجنون فيطئون عنقك بأرجلهم.

ونقل أيضا عن تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة «أن رجلين دخلا على عائشة فقالا: إن أبا هريرة يحدث عن النبي أنه قال: (إنما الطيرة في المرأة والدار والدابة) فطارت شفقا ثم قالت: كذب والذي أنزل القرآن على أبي القاسم من حدث بهذا عن رسول الله إنما قال رسول الله: كان أهل الجاهلية يقولون: إنما الطيرة في الدابة والمرأة والدار ثم قرأت ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في

١ - الإصابة لابن حجر العسقلاني ج٤ ترجمة أبي هريرة ص٢٠٦.

أنفسكم﴾[1] الآية.

وكان أبو بكر قد خصها بأن أودع عندها نسخ القرآن الحكيم وبقيت عندها حتى توفي فاستأذن بها منها عمر فأذنت له فأودعها عند حفصة وكانت (إذا قرأت هذه الآية ﴿وقرن في بيوتكن﴾ بكت حتى تبل خمارها»[2].

وكانت وفاتها ليلة الثلاثاء لتسع عشرة خلت من شهر رمضان سنة ثماني وخمسين وصلى عليها أبو هريرة، وهناك رواية عجيبة في سبب موتها لا يحسن بنا إلا إرجاؤها.

ونخلص إلى القول الذي سبقت له ترجمة أم المؤمنين عائشة هو أن الذي تولى عقد زواجها من رسول الله هو أبوها أبو بكر.

الزوجة الرابعة:

هي حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب وهو الجد السابع لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولدت حفصة قبل مبعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بخمس سنين تأيمت مقدم رسول الله من معركة بدر من خنيس بن حذافة ثم تزوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكانت صوامة قوامة.

وروى ابن سعد عن ابن عباس عن عمر أن النبي طلق حفصة ثم راجعها وهي التي قامت بالمظاهرة ضد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

١- سورة الحديد:آية ٢٢.

٢ – طبقات ابن سعد ج٨ ص٨١.

وبالاشتراك مع عائشة بنت أبي بكر انتقاما من مارية القبطية أم ولده إبراهيم فحرمها فأنزل الله تعالى سورة التحريم **﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك﴾**[١] وهي التي فشت سر رسول الله بعد أن أوصاها أن لا تقص خبر تحريم أم ولده إبراهيم ولا أسبابه غير أنها أذاعت به فأنزل الله من سورة التحريم قوله **﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه﴾**[٢] وأول من أذيع له سر رسول الله هي عائشة فتم التظاهر ولهذا السبب أنزل الله تعالى قوله **﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيرا﴾**[٣].

واخرج البخاري بسنده عن عائشة قالت: «كان رسول الله يشرب عسلا عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فواطيت أنا وحفصة على: أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير أني أجد منك ريح مغافير قال: «لا ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش فلن أعود له وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدا»[٤] والمغافير جمع مغفور وهو صمغ له رائحة كريهة ينضجه شجر يسمى العرفط.

وفي رواية له: أن التي سقته العسل هي حفصة وأن عائشة أخذتها الغيرة فأوصت سودة وصفية أن يقلن للنبي أكلت مغافير فإنه يقول سقتني حفصة

---

١ – سورة التحريم،آية ١.

٢ – سورة التحريم،آية ٣.

٣ – سورة التحريم،آية ٤.

٤ – البخاري ج٣ ت. د. بغا. ح٤٦٢٨ ص١٧٥٩.

شربة عسل فقلن جرست نحلة العرفط»[١].

ومعنى جرست أي أن النحل التي أنتجت العسل الذي أكلته أنت من عند زينب أو حفصة «حسب الروايات» لم ترع الورود والأزهار ليأتي عسله خالصا وإنما رعت المغافير التي هي صمغ ذو رائحة كريهة يخرج من الشجر المسمى بالعرفط ولذلك جاء فمك كريه الرائحة.

وعلى أية حال فقد اختلف العلماء في سبب نزول الآيات الأولى من سورة التحريم بما قد يمكن حصره في الأقوال التالية:

١ ـ قيل نزلت بسبب أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) حرم شرب العسل استرضاء لأزواجه كما في حديث البخاري آنف الذكر، وإليه ذهب من الصحابة عائشة كما صرح به النووي في شرح مسلم ومن المحدثين مسلم والبخاري كما يظهر من إخراجهما حديث العسل دون غيره، ومن المفسرين ابن تمير كما صرح في تفسيره واستحسنه صاحب التفسير الأمثل.

واختلف أصحاب هذا القول فيمن أطعم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عسلا وفيما يلي أقوالهم:

أ ـ قيل أن التي أطعمته العسل هي حفصة بنت عمر كما ورد في مسلم والبخاري[٢].

ب ـ وقيل هي أم سلمة وإليه ذهب عطاء بن أبي مسلم[٣].

---

١ - المصدر السابق ح١٩٦٧ ص١٨٩١.

٢ - مسلم بشرح النووي ج٥ جزء٢ ص٧٥ باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته البخاري ج٣ ح١٩٦٧ ص١٨٩١.

٣ - مجمع البيان للطرسي ج٦ ص١٢٠.

ج ـ وقيل هي زينب بنت جحش كما ورد أيضا في مسلم والبخاري[1].

٢ـ وقيل نزلت بسبب أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) حرم أمته مارية القبطية أم ولده إبراهيم (عليه السلام) استرضاء لحفصة بنت عمر كما اخرج النسائي ومسلم والبخاري واللفظ للأول بإسنادهم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: «أتاه رجل فقال إني جعلت امرأتي علي حراما قال كذبت ليست عليك بحرام ثم تلا هذه الآية ﴿**يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك**﴾[2] وقال الإمام السندي في تعليقته على سنن النسائي الصغرى «فهذا يدل بظاهره على أن هذه الآية نزلت في تحريم المرأة كما جاء أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) حرم مارية فنزلت»[3].

وأخرج الحاكم بسنده عن أنس «أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى جعلها على نفسه حراما فأنزل الله هذه الآية يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك إلى آخر الآية»[4].

وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

ونقله ابن كثير في تفسيره عن النسائي بسنده عن أنس فطلبته في سنن النسائي الصغرى التي هي إحدى الكتب الستة فلم أجده في بابه، فظننت أن ابن كثير نقله عن سنن النسائي الكبرى وإلا فمشكل.

---

١ – البخاري ج٣ ت. د. بغا. ح ٤٦٢٨ ص١٧٥٩ مسلم بشرح النووي ج٥ جزء٢ ص٣٣ـ ٧٤.

٢– البخاري ج٣ ت. د. بغا. ح٤٩٦٥ ص١٨٩٠ مسلم شرح النووي ج٥ جزء ٢ ص٧٣. النسائي ج٣ جـ٢ص١٥١.

٣ – حاشية السندي على سنن النسائي ج٣ جزء٢ ص١٥١.

٤ – المستدرك للحاكم ج٢ ص٤٩٣ تفسير سورة التحريم.

ونقل عن ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال: «.. وكان بدء الحديث في شأن أم إبراهيم مارية أصابها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيت حفصة في نوبتها فوجدت حفصة فقالت.. في يومي وفي داري وعلى فراشي قال: ألاّ ترضين أحرمها فلا أقربها قالت بلى فحرمها وقال لها: لا تذكري ذلك لأحد فذكرته لعائشة فأظهره الله عليه فأنزل تعالى: **﴿يا أيها النبي لِمَ تحرِّم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك﴾**[1].

ونقل عن الهيتم بن كليب في مسنده عن عمر قال قال النبي لحفصة: (لا تخبري أحداً وأن أم إبراهيم عليّ حرام.. فالله لا أقربها قال فلم يقربها حتى أخبرت عائشة فأنزل الله تعالى: **﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾**[2].

وهذا إسناد صحيح ولم يخرجه من أحد من أصحاب الكتب الستة واختباره الضياء المقدسي في كتابه المستخرج)[3].

وذهب إلى هذا القول من الصحابة زيد بن أسلم كما صرح به النووي وابن عباس ومن المحدثين والمفسرين ابن جرير الطبري وعبد الرحمن بن زيد وسفيان والثوري وابن عُلَيّه وداود بن أبي هند والشعبي ومسروق وقتادة والضحاك والحسن ومقاتل بن حيان والعوفي ومجاهد والهيتم بن كليب في مسنده واختاره الضياء المقدسي في المستخرج[4].

والفقهاء في كتبهم كما صرح به النووي وجاء مصرحاً به في تفسير

---

١ – سورة التحريم:آية ١.

٢ – سورة التحريم،آية ٢.

٣ – انظر تفسير ابن كثير ج٤ ص٣٨٦.

٤ – المصدر السابق ص٣٨٦ ـ ٣٨٥.

الجلالين ولم يورد السيوطي في أسباب النزول إلا قصة مارية، وكذلك فعله صاحب تفسير البرهان، واتفق العلماء بكليتهم ضربة واحدة على كلمة واحدة هي أن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هما حفصة وعائشة وأن التي أفشت سره (صلى الله عليه وآله وسلم) هي حفصة بنت عمر.

فذلكة

لقد تآمر أزواج النبي الكريم عليه بما يؤذي الله ورسوله ويغضبهما والمؤمنين مما يدل على صغو القلوب وسوء السريرة - فدوت أصداؤها على أرجاء الجزيرة العربية إلى درجة أن تكلم عنها الشارد والوارد وتدخل بها المؤمن والمنافق وعكف بعض أناسي المدينة المنورة تحت المنبر يبكون إشفاقا من الحدث وينتظرون النتائج وإلى أين تؤول وبعضهم ينكث بالحصى وآلى رسول الله من نسائه شهرا واعتزل على مشربة أم إبراهيم مارية القبطية وشاع بين الناس أن رسول الله طلق نساءه[1] غير أنه لشدة ما تكتم التاريخ على هذا الحدث المستطير لم يصلنا من فوضاه إلا أقل القليل، وفي حينه تدخل القرآن الحكيم يتوعد ويهدد بما لو هدد جبلا لذاب حيث قال: **﴿وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيرا﴾**[2] - والسبب في هذا البركان الذي تطايرت حممه من داخل بيوت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) موجهة إلى قلبه قالوا أنه يعود - إلى أسباب تافهة عزاها بعضهم - إلى قصة

---

١ - انظر مسلم شرح النووي ج٥ جزء ص٩٠- ٩١ - ٩٢- ٩٣.

٢ - سورة التحريم:آية ٤.

العسل أي أن ذنب رسول الله تجاه نسائه أنه أكل عسلا في بيت إحداهن وعزاها البعض الآخر إلى قصة مارية أي أن ذنب رسول الله عندهن أنه وطئ أمته مارية في حجرة إحداهن، فيالها من أسباب تافهة وتظاهرة مخزية يتجرع مرارها رسول الله ويثبتها الله قرآنا يتلوه الأجيال على مر التاريخ.

قلت: من أعجب العجب أن هناك حدثا جللا له علاقة وثيقة الصلة بقصة تحريم مارية القبطية، ولكنهم لم يتكلموا فيه هنا لا من قريب ولا من بعيد وهو أن حفصة وعائشة ـ ولفيفا قليلا ـ اتهمتا مارية أمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأم ولده إبراهيم، اتهمتاها بالزنا من قريب لها اسمه مأبور وأن ولده إبراهيم (عليه السلام) هو ولد مأبور، تم ذلك بعد أن ضرب رسول الله عليها الحجاب فاشتعلت نار الغيرة والحسد.

والصحيح أن أسباب نزول سورة التحريم يعود إلى هذا الحدث المؤلم ولكن المتسترين على أخطاء حفصة وعائشة نقلوا الجريمة من كونها اتهام مارية بقريبها إلى اتهام رسول الله بوطيء مارية على فراش حفصة، ثم جاء دور عائشة فأضفت على الغاية بنقل الاتهام من كونه (صلى الله عليه وآله وسلم) وطئ مارية إلى كونه شرب عسلا، باعتبار أنه يكنى للوطئ بشرب العسل، حيث وجه الشبه اللذة، ومصداق ذلك ما جاء على لسان النبي الكريم قوله: (لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك)[1] ويشهد لهذا التحليل العلمي ولهذا الحدث المؤلم الأدلة التالية:

---

١ - البخاري ج٣ ت. د. بغا. ٥٠١١ ص١٩١١ مسلم بشرح النووي ج٥ جزء ٢ ص٢.

مأبور ومارية:

١ـ أتُّهِمَ مأبور بقريبته مارية أمة رسول الله وأم ولده إبراهيم (عليه السلام) ولقد ترجم له ابن حجر في الإصابة حيث قال: (مأبور) بموحدة خفيفة مضمومة وواو ساكنة ثم راء مهملة القبطي الخصي قريب مارية... ولا ينافي ذلك نعته في الروايات بأنه قريبتها أو نسيبها أو ابن عمها لاحتمال أنه أخوها لأمها والله أعلم، وهو قريب مارية أم ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم...) ـ قدم معها من مصر قال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ابن مالك: أن رجلاً كان يتهم بأمّ ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)...)[1].

فأنت كما ترى أن المتّهَمَ معروف ولكن المتّهِمَ سقط اسمه في بابه البتة، والسبب إمّا أن يعود للتستر عليه وإمّا لتكميم الأفواه ولا أعْزِوه لأكثر من ذلك باعتبار أن مثل هذا الحدث العظيم الذي يمس حرم النبي فلا يمكن أن يسقط اسم مفتعله سهواً.

فلو أردنا الوصول إلى معرفة حكم جنائيٍّ عادل، فلا بدَّ لنا أولاً من معرفة أركان الْجِنَاءِ ـ شخص الجاني ـ ونوع الجناية ـ وشخص المجني عليه ـ وعند افتراض مجهولية الجاني نشرِّح حالات معلوم الأركان لأقتناص مجهولها، فكما في علم الرياضيات توضح المعادلات على أساس المعلوم منها لمعرفة المجهول كذلك في علم القوانين السماوية منها والوضعية يستدل المشرَّع بالمعلوم على المجهول عن طريق الدراسة المتقنة والملاحظات الدقيّة القائمة على أساس السبر والتقسيم الّذَيْنِ يقوم بهما القاضي الجنائي في حقل التجارب المتكوّن من أحوال نوع الجناية وشخص المجني عليه وإليك

---

١ – الإصابة لابن حجر ج٣ ص٣١٥.

المثال التالي:

▪ نوع الجناية معروف هو (القتل)، والمجني عليه معروف هو (زيد) وأما الجاني فمجهول، فالقاضي يستدل على الجاني من خلال السبر التالي ـ من يبغض زيدا؟ ـ من يعاديه؟ ـ من يثأر عليه؟ ـ من شريكه في العمل؟ ـ من يضمر له السوء ويتربص به الدوائر؟ ـ من يحسده ويطمع فيه؟ ـ من الذين يضرهم ويضارهم؟ ـ أين مكان الجناية ومتى زمانها؟ ـ من أصدقاؤه؟ ـ وأي الحانات يرتادها معهم؟ ـ آخر هاتف ممن تلقاه؟ ـ بمن يشك أولياؤه..؟ ـ فهذه القضايا وإن لم تكن بينات فهي أمارات تفيد الظن الذي لا يغني من الحق، ولكن الاستقراء يقويها تدريجا وبالتتابع ينكشف وجه الحق وكما قامت على ذلك الدراسات القانونية المعاصرة.

وبكلمة ـ من يبغض مارية حرم رسول الله؟ ـ من يعاديها؟ ـ من يثأر عليها؟ ـ من يشاركها الضر كما هي جبلة النساء؟ ـ من يضمر لها السوء ويتربص بها الدوائر؟ ـ من يحسدها ويطمع فيها؟ ـ من يثقل عليه وجودها؟ ـ وإن وجد فهل هو مؤمن أو منافق؟ ـ أين مكان سكناها؟ ـ هل كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يحبها ويتردد عليها؟ ـ هل أنجبت له (صلى الله عليه وآله وسلم) دون غيرها عدا الصديقة خديجة الكبرى؟ ـ وما إلى غير ذلك؟.

حفصة وعائشة:

٢_ نستقرئ الحديث الذي أوردناه آنفا عن الحاكم في المستدرك بسنده عن أنس «أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى جعلها على نفسه حراما فأنزل الله هذه الآية ﴿**يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك**﴾[1] إلى آخر الآية وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وعليه فحفصة وعائشة تبغضان مارية حرم رسول الله، وتعاديانها، وتثأران عليها، وتشاركانها ضر النساء، وتضمران لها السوء، وتتربصان بها الدوائر، وتحسدانها، وتطمعان فيها، بل في ضعف حريتها باعتبارها أمة، ويثقل وجودها عليهما، فأسكنها بالعالية، ولكن سكناها بعيدا عن نسائه لم يخلُ من الشغب فما فتئت نار العداوة والحسد تزداد تأججا، حيث كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يحبها ويكثر من الذهاب إليها باعتبارها أمة يتسرى بها فلا يقسم لها ولا يسهم في الوقت الذي لا يلحق الواحدة من أزواجه إلا يوم من كل تسعة أيام».

وأخرج ابن سعد بسنده عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال: (لما رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الحديبية.. بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس القبطي صاحب الإسكندرية وكتب .. كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام.. وكتب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جواب كتابه ولم يسلم

---

١ – سورة التحريم:آية ١.

وأهدى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مارية القبطية وأختها سيرين وحماره يعفور وبغلته دلدل وكانت بيضاء ولم يك في العرب يومئذ غيرها.

وأخرج بسنده عن أبي صعصعة قال: «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعجب بمارية وكانت بيضاء جعدة جميلة.. فعرض عليهما الإسلام فأسلمتا فوطئ مارية بالملك وحولها إلى مال له بالعالية... فكانت فيه في الصيف وفي خرافة النخل، فكان يأتيها هناك وكانت حسنة الدين ووهب أختها سيرين لحسان بن ثابت الشاعر...»[1].

هذا ولم يتوقف الشغب والتظاهر على رسول الله عند هذا الحد، وإنما أخذ يكبر ويتفاقم عندما ضرب (صلى الله عليه وآله وسلم) الحجاب على مارية فساواها بنسائه من هذا الحيث كما أخرج ابن سعد «أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حجب مارية وكانت قد ثقلت على نساء النبي وغرن منها ولا مثل عائشة»[2].

وفي نهاية المطاف بلغ السيل الزبى وانفجر الغليان فطفق الناس من شاد وباد يتكلمون في الحدث، حيث أصبح حديث الساعة هو الشقاق بين رسول الله وأزواجه، جاء ذلك على أعقاب أن سمع أزواجه (صلى الله عليه وآله وسلم) أن مارية يثقلها الحبل في الوقت الذي لم يرزقهن الله من رسوله ولدا.

أخرج ابن سعد «... فجاء أبو رافع إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فبشره ـ أي بولده إبراهيم (عليه السلام) ـ من مارية فوهب له عبدا وغار نساء

---

١ – طبقات ابن سعد ج١ ص١٣٤ـ ١٣٥.

٢ – المصدر السابق ص١٣٥.

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واشتد عليهن حين رزق منها الولد»[١].

وهنا حان الوقت الذي تنصب فيه الفخاخ وتدبر فيه المكايد فشاع بين الناس أن إبراهيم ليس من رسول الله ولقد صرحت عائشة أن إبراهيم لا يشبه رسول الله كما أخرج ابن سعد عن عائشة قالت: «لما ولد إبراهيم جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلي فقال: انظري إلى شبهه بي فقلت: ما أرى شبها فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ألا ترين إلى بياضه ولحمه فقلت إنه من قصر عليه اللقاح ابيض وسمن»[٢].

وعلى أية حال فإن رسول الله حرم مارية، ولكن الله أرجعها له كما قال تعالى: ﴿**يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك...**﴾ ولقد برأ الله رحم مارية حرم رسول الله كما أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أنس «أن رجلا كان يتهم بأم ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي اذهب فاضرب عنقه فأتاه علي فإذا هو في ركي يتبرد فيها فقال له: علي أخرج فناوله يده فأخرجه فإذا هو مجبوب ليس له ذكر فكف علي عنه ثم أتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال يا رسول الله إنه لمجبوب ماله ذكر»[٣].

توفت أم المؤمنين حفصة في شعبان سنة خمس وأربعين في خلافة معاوية وهي ابنة ستين سنة وصلى عليها مروان بن الحكم.

وغرضنا الذي سيقت له ترجمة أم المؤمنين هو أن الذي تولى مباشرة عقد زواجها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو أبوها عمر بن الخطاب.

---

١ – المصدر السابق .

٢ – المصدر السابق ١٣٧.

٣ – مسلم بشرح النووي ج٩ جزء١ ص١١٨ـ ١١٩. باب براءة حرم النبي (ص).

الزوجة الخامسة:

هي أم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية واسمه سهيل زاد الركب بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة وهو الجد السادس لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تزوجها أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي وهاجر بها إلى الحبشة في الهجرتين وشهد مع رسول الله معركة أحد فأصيب بسهم في عضده فمكث شهرا يداوي جرحه حتى برئ غير أن الجرح انتقض في شهر صفر فمات منه لثمان خلون من جمادى الآخرى سنة أربع من الهجرة فاعتدت لعشر بقين من شوال سنة أربع من الهجرة فتزوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

أخرج ابن سعد بسنده عن عائشة قالت: (لما تزوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أم سلمة حزنت حزنا شديدا لما ذكروا لنا من جمالها...).

وأخرج عن عبد الرحمن بن الحارث قال: «كان رسول الله في بعض أسفاره ومعه في ذلك السفر صفية بنت حيي وأم سلمة فأقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى هودج صفية وهو يظن أنه هودج أم سلمة وكان ذلك اليوم يوم أم سلمة فجعل رسول الله يتحدث مع صفية فغارت أم سلمة وعلم رسول الله بعد أنها صفية فجاء إلى أم سلمة فقالت تتحدث مع ابنة اليهودي في يومي وأنت رسول الله قال ثم ندمت على تلك المقالة فكانت تستغفر منها قالت يا رسول الله استغفر لي...»[١].

وكانت أم المؤمنين أم سلمة عالمة فاضلة وهي التي روت حديث الكساء

---

١ - طبقات ابن سعد ج٨ ص٩٤ـ ٩٥.

كما في مسند أحمد قالت: «إن النبي جلل على علي وحسن وحسين وفاطمة كساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت أم سلمة يا رسول الله أنا منهم؟ قال إنك على خير»[1].

وأخرجه الحاكم في المستدرك من خمسة طرق وتعقب الأول بقوله: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجه، وتعقب الثاني والثالث بقوله: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجه، وأرسل الرابع إرسال المسلمات، وتعقب الخامس بقوله: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه، وتعقبها الذهبي في تلخيصه مسلما لثلاثة أسانيد منها[2].

توفت أم المؤمنين أم سلمة في آخر سنة إحدى وستين بعد ما جاءها الخبر بمقتل الحسين بن علي، وصلى عليها مروان بن الحكم. وغرضنا من ترجمة أم المؤمنين هو أن الذي تولى مباشرة عقد زواجها من رسول الله هو ابن أخيها أو ابنها مسلمة.

الزوجة السادسة:

هي أم حبيبة واسمها رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وهو الجد الثالث لرسول الله ولدت قبل البعثة بسبعة عشر عاما وتزوجها عبيد الله ابن جحش فأسلما وهاجرا إلى الحبشة غير أن

---

١ – مسند أحمد ج٧ ح٢٦٠٥٧ ص٤٣١.

٢– المستدرك للحاكم مع تلخيص الذهبي ج٣ ص١٤٦.

زوجها تنصر فأكب على شرب الخمر ومات بالحبشة ولما انقضت العدة جاء رسول رسول الله إلى النجاشي يخبره أن رسول الله يريد الزواج من أم حبيبة فرضيت وولت عقد زواجها لخالد بن سعيد بن العاص وأصدقها النجاشي من عنده عن رسول الله أربعمائة دينار وكان لها يوم قدم بها المدينة سبعة وثلاثون سنة عام سبع من الهجرة وتوفيت أم المؤمنين سنة أربع وأربعين من الهجرة في خلافة معاوية، والغرض الذي سيقت له ترجمة أم المؤمنين هو أن الذي تولى مباشرة عقد زواجها من رسول الله هو خالد بن سعيد بن العاص.

الزوجة السابعة:

هي زينب بنت جحش بن رياب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة وهو الجد الرابع عشر لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمها أميمة عمة رسول الله فخطبها (صلى الله عليه وآله وسلم) على زيد بن حارثة فتزوجها.

وكان يدعى زيد بن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ولما اختلف مع زوجته شكاها إلى رسول الله فقال له: أمسك عليك زوجك وأعاد ذلك مرارا ثم أذن له فطلقها ثم تزوجها رسول الله في سنة خمس من الهجرة وقيل في سنة ثلاث وكان عمرها حينئذ خمس وثلاثين سنة.

وقد أنزل الله في شأن زواجها قرآنا قال تعالى ﴿**وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان**

أمر الله مفعولا﴾[1] .

وبهذا انهدمت قاعدة التبني ولما تكلم المنافقون وقالوا حرم محمد نساء الولد وتزوج امرأة ابنه زيد فأنزل الله تعالى **﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾**[2] الآية وقال تعالى **﴿أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾**[3] فدعي من يومئذ زيد بن حارثة وكانت زينب هي السبب في نزول آية الحجاب وكانت أول نساء النبي لحوقا به حيث توفيت سنة عشرين وهي بنت خمسين أو ثلاث وخمسين عاما، وصلى عليها عمر بن الخطاب. والغاية التي سيقت لها ترجمة أم المؤمنين هي أن الذي زوجها أخاها أبا أحمد بن جحش أو الله سبحانه وتعالى هو الذي تولى زواجها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

الزوجة الثامنة:

هي زينب الهلالية بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان بن مضر وهو الجد السابع عشر لرسول الله.

وقيل: الملتقى في نزار فيكون الجد الثامن عشر وربما نسبوا هوازن إلى ثمود، وكانت زينب تدعى في الجاهلية أم المساكين وكانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أحد سنة ثلاث وقيل كانت عند الطفيل بن الحارث

---

١ – سورة الأحزاب:آية ٣٧.

٢ – سورة الأحزاب:آية ٤٠.

٣ – سورة الأحزاب:آية ٥.

ثم خلف عليها عبيد الله بن الحارث فقتـل عنـها ببـدر ثـم خطبـها رسـول الله فجعلت أمرها إليه فتزوجها وأشهد، فمكثت عنده ثمانية أشهر. وقيـل شـهرين أو ثلاث ثم توفيت، وما الهدف الذي سيقت له ترجمة أم المؤمنين إلاّ أن رسـول الله هو الذي تولى عقد زواجها منه كما فهمنا من الطبقات والإصابة.

الزوجة التاسعة:

هي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة ابن المصطلق من خزاعة بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بـن عمـرو بـن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن أسد بـن الغـوث بـن نبت بن أدد وهو الجد الواحد والعشرون لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على بعض سياقات أهل الأنساب وفيه خلاف.

ولما غَزا رسول الله بني المصطلق غزوة المريسـيح في سـنة خمس أو سـت وسباهم وقعت جويرية في سهم ثابت بن قيس الأنصاري وكانت قبـل السـبي تحت مسافر بن صفوان المصطلقي ولما كاتبها ثابت جاءت إلى رسول الله تسـأله فكاكها فأدى عنها وتزوجها وقيل جاء أبوها بفكاكها ولكن رسـول الله خيرهـا بين الذهاب معه وبين رسول الله فاختارت رسول الله فتزوجـها وأصدقـها فقـال الصحابة أصهار رسول الله يسترقون فأعتقوا مئة أهل بيت مـن بـني المصطلـق وكان اسمها برّة فسماها رسول الله جويرية. توفيـت أم المؤمنـين سـنة خمسـين أو ستٍّ وخمسين للهجرة وصلى عليها مروان بن الحكم، وغرضنا من ترجمتها هنـا هو أن الـذي تـولى عقـد زواجـها مـن رسـول الله إمـا أبوهـا وإمّـا رسـول الله نفسه (صلى الله عليه وآله وسلم).

الزوجة العاشرة

هي: صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية بن عامر بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن النحام بن نيحوم من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران وكانت تحت سلام بن مشكم ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق فقتل يوم خيبر فصارت صفية مع السبي فأخذها دحية الكلبي ثم استعادها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاعتقها وجعل عتقها مهرها، وقيل أن رسول الله اصطفاها لنفسه فأسلمت فاعتقها وتزوجها.

أخرج ابن سعد بسنده عن أبي عون قال: «استب عائشة وصفية فقال رسول الله لصفية: ألاّ قلت أبي هارون وعمي موسى؟ وذلك أن عائشة فخرت عليها».

وأخرج بسنده عن زيد بن أسلم «أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الوجع الذي توفى فيه فلجتمع إليه نساؤه فقالت صفية بنت حيي أمّا والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي، فغمزها أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبصرهن رسول الله فقال: مضمضن فقلن: من أي شيء يا نبيّ الله؟ قال من تغامزكن بصاحبتكن والله إنها لصادقة» [1].

وكان عمرها أقل من سبع عشر سنة يوم تزوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتوفيت سنة اثنتين وخمسين في خلافة معاوية، والغرض هنا من ورود ترجمة أم المؤمنين هو أن الذي تولىً مباشرة عقد زواجها من رسول الله هو نفسه (صلى الله عليه وآله وسلم).

---

١ – طبقات بن سعد ج٨ ص١٢٨.

الزوجة الحادية عشر

هي: ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة بن سمعون بن زيد من بني النضير وكانت متزوجة رجلاً من بني قريظة اسمه الحكم فلما وقع السبي على بني قريظة سباها رسول الله فاعتقها وتزوجها بعد أن خيرها فاختارت الله ورسوله، وقيل: كان رسول الله يطؤها بملك اليمين، والصحيح أنها زوجة أصدقها وقسم لها وضرب عليها الحجاب في المحرم سنة ستٍ من الهجرة، وتوفيت فرجع رسول الله من حجة الوداع فدفنها بالبقيع، وكان هو الذي تولى عقد زواجها منه (صلى الله عليه وآله وسلم).

الزوجة الثانية عشر

هي: ميمونة الهلالية بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهرم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن غيلان بن مضر وهو الجد السابع عشر لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكانت تحت أبي رهم بن عبد العزَّى وقيل غير ذلك وكان اسمها برَّة فسماها النبي ميمونة وزوجه إياها العباس بن عبد المطلب وكان يلي أمرها وهي أخت أم ولده أم الفضل لأبيها وأمها، وتزوجها بسرف على عشرة أميال من مكة، وهي آخر امرأة تزوجها وبنى بها وذلك سنة سبعٍ في عمرة القضاء.

وتوفيت سنة إحدى وخمسين وقيل غير ذلك، وقد سبقت ترجمة أم المؤمنين لبيان أن الذي تولى مباشرة عقد زواجها من رسول الله هو عمه العباس.

الزوجة الثالثة عشر

هي: فاطمة «الكلابية» بنت الضحاك بن سفيان وقد قيل تزوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سنة ثمانٍ في الهجرة وطلقها قبل الدخول، وقيل بعد الدخول، وقيل أن أباها الضحاك عرض زواجها للنبي فقال: لا حاجة لي بها وعلى أساس الزواج فالذي تولّى عقد زواجها هو أبوها.

الزوجة الرابعة عشر

هي: العالية «الكلابية» بنت ظبيان بن عمرو بن عوف بن كعب بن عبد بن أبي بكر بن كلاب وطلقها بعد الدخول وقيل قبل الدخول وتزوجت ابن عمٍ لها وكان ذلك قبل أن يحرم على الناس نكاح أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

الزوجة الخامسة عشر

هي: سنا «الكلابية» بنت سفيان بن عوف بن كعب بن عبد بن أبي بكر بن كلاب طلقها رسول الله قبل الدخول.

الزوجة السادسة عشر

هي: عمرة «الكلابية» بنت يزيد بن عبيد بن رواس بن كلاب بن ربيعة بن عامر وكانت قبله تحت الفضل بن العباس كما ذكر ابن اسحق ثم طلقها وتزوجها رسول الله وفارقها قبل أن يدخل بها على قولٍ والله العالم.

تنبيه

اختلف أهل السير والمؤرخون وأصحاب التراجم في الكلابيات التي ترجمنا لهن آنفاً وهن فاطمة والعالية وسنا وعمرة على الترتيب فقال بعضهم: «لم تكن إلاّ كلابية واحدة».

واختلفوا في اسمها واسم أبيها تبعاً لاختلاف الروايات فقيل هي فاطمة بنت الضحاك وقيل هي العالية بنت ظبيان وقيل هي سنا بنت سفيان وقيل هي عمرة بنت يزيد بن عبيد ثم اختلفوا في السبب الذي طلقها فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تبعاً لاختلاف الروايات فقيل استعاذت منه فطلقها وقيل خيرّها بين الآخرة والثبات معه وبين الدنيا واللحاق بأهلها فاختارت قومها ففارقها وقيل طلقها لبياض كان بها وقيل كانت إذا خرج رسول الله تطلعت إلى أهل المسجد فشهد عليها أزواجه ففارقها.

وقال بعضهم: «بل كن جميعاً ولكل واحدة منهن قصة غير قصة صاحبتها» كما ذكر كل ذلك ابن سعد في الطبقات الكبرى ولقد ترجم ابن حجر في إصابته لكل واحدة منهن على حدا.

أقول: فإن قلنا بعدم التعدد فالخطب هين من جهة الاختلاف في اسمها فقد جرى أوسع من ذلك في مثل أبي هريرة فقد اضطُرِبَ في اسمه واسم أبيه على نحو ثلاثين قولاً ولا تثريب فإنه معين الذات واللقب فأبو هريرة هو أبو هريرة وإن اختلفنا في اسمه واسم أبيه وإنما الضير في أسماء آبائهن فليس الخلاف في اسمها مع وحدة ذات أبيها. أقصد لو قيل هي فاطمة بنت الضحاك وقيل هي العالية بنت الضحاك وقال آخر هي عمره بنت الضحاك.. عندها يضعف الإشكال وإلاّ فكيف نحكم أنها كلابية واحدة مع اختلاف اسم الأب والنسب

والسبب، اللهم إلاّ إذا حكمنا بوضع كـل الأحـاديث المتعلقـة بـالموضوع عـدا حديث عبد الله بن سعيد عن أبيه قـال: «لم يـتزوج رسـول الله مـن بـني عـامر غيرها «يقصد عمرة بنت يزيد» ولم يتزوج من كندة غير الجونية»[١].

وإن قلنـا بـالتعدد فـلا ضـير ولا تـثريب فتكـون إحداهـن المختـارة ولعلها فاطمة بنت الضحاك قال ابن اسحق تزوجها رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد وفاة ابنته زينـب وخيرهـا حـين أنزلـت آيـة التخيـير فاختـارت الدنيا ففارقها.

كما في الإصابة وآية التخيير هي قول الله تعالى: ﴿يـا أيـها النـبي قـل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتّعكُنّ وأسـرحكن سـراحاً جميلاً وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً﴾[٢].

غير أن ابن عبـد الـبر لم يرتـض هـذا القـول معتـلاً برواية البخـاري عن عائشة قالت: «لما أمر رسول الله بتخيير أزواجـه بـدأ بـي «إلى أن قـالت» فـإني أريـد الله ورسـوله والـدار الآخـرة قـالت ثـم فعـل أزواج النـبي مثل ما فعلت»[٣].

أقول: لعل السيدة عائشـة تقصـد بقولهـا: «فعـل أزواج النبي مثـل مـا فعلت» نساءه اللواتي اخترن الله ورسوله ولم تخبر عن المختـارة وعـدم الإخبـار لا يفيد إخبار العدم.

---

١ – طبقات بن سعد ج٨ ص١٤٢.

٢ – سورة الأحزاب آية ٢٨ـ ٢٩.

٣ – البخاري ج٣ ت. د. بغا. ج٨ ٤٥٠ ص١٦٨٩ـ ١٦٩٠.

وتكـون الثانيـة موضوحــة ولعلــها عمــرة بنــت يزيــد بــن عبيــد والسبب في مفارقتـها كمـا روى ابـن سـعد بسنده عـن ابــن عمــر قــال: «.. فتزوجها فبلغه أن بها بياضاً فطلقها»[١].

وتكون الثالثة مستعيذة ولعلها سنا بنت سفيان والسبب في طلاقها كما روى ابن سعد عن عروة عن عائشة قالت: «تزوج رســول الله الكلابيـة فلمـا دخلت عليه فدنا منها قالت أعوذ بالله منك فقــال: لقـد عـذت بعظيـم الحقـي بأهلك» هذا وإن استأنس ابن سعد بوضع هذا الحديث تالياً لحديـث موقـوف على الزهري يفسر به أنها فاطمة بنت الضحاك.

وكان سبب استعاذتها بالله من رسوله هو أن عائشة أم المؤمنين خدعتــها بأن رسول الله يحب إذا دنا منك تقولي أعوذ بالله منك وقيل غير ذلك.

وتكون الرابعة المتطلعة على الرجال بعد فرض الحجاب ولعلها العاليـة بنت ظبيان كما أخرج ابن سعد بسنده عن السائب عن رجل من بني بكر بـن كلاب من عشـيرة العاليـة قـال: «إن رسـول الله تـزوج العاليـة بنـت ظبيـان.. فمكثت عنده دهراً ثم طلقها».

والسبب كما أخرج ابن سعد أيضاً بسنده عن الحســين بـن علـي قـال: (تزوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) امرأة مــن بـني عـامر فكـان إذا خـرج تطلعت إلى أهل المسجد فأخبر بذلك رَسُــولَ اللهِ أزواجُـه فقـال إنكـن تبغـين عليها فقلن نحن نريكها وهي تطلّع فقــال رسـول الله نعـم فأرينـه إياهـا وهـي تطلّع ففارقها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم))[٢].

---

١ – طبقات ابن سعدج٨ ص١٤٣.

٢ – المصدر السابق ج٨ ص١٤٢.

الزوجة السابعة عشر

هي: سبا ويقال سنا بنت الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن حرام بن سماك ابن عوف السلمي ذُكِرَتْ في الإصابة وترجم لها القرطبي في الاستيعاب ماتت قبل أن يدخل بها.

وقال ابن اسحق: طلقها قبل أن يدخل بها غير أن ابن سعد روى بسنده عن ابن عمير الليثي قال: «جاء رجل من بني سليم إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال يا رسول الله: إن لي ابنة من جمالها وعقلها ما إني لأحسد الناس عليها غيرك فَهَمَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يتزوجها.

ثم قال: وأخرى يا رسول الله لا والله ما أصابها مرض قط فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا حاجة لنا في ابنتك تجيئنا تحمل خطاياها لا خير في مال لا يرزأ منه وجسد لا ينال منه».

تولى عقد زواجها من رسول الله أبوها بناءً عليه والله العالم.

الزوجة الثامنة عشر

هي: عمرة بنت يزيد بن الجون الكندية يقال: تزوجها رسول الله فبلغه أن بها وضحاً فطلقها ولم يدخل بها وقيل أنها استعاذت فأعاذها والله العالم.

الزوجة التاسعة عشر

هي: أسماء وتسمى أميمة أيضاً بنت النعمان بن أبي الجون بن الأسود بن الحارث ابن شراحيل بن الجون بن آكل المرار الكندي.

ولقد طلقها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل الدخول، ومن

الإيضاح بمكان أن نذكر ثلاثة أسباب: سبب زواجـها مـن رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسبب طلاقها منه، واليد الآثمة التي فرقت بين المرء وزوجه:

أمّا سبب الزواج

هو كما أخرج ابن سعد بسنده عن عبد الواحد بن أبي عـون الدوسـي قال: «قدم النعمان بن أبي الجون الكندي وكان ينزل وبني أبيـه نجـداً ممـا يلـي الشربَّة فقدم على رسول الله مسلماً فقال: يا رسول الله ألاَ أزوجك أجمل أيم في العرب كانت تحت ابن عم لها فتوفى عنها فتأيمت.

وقد رغبت فيك وحطت إليـك، فتزوجـها رسـول الله علـى اثـني عشـرة أوقية ونشٍّ فقال: يا رسول الله لا تقصر بها في المهر.

فقال رسول الله: ما أصدقت أحداً من نسائي فوق هذا ولا أصـدق أحـداً من بناتي فوق هذا، فقال النعمان: ففيك الأسى قـال: فـابعث يـا سـول الله إلى أهلك من يحملهم إليك فأنا خارج مع رسـولك فمرسـل أهلـك معـه، فبعـث رسول الله معه أبا أسيد الساعدي...

قال أبو أسيد: فأقمت ثلاثة أيام ثم تحمَّلت معـي علـى جمـل ضعينـة في محفَّة فأقبلت بها حتى قدمت المدينة فأنزلتها في بني ساعدة فدخـل عليـها نسـاء الحي فرحَّبن بها وسهَّلن وخرجن من عندها فذكرن مـن جمالهـا وشـاع بالمدينـة قدومها قال أبو أسيد: ووجهت إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسـلم) وهـو في بـني عمرو بن عوف فأخبرته»[1] .

وللحديث تتمه نوافيك بها بعد قليل.

---

١ - الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١٤٣-١٤٤.

وأما سبب الطلاق

هو كما أخرج البخاري بسنده عن الأوزعي قال: سألت الزهري أي أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) استعاذت منه؟ قال: اخبرني عروة عن عائشة (رضي الله عنها): إن ابنة الجون لما دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ودنا منها قالت: أعوذ بالله منك فقال لها: لقد عذتِ بعظيم إلْحَقي بأهلكِ)[1].

وأمّا اليَدُ المُفَرِّقَةُ

التي فرقت بين المرء وزوجه ـ حتى وإن كان الزوج محمداً رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ هي يد نسائه بل يد حفصة وعائشة بل يد عائشة بمفردها، حيث دخلت على امرأة بدوية لا تعرف ما يحب رسول الله وما يكره ولا تعرف إن الاستعاذة منه (صلى الله عليه وآله وسلم) تحتم طلاقها إذ أن الاستعاذة من الشيطان فكيف يُسْتَعَاذ من أفضل الأنبياء والمرسلين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فلقنتها ما هو كفيل بطلاقها كما روى ابن سعد في ذيل الحديث الذي أوردناه آنفاً قال: «ودخل عليها داخل من النساء فدأين لها لِمَا بلغهن من جمالها وكانت من أجمل النساء فقالت: إنك من الملوك فإن كنتِ تريدين أن تحظي عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإذا جاءكِ فاستعيذي منه فإنك تحظين عنده ويرغب فيكِ»[2].

وأخرج بسنده عن ابن الغسيل عن حمزة بن أبي أسيد الساعدي عن

---

١ – البخاري ج٣ ت. د. بغا. ح٤٩٥٥ ص١٨٨٦.

٢ – الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١٤٤.

أبيه وكان بدريّاً قال: «تزوج رسول الله أسماء بنت النعمان الجونية فأرسلني فجئت بها فقالت حفصة لعائشة أو عائشة لحفصة: اخضبيها أنتِ وأنا أمشطها ففعلن ثم قالت لها إحداهن: إن النبي يعجبه من المرأة إذا دخل عليها أن تقول أعوذ بالله منك، فلما أدخلت عليه وأغلق الباب وأرخى الستر مد يده إليها فقالت: أعوذ بالله منك فتال بكمّه على وجهه واستتر به وقال: عذتِ معاذاً ثلاث مرات قال أبو أسيد: ثم خرج عليّ فقال: يا أبا أسيد ألحقها بأهلها ومتّعها برزاقيتين يعني كرباستين فكانت تقول: دعوني الشقية.

وأخرج بسنده عن عباس بن سهل قال: سمعت أبا أسيد الساعدي يقول: لما طلعت بها الصرم تصايحوا وقالوا: إنك لغير مباركة ما دهاك؟.

فقال: خُدِعْتُ فقيل لي كيت وكيت للذي قيل لها فقال أهلها: لقد جعلتنا في العرب شهرة...»[1].

وترجم لها ابن حجر العسقلاني في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة وذكر عن فريق من أصحاب هذا الشأن قولهم: «كانت أسماء بنت النعمان الكندية من أجمل النساء فخاف نساؤه أن تغلبهن عليه فقلن: لها أنه يحب إذا دنا منك أن تقولي أعوذ بالله منك ففعلت وكانت تسمي نفسها شقية وزاد الجرجاني فخلف عليها المهاجر بن أمية المخزومي ثم قيس بن مكشوح المرادي»[2].

وترجم لها القرطبي المالكي ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب في أسماء الأصحاب وقال: «قال الجرجاني النسابة صاحب كتاب المونق أسماء بنت

---

١ – الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١٤٤ـ ١٤٥ـ ١٤٦.

٢ – الإصابة لابن حجر العسقلاني ج٤ ص٢٢٧–٢٢٨.

النعمان الكندية هي التي قال لها نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أردتِ أن تحظي عنده فتعوذي بالله منه فلما دخل عليها قالت أعوذ بالله منك فصرف وجهه عنها وقال: الحقي بأهلكِ فخلف عليها المهاجر بن أمية المخزومي»[١].

وقال الله تعالى: **﴿وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾**[٢] والغرض الذي سيقت له ترجمة أسماء بنت النعمان هو أن الذي تولى عقد زواجها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو أبوها النعمان الكندي.

الزوجة العشرون

هي قتيلة بنت قيس أخت الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن علي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتّع بن كندة.

أخرج بن سعد بسنده عن ابن عباس قال: «لما استعاذت أسماء بنت النعمان من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج والغضب يعرف في وجهه فقال له الأشعث بن قيس: لا يسوؤك الله يا رسول الله ألا أزواجك من ليس دونها في الجمال والنسب قال: من قال: أختي قتيلة قال: تزوجتها»[٣].

وترجم لها القرطبي في الاستيعاب حيث قال: «تزوجها رسول الله في سنة عشر ثم اشتكى في النصف من صفر ثم قبض يوم الاثنين ليومين مضيا من

---

١ - الاستيعاب لابن عبد البر بهامش الإصابة لابن حجر العسقلاني ج٤ ص٣٧٧.

٢ - سورة البقرة آية ١٠٢.

٣ - الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١٤٧.

ربيع الأول من سنة إحدى عشر ولم تكن قدمت عليه ولا رآها ولا دخل بها، وقال بعضهم كان تزويجه إياها قبل وفاته بشهرين.

وأخرج ابن سعد في ذيل الحديث الذي أوردناه آنفاً قال: «فانصرف الأشعث إلى حضرموت ثم حملها حتى إذا فصل من اليمن بلغه وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فردها إلى بلاده وارتد وارتدت معه فيمن أرتد فلذلك تزوجت لفساد النكاح بالارتداد وكان تزوجها قيس بن مكشوح المرادي»[١].

وقيل: تزوجها عكرمة بن أبي جهل، وقيل: لم يتزوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والغرض من ترجمة قتيلة هو أن أخاها الأشعث تولّى مباشرة عقد زواجها من رسول الله على القول به.

الزوجة الحادية والعشرون

هي: مليكة بنت كعب الليثي الكنانية أورد ابن سعد أحاديث في شأنها تحت عنوان مليكة، وترجم لها ابن حجر في الإصابة.

ونقل عن الواقدي عن أبي معشر «أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تزوج بها وكانت تذكر بجمال بارع فدخلت عليها عائشة فقالت لها: أما تستحين أن تنكحي قاتل أبيكِ.

وكان أبوها قتل يوم فتح مكة قتله خالد بن الوليد، قال: فاستعاذت من النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فطلَّقها فجاء قومها يسألونه أن يراجعها، واعتذروا عنها بالصغر وضعف الرأي وإنما خدعت فأبى، فاستأذنوه أن يزوجوها قريباً لها

---

١ - الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١٤٧.

من بني عذرة فأذن لهم»[١].

ونقل من طريق آخر أن رسول الله تزوجها في شهر رمضان ودخل عليها وماتت عنده»[٢].

ونقل عن الواقدي قوله: «أصحابنا ينكرون هذا وأنه لم يتزوج كنانية قط»[٣].

الزوجة الثانية والعشرون

هي: بنت جندب بن ضمرة الجندعي كما أخرج ابن سعد عن محمد بن عمر باسناده إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تزوج بنت جندب بن ضمرة الجندعي وأخرج عن محمد بن عمر نفسه قال: «وأصحابنا ينكرون ذلك ويقولون لم يتزوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كنانية»[٤] والله العالم.

الزوجة الثالثة والعشرون

هي: خولة بنت الهذيل بن هبيرة بن قبيعة بن الحارث بن حبيب بن حرُفة بن ثعلبة بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب. خالة دحي الكلبي.

أخرج ابن سعد بسنده عن ابن القطامي: «أن رسول الله (صلى الله عليه

---

١ – المصدر السابق ص١٤٨.

٢ – أنظر المصدر السابق ص١٤٩.

٣ – المصدر السابق.

٤ – المصدر السابق.

وآله وسلم) تزوج خولة بنت الهذيل فهلكت على الطريق قبل أن تصل إليه»[١] وترجم لها ابن حجر في الإصابة ونقل عن ابن عبد البر نَقْلَهُ عن الجرجاني النسابة وعطف قائلاً:

وذكرها المفضل بن غسان العلائي في تاريخه بسنده عن مجاهد قال: وتزوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خولة بنت الهذيل... فحملت إليه من الشام فماتت في الطريق فنكح خالتها إشراف أخت دحيي «الكلبي» ابن خليفة فماتت في الطريق أيضاً»[٢] وأورد ذلك كله ابن سعد في الطبقات الكبرى[٣].

الزوجة الرابعة والعشرون

هي: إشراف أخت دحية الكلبي بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف الكلبي. راجع ترجمة خولة.

الزوجة الخامسة والعشرون

هي: امرأة من غفار كما أخرج البيهقي في كتاب السنن الكبير بسنده عن ابن عمر: أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) تزوج امرأة من غفار فلما دخلت عليه رأى بكشحها [٤] بياضاً فقال: «البسي ثيابك والحقي بأهلكِ» وقال لأهلها:

---

١ – المصدر السابق ص١٦٠.

٢ – الإصابة لابن حجر العسقلاني ج٤ ص٢٨٦.

٣ – أنظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١٦٠.

٤ – الكشح: الجنب.

«دلستم عليّ».

ولقد تناقل الفقهاء هذا الحديث للدلالة على ثبوت خيار الفسخ للطرف السليم على صاحب العلّه[١]، وللأمانة نعلن بأننا أوردنا رواية البيهقي نقلاً عن كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار[٢] للحسني الحصني الدمشقي الشافعي، والله العالم ولله الحمد والمنة.

---

١ - أي وللزوج المسلم خيار فسخ الزوجية: لو كانت الزوجة: موضوحةً أو مجنونةً أو رتقاء أو قرناء أو جذماء. وكذلك للزوجة خيار الفسخ لو كان الزوج مجنوناً أو مجذوماً أو موضوحاً أو مجبوباً أو معنوناً.

٢ - جزء ٢ ص٣٦.

إعادة الحديث السادس عشر

تزوجت إليه وتزوج إليّ

من ثمَّ نرجع لهذا الحديث حيث أوردناه قبل تراجم أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مباشرة، ولطول الفصل نورده ثانية لمناقشة معناه كما وعدنا وإليك نصه:

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إني سألت ربي أن لا أتزوج إلى أحد ولا يتزوج إليَّ أحد إلا كان معي في الجنة فأعطاني ذلك» .

أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط وقال: لم يرو هذا الحديث عن هشام بن عروة إلاّ عمار بن سيف ولا عن عمار إلا يزيد بن الكميت، تفرد به محمد بن أبي النعمان)[1] وأورده الهيتمي في الزوائد وقال: «فيه يزيد بن الكميت وهو ضعيف»[2].

تأمل أخي المسلم في معنى هذا الحديث الضعيف بل المكذوب الذي يرويه بن الكميت والذي جاء شاملاً ليعم من تزوج إليه رسول الله بدخول الجنة والبراءة من النار، والذي يوهم أن كل من زوَّج رسول الله هو رجل صالح ومن المتقين، فياليت شِعْري فما المقصود بمن زوجوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ .

فهل هم جملة من تولى مباشرة عقود زواجهن من رسول الله؟ أم جملة

---

١ – المعجم الأوسط للطبراني ج٤ ح٣٨٥٦ ص٥١٢.

٢ – مجمع الزوائد للهيتمي ج٥ جزء ٢ ص٢٠.

اخوانهن؟ أم جملة آبائهن؟ أم الخلفاء الأربعة؟ أم كل هذه الاحتمالات؟ وفيما يلي نقاش كل احتمل على حدا:

الاحتمال الأول

فإن كان المراد بلختلاق الحديث الاحتمال الأول؟ وهو جملة الذين تولوا مباشرة عقود زواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لحمايتهم من النار وإدخالهم الجنة؟ فالمخْتَلِقُ أخطأ الهدف المراد بدليل انخرام العموم، إذ ليس كل من تولىَّ عقد زواجٍ لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثبت على إسلامه، فهذا الأشعث بن قيس تولىَّ عقد زواج أخته قتيلة من رسول الله وسافر إلى حضرموت ليبعث بها إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى الطريق ورده نبأ وفاته فرجع بها إلى بلاده فارتد عن الإسلام وارتدت معه، انظر ترجمتها تحت عنوان الزوجة العشرين وسنذكر طرفاً من ذلك في الاحتمال الثاني.

الاحتمال الثاني

وإن كان المراد من الحديث الاحتمال الثاني؟ وهو جملة إخوانهن فالعموم منخرم انخراماً يدل على غباء المختلق بدليل أن عبيد الله بن جحش أخا أم المؤمنين زينب بنت جحش ارتد عن الإسلام متنصراً فأكب على الخمر حتى مات بأرض الحبشة دار هجرة المسلمين في بدء الإسلام. راجع ترجمة أم حبيبة الزوجة السادسة إن شئت.

وهذا الأشعث بن قيس زوّج أخته قتيلة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فانصرف إلى حضرموت ثم حملها حتى إذا فصل من اليمن بلغه وفاة

رسول الله فردها إلى بلاده وارتد عن الإسلام وارتدت معه ثم جيئ به أسيراً في حروب الردة إلى أبي بكر فأعلن إسلامه من جديد فأطلق وثاقه فقال لأبي بكر استبقني لحربك وزوجني أختك فزوجه أخته أم فروة انظر ترجمته في الإصابة.

الاحتمال الثالث

وإن كان المراد من الحديث المختلق الاحتمال الثالث؟ وهو جملة آباءِ أزواج رسول الله، إكراماً للمصاهرة يتجاوز الله عن عقباتهم الكؤُدة حيث لا تثريب عليهم ولا معقب لأقوالهم وما فعلوا، فهذا لا يلتئمُ مع شمول النص واقعاً بدليل أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تزوَّج مليكة بنت كعب الليثي على القول به بعد أن قتل أبوها على الشرك في فتح مكة المكرمة عندما أبدى مقاومة بالخندمه بمعية صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وغيرهم فقتله خالد بن الوليد، ولما جيئ بها عروساً عيَّرتها عائشة بأنها تزوجت قاتل أبيها فاستعاذت من رسول الله فطلقها، وقيل دخل بها وماتت عنده انظر ترجمتها تحت عنوان الزوجة الواحدة والعشرين.

وهذه أم المؤمنين خديجة الكبرى بنت خويلد مات أبوها جاهلياً عام الْفِجَار، وأهل الفترة غير ناجين إلاّ الموحدون منهم، فلا يعذر عند الله من أشرك به وهو عاقل بالغ باعتبار أن توحيد صانع الكون تدركه العقول حتى وإن لم يبعث رسولاً، ويدل على ذلك إيمان الفِتْيَةِ أصحاب الكهف حيث أدركوا توحيد رب السموات والأرض بأدنى تأمل قال تعالى: ﴿إنهم فِتْيَةٌ آمنوا بربهم وزدناهم هدىً﴾[1] ولا مجال للنظر هنا في معنى فُتُوَّتِهِمْ فتوة ابدان أم إيمان.

---

١ - سورة الكهف آية ١٣.

وهذا بخلاف الموحدين في الجاهلية فإنهم معذورون عند الله في ما سوى التوحيد من التكاليف العملية وبالأخص مجهولة العلة حيث لا مناط ولا استقلالية للعقل بها، وبكلمة أن العقل عاجز عن الإدراك بأن عملاً تعبدياً ذا كيفية معينة وشرائط مخصوصه وأوقات معلومة هو مرادٌ لله حتى يبعث رسولاً.

وبناءً على هذا المفهوم وانطلاقاً منه فإن الموحدين من أهل الجاهلية ينزل عليهم قول القائل: بأن أهل الفترة ناجون فيما لا يدركه العقل ولم ينذر به المرسلون، ويتنزل على المشركين منهم ما رواه أبو داود في باب ذراري المشركين بسنده عن أنس بن مالك: «إن رجلاً قال يا رسول الله: أين أبي؟ قال أبوك في النار»[1].

وأما ما رواه أحمد في ذيل الحديث المروي بسنده عن الأسود بن سريع أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (وأمّا الذي مات في الفترة فيقول رب ما أتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنّه فيرسل إليهم أن ادخلوا النار قال: فو الذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً)[2].

فمحمول على المشركين منهم كما في رواية أبي داود ولا مانع من امتحانهم لإظهار الحجة عليهم.

وأمّا ما يعتقده اخوتنا أهل السنة من نجاة أهل الفترة وَحَّدُوا أم أشركوا معتلين بقوله تعالى: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً**﴾[3] هو غير منسجم مع

---

١ – سنن أبي داود ج٢ ح٤٧١٨ ص٦٤٢ت، كمال يوسف الحوت.

٢ – مسند أحمد ج٤ ح١٥٨٦٦ ص٦٠٢

٣ – سورة الإسراء آية ١٥.

العقل فيما يدركه ولا يلتئم مع أحكام الشارع الأقدس الذي لا يرفع القلم إلا عمن لا يُدْرك وفيما لا يُدْرَك وعليه فالآية الكريمة تنفي عذاب الاستئصال الدنيوي قبل الإنذار بدليل ما يتلوها من قول الله: **﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾**[١].

الاحتمال الرابع

وإن كان المقصود باختلاق حديث تَزَوَّجْتُ إليه وتزوج إليّ خصوص الخلفاء الأربعة حيث تزوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أبي بكر بابنته السيدة عائشة، وتزوج إلى عمر بن الخطاب بابنته حفصة، وتزوج علي إلى رسول الله بابنته سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء، وتزوج عثمان بن عفان إلى رسول الله بابنتيه ـ مجازاً ـ رقية وزينب ـ على خلاف قول الجمهور أم كلثوم بدلاً من زينب ـ فعموم الحديث يأبى المراد حيث لا تخصيص بلا مخصص ولا مخصص هناك.

على أن هناك شك ـ بأبوة رسول الله من زينب ورقية وأم كلثوم ـ يساور قلوب الباحثين ويعتلج بها، ولعل جذوره تمتد في التاريخ إلى أعماق القرن الأول، ولا سبيل للخروج منه إلاّ لمن تقولب بقالب الأفكار المعلبة.

ويجدر بنا أن نتجاوز تكميم الأفواه معتمدين كلام أبي القاسم الكوفي في كتابه الاستغاثة غير ملتزمين نصه بالحرف باعتبار أن النسخة التي بين أيدينا خالية من التحقيق والتنقيح وفي ما يلي توضيح ما عتّمه التاريخ وتكتم عليه المؤرخون من الجمهور:

---

١ – سورة الإسراء آية ١٥.

إن زينب ورقية وأم كلثوم لم يكــنَّ بناتــاً لرســول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم تكن خديجة أمّاً لهن وإنما دخلــت الشــبهة علــى العــوام فيــهن لقلــة معرفتهم بالأنساب وفهمهم بالأسباب ولنا على ذلك أدلّة:

الدليل الأول

إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) زوجــهن في الجاهليــة مــن رجــال كافرين فزوَّج زينب من أبي العاص بن الربيع بن عبد العزىّ بن عبــد شمــس بن مناف بن قصي القرشي العبشمي، وزوَّج رقيــة مــن عتبــة بــن أبــي لهــب، وزوج أم كلثوم من عتيبة بن أبي لهب على القول به وبها.

وعليه لم يخل الحال في ذلك من أن يكون الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في زمن الجاهلية على دين الجاهلية أو كان مخالفاً لهم بالإيمان بالله فإن قال قــائل: إنه كان على دين الجاهلية كفر بالله ورسوله لأن الله يقول في كتابــه الحكيــم مــا نصه في شأن الإمامه من قصة إبراهيم (عليه السلام): **﴿إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾**[1] .

ومن كان كافراً مشركاً كان أكبر الظالمين لقوله تعالى **﴿إن الشرك لظلــــم عظيم﴾**[2] .

ومن كان كذلك كان عابداً للأصنام ومن كان عابداً للأصنام كــان محــالاً أن يتخذه الله عز ذكره نبياً أو رسولاً أو إماماً بحكم هذا الوجه.

ولو جاز على الله أن يتخذ كافراً أو مشركاً نبياً أو رسولاً أو إماماً لجاز في

---

١ - سورة البقرة آية ١٢٤.

٢ - سورة لقمان آية ١٣.

حكم النظر أن يرسل كفاراً مشركين، وكما أنه جاز أن ينقل الكافر إلى الإيمان والمؤمن إلى الكفر كذلك يجب في حكم النظر أن يكون حال الأنبياء والأوصياء لو جاز على الله ذلك.

فلما فسد ذلك في حكمة الله جل اسمه أوجبنا الكفر على من يقول إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان في الجاهلية غير موحدٍ، ولّما وجب ذلك وثبتت حجّيته كان محالاً على رسول الله أن يزوج بناته من كافرين مشركين من غير ضرورة دعت إلى ذلك، وهو مخالف لهم في دينهم عارف بكفرهم وإلحادهم ولما فسد هذا بطل أن يكنَّ بناته.

قلت: لَوْ كُنَّ بناته لَكُنّ موحّدات، وعليه فكيف يجوز لنبي موحد أن يزوج بناته الموحّدات للمشركين؟ مع ارتفاع المانع وتوفُّر الموجب حيث أن أرض الحجاز لم تعدم القلة من أهل الفطرة استمراراً للبقيّة المتبقيّة من حنيفية إبراهيم الخليل (عليه السلام)، وأمّا قول الله تعالى: **﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾**[1] فالمقصود من بناته بنات المؤمنين بدليل أنه تعالى لم يذكر هنا بنات المؤمنين، وإلاّ فلو كان المقصود بناته حقيقة يكون المعنى أن الله أمر نساء النبي وبناته ونساء المؤمنين بالتستر وترك بناتهم هملاً ولا قائل به من المسلمين.

الدليل الثاني

روى مشائخنا من أهل العلم عن الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) كما يقول أبو القاسم الكوفي ـ وذلك أن الرواية صحت عندنا عنهم: أنه كان

---

١ – سورة الأحزاب آية ٥٩.

لخديجة بنت خويلد زوجة رسول الله الكبرى أخت لأمها يقال لها: هالة قد تزوجها رجل من بني مخزوم فولدت له بنتاً اسمها هالة ثم خلف عليها بعد أبي هالة رجل من تميم يقال له أبو هند فأولدها ابناً كان يسمى هنداً بن أبي هند وابنتين فكانتا هاتان الابنتان منسوبتين إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) زينب ورقية ومات أبو هند وقد بلغ ابنه مبلغ الرجال والابنتان طفلتان، فكان ذلك في حدثان تزويج رسول الله بخديجة بنت خويلد، وكانت هالة أخت خديجة فقيرة وكانت خديجة من الأغنياء الموصوفين بكثرة المال.

فأمّا هند بن أبي هند فإنه لحق بقومه وعشيرته بالبادية وبقيت الطفلتان عند أمهما هالة أخت خديجة فضمت خديجة أختها هالة مع الطفلتين إليها وكفلتهن جميعاً وكانت هالة أخت خديجة هي الرسول بين خديجة وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حال التزويج فلما تزوج رسول الله خديجة ماتت هالة بعد ذلك بمدة يسيرة وخلفت الطفلتين زينب ورقية في حجر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحجر خديجة فربياهما، وكان من سنة العرب في الجاهلية من يربي يتيماً ينسب ذلك اليتيم إليه ويدعى باسمه فلم يستحل لمن يربيها تَزَوُّجَهَا لأنها كانت عند العرب بزعمهم بنت المربي لها ولذلك كانوا يقولون زيد بن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ويدعون يا زينب بنت محمد ويارقية بنت محمد وهكذا نسبتا إليه (صلى الله عليه وآله وسلم)[١].

ولم تزل العرب على هذا الحل إلى أن جاء الإسلام وربىّ بعض الصحابة يتيمة بعد الهجرة وسئل رسول الله هل يجوز في الإسلام تزويج اليتيمة ممن رباها فأنزل الله تعالى قوله: ﴿**ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى**

---

١ - أنظر الاستغاثة لأبي القاسم الكوفي ص٧٩-٧٨-٨٠-٨١.

عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاّتي لا تؤتونهنّ ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط ﴾[1] **﴿وإن خفتم ألاّ تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء... . ﴾**[2]

وهكذا سقط عن المربى للأيتام انتسابهم إليه شرعاً وبقي بعض العامة على بعض السنن إلى اليوم. وكذلك نسب هند أخو زينب ورقية إلى خديجة ولو لم يلتحق بعشيرته في البادية لنسب إلى رسول الله أيضاً.

ومن هنا ظن العامة لما غلب اسم خديجة على اسم هالة اختها أن أبا هند كان متزوجاً بخديجة قبل رسول الله، ومما يدل على تَوَهُّم العامة: أن هنداً بن أبي هند عمّر حتى لحق أيام الحسين (عليه السلام) فَقُتِلَ بين يديه وهو شيخ فقال الناس: قتل خال الحسين هند بن أبي هند التميمي فجهلوا أمه وعرفوا أباه. قلت: لو رباه رسول الله لجهلوا أمه وأباه.

المشكلة جديرة بالتحقيق

التأمل خير سبيل لفهم ما تشابه واشكل والْتبس، وأقوى عامل لاقتناص سر الحقيقة واكثر سبراً في خفاية أغوار المعتّم والمجهول، وعليه يجدر بنا أن نعالج المشكلة من ثلاث جهات:

١ــ نقل الكاتب صاحب المقدمة والتعليق على كتاب الاستغاثة لأبي القاسم الكوفي «ت، ٣٥٢هــ» أن جماعة من أساطين العلماء والفقهاء والنسابين ـ ومنهم الشيخ المفيد «ت ٤١٣هــ» وتلميذه السيد الشريف

---

١ – سورة النساء آية ١٢٧.

٢ – سورة النساء آية ٣.

المرتضى ـ خالفوا رأى السيد أبي القاسم حيث قالوا بأن زينب ورقية كانتا ابنتي رسول الله، ونقل أيضاً عن الشيخ المفيد اعتلاله في أجوبة المسائل الحاجبية بأن تزويجه (صلى الله عليه وآله وسلم) بكافرين كان قبل تحريم مناكحة الكفار.

قلت: احتجاج الشيخ المفيد بأن تزويجه (صلى الله عليه وآله وسلم) لزينب ورقية من كافرين كان قبل تحريم مناكحة الكفار احتجاج مبني على تصوُّر جواز المناكحة منهم قبل التحريم ثم حرِّمت، وأما أبو القاسم الكوفي فإنه يذهب إلى نفي أبوة رسول الله منهن حتى ولو جاز مناكحة الكفَّار قبل التحريم باعتبار أن الرواية التي تنفي الأبوة قد صحت عنده، وعليه «لا اجتهاد في مورد النص».

ولعل الشيخ المفيد ـ وغيره ـ تجارى مع ظاهر روايات العامة ومع وضع الفروق والملابسات والتي هي على تماس منهم في عصرهم، وكل من تتبع حياة خديجة ورفضها الزواج من أشراف قريش وحياة زينب ورقية قبل الإسلام وبعده، وقواعد التبني وَإلْحَاقَات العرب في أنسابهم، وأعرافهم بالتوريث، وجهل العامة بالأنساب، والتمالؤ على تقويض الحقائق والضغوط المعينة على الطائفة الحقة، وفرض المداراة واتقاء الشرور حفاظاً على النفس والمال والشرف، كل من تتبع ذلك فإنه يزداد شكاً فيمسك بالرواية التي صحت عند أبي القاسم الكوفي ومشائخه «على حد قوله بالاستغاثة» حتى وإن قال الكاتب صاحب المقدمة والتعليق على الاستغاثة في آخر كلامه: «وبذلك اتضح الحق لذي عينين ولم تبقَ شبهة والحمد لله»[1].

---

١ – حاشية الكاتب صاحب المقدمة والتعليق على الاستغاثة لأبي القاسم الكوفي ص٩١.

٢ـ لقّب عثمان بن عفان بذي النورين وقيل في سبب تلقيبه بهذا اللقب أقوال خمسة أحداها تزوج زينب ورقية وعند العامة أم كلثوم بدلاً من زينب، فإن قلنا أن رقية وزينب بنتا هالة ـ وأن عثمان تزوجهما ولذا لقّب ذو النورين ـ فأين النوران؟.

٣ـ بناءً على رأي ورواية أبي القاسم في الاستغاثة وما نقل العلامة المجلسي في مرآة العقول عن المناقب ما رواه أحمد البلاذري والمرتضى في الشافي أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تزوج بخديجة وكانت عذراء.

ونقل أيضاً عن كتابي الأنوار والبدع: أن رقية وزينب كانتا ابنتي هالة ـ أصبح من المحتم بالضرورة ـ على أصحاب هذا الرأي ـ المتنكر لزواج الربيع بن عبد العزى من هالة أخت خديجة لأن ولده أبا العاص تزوج بنت هالة ـ حسب المدعى ـ بإجماع المسلمين، وعلى رغم ذلك تسالم العامة بمحدثيهم ومؤرخيهم والكثير من الخاصة على أن أبا العاص هو ابن هالة أخت خديجة.

وعليه فلا مناص من الاعتراف بهذا، والرجوع عن حكاية النفي، اللهم إلاّ أن يقال: بأن العامة جهلوا أمراً آخر هو أن الربيع تزوج هالة غير أنها ليست أخت خديجة وإنما هي هالة بنت أبي هالة التميمي ـ باعتبار أنها أنجبت لأبي هالة بنتاً اسمها هالة وهو على خلاف قول الجمهور ـ فتكون بنت أخت خديجة وأن أبا العاص انجبه أبوه من زوجة غيرها له فجاز التزوج من زينب المنسوبة على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا أدري إن كان أحد قال: بهذا أوْ لاَ.

وعلى هذا الرأي ـ إن وجد من ارتآه أو يرتئيه ـ فإن أصحاب

التراجم والمحدثين درجوا على عدم التفرقة بين هالة. وبنتـها جـهلاً منـهم، وإن الحديـث الـذي يرويـه البخـاري في بـاب تزويـج النـبي خديجـة بسـنده عـن عائشة قالت:

«استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسـول الله (صلـى الله عليـه وآله وسلم) فقال: اللهم هالة»[١].

فيه غلط لأن هالة أخت خديجة لأمها وليست بنتاً لخويلد وتوفيت عقيب زواج رسول الله من خديجة وأن الْمُسْتَأْذِنَة هنا هي هالة بنت أبي هالة ـ حسب التصور ـ فتكون خديجة خالتها لا أختها والله العالم.

---

١ - البخاري ج٢ ت. د. بغا. ح ٣٦١٠ ص١٣٠١.

الحديث السابع عشر

عجيبة الاختيار

عن جابر بن عبد الله الأنصاري: «أن الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي من أصحابي أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلي رحمهم الله فجعلهم أصحابي وقال في أصحابي كلهم خيراً ...» رواه البزار ونقله الهيثمي في الزوائد وقال: رجاله ثقات وفي بعضهم خلاف[1].

قلت: المؤاخذات على هذا الحديث كثيرة منها ترتيب الأربعة فيه وفي كل حديث يجمعهم كترتيبهم في الخلافة، على أن رسول الله ما كان يرتبهم هكذا في الحقيقة، ومنها ترحم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عليهم بعد ذكرهم.

ومنها تسوير كليتهم بلفظة كل المسوِّرة كما عند المناطقة لإفاده الحصر والشمول حيث جاؤوا بلفظ من ألفاظ العموم (الاستغراقي أو المجموعي كما في عرف الأصوليين وأظنه المجموعي بدليل أن أخوتنا أهل السنة يَصِمونَنا بما نحن منه براء إلا إذا قدَّسنا «١٢٤» ألف صحابي حسب إحصائيات الشيخ أبي زرعة الرازي، وبعد هذا كله فإن الحديث بسنده ومتنه يبدو وعلى ظاهره ملامح الوضع، وكأنه يحمل في طياته بذور هدمه وإلقائه من حظيرة السنة النبوية المطهرة وعليه فنقاشه من جهتين:

الجهة الأولى: إن الحديث ضعيف السند بدليل قول الهيثمي في تعقيبه: «وفي بعضهم خلاف» ومعنى ذلك أن العديد من رجال علم الرجال

---

١ - انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج ٥ جزء ٢ ص ١٨.

طعنوا في إسناده.

الجهة الثانية: أن هناك من الأدلة ما ينسف سور هذا الحديث المختلف في متنه والمختلف في رجاله، ويقتلع عموم استغراقه أو مجموعه فتهوي به رياح الحق في مكان سحيق، وإليك غيض من فيضها يتضمن ثلاث عيّنات من عجيبة الاختيار :

العينة الأولى الوليد بن عقبة

بعث الرسول الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي إلى بني المصطلق يجمع صدقاتهم فلما دنا منهم خرج له عشرون رجلاً يتلقونه بالجزور والغنم فرحاً به فلما رآهم ولّى راجعاً إلى المدينة فكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلاً: «أنهم ارتدوا ومنعوني الصدقة فبعث رسول الله إليهم خالد بن الوليد على رأس سرية فلما دنا منهم بعث عيوناً ليلاً فإذا هم ينادون الصلاة ويصلون فلم ير خالد منهم إلا طاعة وخيراً»[1].

وفي رواية ابن سعد «أن بني المصطلق سمعوا أن رسول الله يهم أن يبعث لهم من يغزوهم فقدموا على رسول الله فأخبروه الخبر»[2].

فأنزل الله في شأن الوليد قرآناً يتلى إلى يوم القيامة سماه فيه فاسقاً قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة ...**﴾[3] الآية وقال ابن عبد البر: لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن أنها نزلت

---

١ – أنظر الإصابة لابن حجر العسقلاني ج٣ ص٦٠١.

٢ – أنظر الطبقات الكبرى لابن سعد.

٣ – سورة الحجرات آية ٦.

فيه كما نقله ابن حجر في الإصابة[١].

وأخرج الواحدي بسنده عن ابن عباس قال: قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط لعلي بن أبي طالب أنا أحدُّ منك سناناً وأبسط منك لساناً وأملأ للكتيبة منك فقال له علي: اسكت إنما أنت فاسق فنزل ﴿**أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون**﴾[٢].

وذكره القرطبي في الاستيعاب[٣] والسيوطي في أسباب النزول[٤] عن ابن عساكر.

العينة الثانية أبو الغادية

إن أبا الغادية يسار بن سبع الجهني هو أحد الصحابة روى عن رسول الله وسمعوا منه مشافهة. فقد أخرج ابن سعد في طبقاته[٥] وأحمد بن حنبل في مسنده[٦] واللفظ للأول بإسنادهما عن أبي الغادية أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : (ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) وأخرجه البخاري في باب الانصات للعلماء ومسلم في باب لا ترجعوا بعدي كفاراً أخرجاه عن غير طريق أبي الغادية.

فأبو الغادية هذا هو الذي يروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إن

---

١ – الإصابة لابن حجر العسقلاني ج٣ ص٦٠١ أنظر الاستيعاب بهامش الإصابة ج٣ ص٥٩٥.

٢ – أسباب النزول للواحدي ص ٢٠٠.

٣ – الاستيعاب لابن عبد البر بهامش الإصابة ج٣ ص٥٩٦.

٤ – أسباب النزول للسيوطي بهامش تفسير الجلالين ص٥٦٣.

٥ – الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٢٦٠.

٦ – مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٦٢.

الذين يضربون رقاب المؤمنين بغير حق كفاراً وهو الذي قتل عمار بن ياسر وضرب عنقه واحتز رأسه على ارض صفين حيث مدفنه في الرقة السمراء خارج سور هارون العبّاسي من جهة الشرق وقد بنى المؤمنون على ضريحه المقدس بناءً من الطراز الأول، وها هم المسلمون ومن كل فجٍّ عميق تخفق أكبادهم يتحملون مشاق السفر وتبعاته متوجهين أرض صفين بقلوب عطشى لا ترتوي إلا بزيارة شهيد الإسلام أبي اليقظان عمار بن ياسر وكما قال الشاعر:

أمر على الديار ديار ليلى ... وأقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حبُّ الديار شغفن قلبي ... ولكن حبُّ من سكن الديارا

وأبو الغادية هذا يعلم يقيناً أن ابن هند وابن النابغة ومن ينصرهما بغاة ظالمون لأنهم يضربون رقاب المؤمنين ولأنهم وأبا الغادية يعلمون أنهم على ضلال وشفا حفرةٍ لأن عمار بن ياسر ليس معهم بل هو مع علي والمهاجرين والأنصار، ولأنهم يعلمون الحديث حتى النساء في خدورهن والأطفال في ملاعبهم من كل المسلمين، وتحدث به كل فرد منهم ونقله كل ناقل وكتبه كل كاتب من محدثين ومؤرخين وصححه المعدِّلون والجارحون.

وفي صحيح البخاري بسنده إلى أبي سعيد وهو في معرض ذكر بناء المسجد قال : «كنا نحمل لبنة لبنة وعمار يحمل لبنتين لبنتين فرآه النبي فينفض التراب عنه ويقول: «ويح عمارٍ تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار» قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن»[1] وفي رواية له «يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار».

---

١ – البخاري ج ا ت. د. يغا. ح٤٣٦ ص ١٦٧.

وأخرج ابن سعد بسنده إلى أم سلمة قالت: سمعت النبي يقول: «تقتل عمار الفئة الباغية قال عوف ولا أحسبه إلا وقاتله في النار»[١].

قُتِلَ عمار بن ياسر وله من العمر «٩٣» سنة على ما ذكره ابن حجر في الإصابة[٢]، وجاء أبو الغادية ورجل آخر يختصمان كلاهما يقول : أنا قتلت عمار فقال عمرو بن العاص: «والله إن تختصمان إلا في النار فسمعها منه معاوية فلما انصرف الرجلان قال معاوية لعمرو بن العاص: ما رأيت قط مثل ما صنعت قوم بذلوا أنفسهم دوننا تقول لهما أنكما تختصمان في النار فقال عمرو هو والله ذاك والله إنك لتعلمه ولوددت أني مت قبل هذه بعشرين سنة»[٣].

وأخرج ابن سعد بسنده عن أبي الغادية قال: «فلما كان يوم صفين جعل عمار يحمل على الناس فقيل: هذا عمار فرأيت فرجة بين الرئتين والساق، قال: فحملت عليه فطعنته في ركبته، قال: فوقع فقتلته فقيل: قتلت عمار بن ياسر، وأخْبِر عمرو بن العاص فقال: سمعت رسول الله يقول: «إن قاتله وسالبه في النار» فقيل لعمرو بن العاص: هو ذا أنت تقاتله فقال : إنما قال قاتله وسالبه»[٤].

وقال القرطبي في الاستيعاب عند ترجمته: «وكان إذا استأذن على معاوية وغيره يقول : قاتل عمار بالباب وكان يصف قتله إذا سئل عنه لا يباليه وفي قصته عجب عند أهل العلم»[٥].

١- طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٥٢.

٢ – الإصابة لابن حجر العسقلاني ج٢ ص٥٠٦.

٣ – طبقات ابن سعد ج٣ ص٢٥٩.

٤ – المصدر السابق ص ٢٦١.

٥ – الاستيعاب لابن عبد البر بهامش الإصابة لابن حجر العسقلاني ج٤ ص١٥١.

العينة الثالثة أبو هريرة

هو الصحابي الشهير اليمني الدوسي، وباعتبار أنه من المكثرين على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الرواية كثرة لا تساويها رواية أي راوٍ من الصحابة بل لا تقاربها ولا تدانيها ـ حيث نقل المحدثون وأصحاب التراجم وعلماء الرجال أن لأبي هريرة في مسند أبي عبد الرحمن تقي بن مخلد «٥٣٧٤» حديثاً، ومن المؤسف أن مسنده الذي روى فيه عشرات الألوف من الأحاديث عن «١٣٠٠» صاحب كما ذكر ابن حزم أصبح في عداد المفقودات من مكاتب ومؤسسات المسلمين كما أشار إليه عالم الجرح والتعديل أحمد محمد شاكر في شرحه على الباعث الحثيث للحافظ ابن كثير بقوله: «هذا الكتاب الجليل لم نسمع بوجوده في مكتبة من مكاتب الإسلام وما ندري أفقد كله؟ ولعله يوجد في بعض البقايا التي نجت من التدمير في الأندلس»[١] ـ آثرنا أن نلخص ترجمته في العناوين التالية:

نسبه

قيل: أنه بن عامر بن عبد ذا الشرى بن طريق بن عتاب بن أبي صعب بن منبه بن سعد بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث.

وعليه يكون أبو هريرة من عشيرة سليم بن فهم وهي ترجع بأصلها إلى دوس والدوسيون يرجعون بأصلهم إلى قبيلة أزد.

---

١ – أنظر حاشية أحمد محمد شاكر على الباعث الحثيث لابن كثير ص١٨٦.

ولقد اختلف في اسمه واسم أبيه على نحو ثلاثين قولاً كما ذكره العلامة محمد بن إسماعيل اليمني الصنعاني «ت ١١٨٢هـ» في شرحه سبل السلام على بلوغ المرام لابن حجر العسقلاني «ت ٨٥٢هـ»[١].

ونقل ابن حجر في الإصابة عن القطب الحلبي قوله: «اجتمع في اسمه واسم أبيه أربعة وأربعون قولاً مذكورة في الكنى للحاكم وفي الاستيعاب وفي تاريخ ابن عساكر»[٢].

وهكذا استفحل الاضطراب في تسميته فقيل: اسمه عمير وقيل: عبد شمس وقيل: عبد نهم وقيل: عبد تيم وقيل: عبد غنم وقيل: عبد العزّى وقيل: عبد ياليل وقيل: عبيد وقيل: عبيد الله وقيل: عمرو وقيل: عامر وقيل: برير وقيل: برو وقيل: يزيد وقيل: سعد وقيل: سعيد وقيل: عبد الله وقيل: عبد الرحمن وقيل: هريرة وقيل: كردوس وقيل: عبد عمرو. كما ذكره بن حجر في الإصابة[٣] والقرطبي المالكي في الاستيعاب[٤].

نشأته

كان في أول عمره يتيماً يرعى الغنم وفي معيته هريرة صغيرة كما أخبر هو عن نفسه وأخرجه الترمذي بسنده عن عبيد الله بن أبي رافع قال: «قلت: لأبي هريرة لِمَا كنيت أبا هريرة قال: أما تَفْرَقُ مني؟ قلت: بلى والله وإني لأهابك، قال: كنت أرعى غنم أهلي فكانت لي هرة صغيرة فكنت أضعها

١ - سبل السلام لمحمد بن إسماعيل الصنعاني جزء ١ ص٨.
٢ - الإصابة في تمييز الصحابة لابن العسقلاني ج٤ ص٢٠٢.
٣ - المصدر السابق.
٤ - الاستيعاب لابن عبد البر بهامش الإصابة ج٤ ص٢٠١.

بـالليل في شـجرة فـإذا كـان النـهار ذهبـت بـها معـي فلعبـت بـها فكنوني أبا هريرة»[١].

ثم انتقل من رعي الغنم إلى مهنة خادم بخبز البطن لا بدرهـم ولا دينـار كما أخبر هو عن نفسه وأخرجه ابـن سـعد بسنده عنه قـال: «نشـأت يتيمـاً وهـاجرت مسـكيناً وكنـت أجـيراً لبسـرة بنـت غـزوان بطعـام بطـني وعُقْبَـة رجلي فكنت أخـدم إذا نزلـوا وأحـدوا إذا ركبـوا»[٢] أخرجـه ابـن سـعد مـن أربعة طرق.

هجرته وإسلامه

قال ابن حجر في الإصابة: وكان إسلامه بين الحديبية وخيـبر وقـال: ابـن عبد البر في الاستيعاب: أسلم أبو هريرة عام خيبر، وأخرج ابن سعد بسنده عن أبي هريرة نفسه قال : «صحبت النبي ثلاث سنين»[٣].

وعليه تكون هجرته في أول عام ٨ هـ وهذا لم يقل به أحد.

ولنا أن نجمع بين رواية ابن سعد وبين ما قالـه ابـن عبـد الـبر فنقـول: أن أبا هريرة أسلم عام «٧ هـ» والتحق بدار الهجرة قبل تقسيم غنـائم خيـبر، إلاّ أن فتح خيبر وقع في آخـر شـهر رمضـان مـن آخـر سـنة «٧هـ» ويعضـد قولنـا هـذا مـا أخرجـه ابـن سـعد بسـند عـن أبـي سـعيد الخـدري قـال: «خرجنـا مـع رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسـلم) إلى خيـبر لثمـان عشـر مضت من شهر رمضان فصام طوائف من الناس وأفطر آخرون»[٤] .

---

١ – سنن الترمذي ج ٥ ح ٣٨٤٠ ص ٦٤٤.

٢ – طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧.

٣ – طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٣٢٧.

٤ – المدر السابق ج ٢ ص ١٠٨.

ومن المعلوم أن رسول الله توفى في سنة ١١ هـ ١٣ ربيع الأول على المشهور وفاقاً بينهم كما في الاستيعاب والكامل والطبقات ونور اليقين للخضري وغيرها.

وعليه فالمدة الزمنية من وقعة خيبر إلى وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تتسع لثلاث سنين وستة اشهر وهذا أقصى ما يمكن من التوفيق بين الأدلة هنا، وتظهر فائدته بأن أبا هريرة أخبر عن ثلاثة سنين وسكن عمّا زاد من الشهور، أمَّا لو رجحنا بأن غزوة خيبر كانت في شهر صفر كما هو المشهور الراجح عند العامة تكون صحبته أكثر من أربع سنين، وعليه فالمصيبة أعظم لأن أخباره في الصحاح عن صحبة ثلاث سنين لا يتطابق مع قولهم، ولو افترضنا أن الحق معهم فمعنى ذلك أن الواقع يكذب أبا هريرة عند الله، وعندئذٍ لا يشفع له قول الأصوليين العدد لا مفهوم له، وهيهات أن ينقص من مدة صحبته لأنه ينتقص بكثرة الحديث مع قصر الصحبة، هذا كله تنزيلاً منَّا على أخبارهم رغم اضطرابهم وغيره من تناقض وتخليط، وإلاَّ فكل ذلك خطأ، ويجب على أخوتنا أهل السنة وعلى أبي هريرة نفسه أن لا يقول صحبت رسول الله ثلاث أو أربع سنين لأن هذه المدة هي فترة إسلامه لا صحبته كما سيأتي قريباً إن شاء الله.

صحبته وسماعه

ذكرنا آنفاً أن أبا هريرة الْتَحَقَ برسول الله مهاجراً سنة سبعٍ من مُهَاجَرِهِ قبل تقسيم غنائم خيبر «في آخر شهر رمضان حسب رواية أبي سعيد الخدري» وإن كان القول بوقوع الغزوة في شهر رمضان مرجوحاً عند العامَّة.

أمَّا هنا سنذكر لـك عزيـزي القـارئ أن رسـول الله تـزوَّج زينـب بنـت جحش في سنة ثلاث وقيل في سنة خمسٍ من الهجرة كما في ترجمتها في الطبقات والإصابة والاستيعاب ونزلت بسببها آية الحجاب ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي ...﴾ إلى قوله: ﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجـاب﴾[1] تم ذلك في سنة خمسٍ للهجرة فضرب النبي الكريم على نسائه حجاباً حصيناً فـلا يدخـل في بيوتـهن إلا ذو محـرم ولا يدخلـن إلاّ علـى ذي محـرم وكـان ضـرب الحجاب قبل إسلام أبي هريرة وهجرته بسنة على أقل تقدير، وبهذا يتبين لـك كذب الحديث الذي تفوه به أبو هريرة.

ونقله ابن حجر في الإصابة عند ترجمته عن ابن سعد بسـنده عنـه قـال: «قدمت ورسول الله بخيبر ... فأقمت معه حتى مات وادور معه في بيوت نسـائه وأخدمه ... فكنت أعلم الناس بحديثه»[2].

تأمل رحمك الله كيف جاز لـه الدخـول مـع رسـول الله في بيـوت نسائه «حسب الادعاء» بعد ضرب الحجاب؟ على أن أنس بن مالك خادم رسول الله عشر سنوات متوالية يحدثنا كما في البخـاري قـال: «فأخـبرت النـبي أنـهم قـد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه فـأنزل الله يـا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي ...» وكيف جاز لـه أن يقـول أقمـت معه حتى مات وقد أقصاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى البحريـن في سنة ثمانٍ من الهجرة كما سيأتي قريباً.

وهكذا استمرّ أبو هريرة فقيراً مدقعاً وشرهاً منهماً ورئيساً لأهل الصُّفـة

---

١ – سورة الأحزاب آية ٥٣.

٢ – الإصابة لابن حجر العسقلاني ج٤ ص٢٠٦.

٣ – البخاري ج ٣ ح ٤٥١٣ ص١٦٩٢ ت. د. بغا.

يمثّلهم في الجوع والبؤس والعرى، وكان يلزم رسول الله بشبع بطنه ـ كما روى البخاري في باب حفظ العلم[١] ـ بلا درهم ولا دينار وكان لا يعمل ولا يسعى في مناكب الأرض ولا يعرض نفسه لأسباب الرزق بالعمل وإنما ألقى يِكَلّه على رسول الله فإن لم يجد فبالتسوُّل.

فنّه وتمثيله

قالوا: الاختراع وليد الحاجة، ونحن نزيد عليهم بقولنا : والحاجة تنم عن ضمير المحتاج، فإن كان دنيئاً أو رفيعاً أو شرّيراً فالاختراع كذلك، والاختيار الوظيفي والمهني والسلوك الحياتي كذلك، ولما كان أبو هريرة عاطلاً عن العمل فبالضرورة الحتمية له أن يفترش الفقر ويلتحف الجوع قبل هجرته وبعدها، فأمَّا قبل الهجرة أجَّر نفسه خادماً لبسرة بنت غزوان بلا درهماً ولا دينار كما أخرج ابن سعد بسنده عن أبي هريرة نفسه قال: «أكريت نفسي من ابنة غزوان على طعام بطني وَعُقْبَة رجلي»[٢].

وأمَّا بعد هجرته فلم يغيِّر مهنته ولم يبدِّلها فلزم رسول الله على طعام بطنه على غير رضىً ولا طلب منه (صلى الله عليه وآله وسلم) كما أخرج البخاري في الصحيح عنه قال: «وأن أبا هريرة كان يلزم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بِشِبَعِ بطنه»[٣].

أي لأجل الشِّبِعِ، ومنه يتبين لك هراء قولهم : أن أبا هريرة يلزم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأجل العلم بعد اعترافه بأن الملازمة لأجل الشبع

---

١ – المصدر السابق ج١ ح١١٨ ص٥٥ ت.د. بغا.

٢ – طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٣٢٦.

٣ – البخاري ج ا ت. د. بغا. ح ١١٨ ص ٥٥.

ومن التعسُّف بمكان أن نعتذر نحن عنه بما لم يعتذر هو منه، ويتبين لك أيضاً أن الغاية من الملازمة شبع البطن سواءً كان المُلازَمُ محمد رسول الله أو بسرة بنت غزوان بلا فرق إلا من جهة الحيث.

ولكن أبا هريرة بسلوكه هذا باء بالفشل باعتبار أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد لا توقد في بيوته نارٌ ثلاثة اشهر وإنما قوته دقل التمر، وأحياناً لا يجد ما ينفقه على نسائه فيشد الحجر على بطنه الشريفة ويأمر نساءه بالصبر والصلاة، ولهذا خيّر الله نساءه ـ عندما ثُرْنَ عليه لأجل النفقة ـ بين البقاء مع رسوله والصبر على شظف العيش وبين الطلاق بقوله تعالى: **﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعدّ للمحسنات منكن أجراً عظيماً﴾**[1] فاخترن الله ورسوله إلا ما قيل: إن إحداهن اختارت الدنيا وزينتها ففارقها رسول الله فسميت المختارة.

ذلك كله يكدر الصفو عند أبي هريرة ويزيده إفلاساً معوياً وبالأخص أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غير مسؤول عنه دون غيره، فضاقت عليه الأرض بما رحبت وذهب يتخذ التدابير فاهتدى مؤخراً إلى اختراع مهنة عمل لم يسبقه إلى ابتكارها غيره من الصحابة يسترزق منها، فتقمص أدْوَار فاقد الإحساس بأقسامها التالية:

فتارةً يمثل دور المصروع ويدمج معه كل الحالات المحتملة، بحيث أن المارة تختلف أوهامهم به، فهل هو معترى بداء الصرع أو أصابه الجنون أو مغشيٌّ عليه؟ وقد يفرد الحالة التي يمثلها بما يلي:

---

١ – سورة الأحزاب آية ٢٨ ـ ٢٩.

وتارة يمثل دور المجنون بأبدع تمثيل وحسبنا ما أخرج البخاري بسنده عن محمد ابن سيرين قال: «كنا عند أبي هريرة وعليه ثوبان ممشقان من كتان فتمخط فقال: بخٍ بخٍ أبو هريرة يتمخط في الكتاب لقد رأيتني وإني لأخِرُّ فيما بين منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى حجرة عائشة مغشياً عليّ فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى أني مجنون وما بي من جنون ما بي إلا الجوع»[1].

وتارة يمثل دور المغشيّ عليه دون الجنون فقد أخرج البخاري بسنده عنه قال : «أصابني جُهْدٌ شديد فلقيت عمر بن الخطاب فاستقرأته آية من كتاب الله فدخل داره وفتحها عليَّ فمشيت غير بعيد فخررت لوجهي من الجهد والجوع فإذا رسول الله قائم على رأسي فقال: «يا أبا هر فقلت: لبيك وسعديك فأخذ بيدي فأقامني وعرف الذي بي فانطلق بي إلى رحله فأمر لي بعس من لبن فشربت منه ... حتى استوى بطني فصار كالقدح ... »[2].

والدليل على أن أبا هريرة انتحل الأدوار انتحالاً: أن أهل الصُّفة من المهاجرين فقراء مثله، لم تكن لهم موارد عيش ولا مساكن بالمدينة ولا عشائر، وكانوا يقلون ويكثرون حب الظروف، وأعلى الإحصائيات التي عثرنا عليها إحصائية السهر وردى في عوارف المعارف قال: «كانوا نحواً من أربعمائة رجل»[3] ومنهم ابن أم مكتوم[4] وأبو ذر الغفاري كما في تلبيس ابن الجوزي[5]،

---

١ – البخاري ج ٤ ت. د. يغا. باب ما ذكر النبي (ص) وحض على إتّفاق أهل العلم ج٦٨٩٣ ص ٢٥٠٩.

٢ – البخاري ج ٤ ت. د. بغا. كتاب الأطعمة ج ٥٠٦٠ ص ١٩٢٩.

٣ – عوارف المعارف لأبي النجيب السهروردي الباب السادس ص ٦٥.

٤ – المصدر السابق.

٥ – تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٦٢.

ومحل الشاهد هنا : أن آحاد المئات من أهل الصُّفَّةِ لم ينتحلوا صفة الصرع والجنون والغشيان ولم يخبرنا التاريخ أن أحداً منهم انتحل هذا الفن أو لعب ذاك الدور إلا أبو هريرة، على أنه أغلب المهاجرين جياعٌ ولكنهم يشدون الحرج على بطونهم ولم ينتحلوا صفات مفتعلة وإنما تجلببوا بجلباب العفة والعزة والشرف.

وثمة افتعالات مماثلة شاهدتها رؤيا العين مثال ذلك: يأتي بعض المتسولات يُنَيِّمنَ أولادهن على إحدى الجسور لإيهام أنهم لا يستطيعون الحركة من شدة الجوع بل مغشي عليهم، ثم ينادين المارة بعنوان أيتام أو يتامى ولقد رأيت إحداهن مرة على الجسر تنيِّم ولدها بالقوة على غير رضىً منه ولكنه كطفلٍ بريء وجد منها لحظات غَرَّةٍ فوثب من نومه وفرَّ هارباً من بين يديها.

مثل آخر: كان نظام المشافي في بلدنا ـ خلال عقود الستينات من هذا القرن ـ أن لا يدخلها إلا من يحمل بطاقة فقر حل، أو يسعف إسعافاً لمرض خطير طارئ، ولكن بعض الناس وجدوا الحل المناسب فإذا اشتكى أحد من بعض الأمراض الخفيفة ولا بطاقة عنده ويريد أن يُعَايَنَ أو يعالج مجاناً يلقي نفسه في الشارع مغشياً عليه من المرض فَيُخَبَّرَ له هاتفياً فتنقله سيارة الإسعاف ولها عواء فيدخل المشفى ويحصل المطلوب.

وهكذا اتخذ أبو هريرة من تلك الأدوار مجلبة للعيش وموردا للرزق، أعني بذلك شبع بطنه، ومن الغريب المُلاحَظَ أن الصحابة وبالأخص سكان المدينة المنورة فإنهم يعرفون أبا هريرة بحكم ملازمته لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «حسب المدعى» ويعرفون أنه ليس بمجنون ولا مصروع ويعرفون

آفته التي تصرعه ودواؤها عندهم، وعلى رغم ذلك كله فإنهم يتعاملون معه كمجنون أو مصروع فيطؤون عنقه بأرجلهم ويضربونه بالنعل بحجة العادة الموروثة عندهم أن مثل هذا يُضْرَبُ بمثل هذا.

وليس العجب من وطئ الصحابة على عنق أبي هريرة وضربه بالنعال لأنه من المستساغ عندهم ضرب المجنون والمصروع ليخرج منه الجن فيفيق وقد أشار بن القيِّم الجوزية «ت ٧٥١هـ» إلى مثل هذا الاعتقاد في كتابه «الروح» في أخر المسألة التاسعة عشرة وهو في معرض الدفاع عن جسمية الروح وإن الجسم اللطيف يدخل في الكثيف ويسري فيه قائلاً: «منها دخول الماء في العود والسحاب ودخول النار في الحديد ودخول الغذاء في جميع أجزاء البدن ودخول الجن في المصروع»[1].

واحتج لذلك في الطب النبوي فصل علاج المصروع بعد أن قسمه إلى صرع الأرواح وصرع الأخلاط ـ بالحديث الذي أورده بلا سند عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: «اخرج عدو الله أنا رسول الله» وأورد عن شيخه بأنه «يرسل إلى المصروع من يخاطب الروح التي فيه ويقول: قال لكِ الشيخ اخرجي فإنه هذا لا يحل لكِ فيفيق المصروع وربما خاطبها بنفسه وربما كانت الروح ماردة فيخرجها بالضرب فيفيق المصروع ولا يحس بألم وقد شاهدنا ـ نحن وغيرنا ـ منه ذلك مراراً»[2].

وإنما العجب من التاريخ حيث لم يذكر الأسباب التي كَممَّتْ فاه أبي هريرة فلم يشتكِ لرسول الله قصة وطأه بالنعال ورسول الله نفسه لم يزجر

---

١ – الروح لابن القيم الجوزية ص ٢١٦.

٢ – الطب النبوي لابن قيم الجوزية ص ٥٢.

الصاحبة عن انتقاص راوي علمه ووطئ عنقه بنعالهم كل ذلك لم نسمع به عبر التاريخ ولعل المانعَ خيرٌ إن شاء الله!!!.

مدة صحبته

زعم بعضهم أن أبا هريرة صحب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أربع سنين وهو خلاف الواقع بدليل أن أبا هريرة نفسه صرح بثلاث سنين كما نقل ابن حجر في الإصابة وأخرج ابن سعد بسنده عنه قال: «صحبت رسول الله ثلاث سنين ما كنت سنوات قط أعقل مني ولا أحب إلي أن أعِيَ ما يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مني فيهن»[1].

وهذا هو المشهور الذي سار عليه جل أخوتنا أهل السنة ورواه البخاري بسنده عنه قال: «صحبت رسول الله ثلاث سنين»[2].

أقول أن المشهور الذي سار عليه الجمهور ورواه البخاري فيه حقٌّ وباطلٌ فمن حيث تحديد المدة أو تقديرها بثلاث سنين ابتداءً من هجرة أبي هريرة إلى وفاة رسول الله فهو حقٌّ، ومن حيث تسميتها صحبة فباطل، إذ من غفلة الغافلين وظلم المتنبهين عدم التفرقة بين أسلم وبين صحب، فقد يسلم الرجل ولم يصحب رسول الله ولا لحظة من زمنٍ كما هو شأن أويس القرني، وقد يصحبه ولم يسلم أو يسلم ولم يؤمن كما هو شأن نقيب المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، وقد يسلم ويرى رسول الله مرة واحدة رؤية عين فقط وهؤلاء كثيرون، وعلى ضرورة التفرقة والتحقيق فإن أبا هريرة لم يصحب

---

١ – الطبقات لابن سعد ج ٤ ص ٣٢٧.

٢ – البخاري ج ٢ ت. د. بغا. باب علامات النبوة ج ٣٣٩٦ ص ١٢٢٧.

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا سنة وشهرين فقط.

ومصداق ذلك أنه قدم مهاجراً على رسول الله قبل تقسيم غنائم خيبر آخر سنة سبعٍ من الهجرة في آخر شهر رمضان كما أخرج ذلك ابن سعد، وهو أقرب الأقوال لرواية البخاري من حصر صحبته ـ بما فيها غيابه في البحرين ـ بثلاث سنين، فهذا هو ابتداء تاريخ صحبته وأما انتهاؤها فقد ذكر المحدثون وأصحاب السير والتواريخ على أن رسول الله بعثه إلى البحرين بمعية العلاء بن الحضرمي ـ وإلى هنا قد انتهت صحبته البتَّة.

وعليه فإن صحبته من آخر شهر رمضان عام «٧ هـ» إلى آخر ذي القعدة عام «٨ هـ» تساوي سنة وشهرين فقط، ولعل الشيخ أبا ريًّا هَالَهُ كثرة أقوالهم بأن وقعة خيبر كانت بشهر صفر ـ رغم اضطرابهم في مروياتهم ـ فحكم له بصحبة سنة وتسعة أشهر. وتبعه على ذلك السيد عباس الموسوي في كتابه شبهات حول الشيعة[١] فتأمل.

هذا وأن أبا هريرة والعلاء الحضرمي لم يغادرا البحرين إلى ما بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأمد بعيد وسنفرد لكل واحد منهما كلاماً :

أمّا العلاء فقد ترجم له ابن حجر في الإصابة ما نصَّه: «استعمل النبي العلاء على البحرين وأقره أبو بكر ثم عمر، مات سنة أربع عشرة وقيل: سنة إحدى وعشرين، روى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وروى عنه من الصحابة السائب بن يزيد وأبو هريرة...»[٢].

وقال الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب ما نصه: «ولاه رسول الله (صلى

---

١ - شبهات حول الشيعة للسيد عباس الموسوي ص ١٤٣.

٢ - الإصابة لابن حجر العسقلاني ج٢ ص٤٩١.

الله عليه وآله وسلم) على البحرين وتوفي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو عليها فأقره أبو بكر (رضي الله عنه) خلافته كلها عليها، ثم أقره عمر وتوفي في خلافة عمر سنة أربع عشرة وقال الحسن بن عثمان: توفي العلاء سنة إحدى وعشرين والياً على البحرين فاستعمل عمر (رضي الله عنه) مكانه أبا هريرة»[1] وعليه فلا يؤبه للروايات المخالفة لما نص عليه الحافظان حافظ المغرب وإمام الحفاظ.

على أنني أعجب من هذين الحافظين لِمَا ذكرا: أن أبان بن سعيد بن العاص تولى ولاية البحرين، فلا أدري هل هو تناقض واضطراب أو على سبيل الحكاية والاستئناس، أو الغفلة والذهول، أم هو نسخ المتأخر حكم المتقدم !! باعتبار أن ترجمة العلاء في حرف العين متأخرة وترجمة أبان في حرف الألف متقدمه بشهور إن لم يكن بسنين فتأمل.

وعلى أية حال ومهما تضرَّع العامة بضباب الاضطراب وخلط الأوراق فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمّر العلاء بن الحضرمي ولم يعزله لأنه لها وأمين عليها وسماه رسول الله أميناً كما أخرج بن سعد بسنده عن الزهري قال:

«وكتب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى عبد القيس من محمد رسول الله إلى الأكْبَرَنْ عبد القيس أنهم آمنون بأمان الله وأمان رسوله وعليهم الوفاء بما عاهدوا ولهم أن لا يحبسوا عن طريق الميرة ولا يمنعوا صوب القطر ولا يحرموا صريم الثمار عند بلوغه، والعلاء بن الحضرمي أمين رسول الله على برها وبحرها وحاضرها وسراياها وما خرج منها وأهل البحرين خفراؤه من

---

١ - الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر بهامش الإصابة ج٣ ص١٤٦-١٤٧.

الضيم وأعوانه على الظالم ...»[١] وبهذا أمنه أبو بكر وعمر على البحرين حتى مات رحمه الله تعالى.

وأمّا أبو هريرة فبنيما هو يتسكع الليالي ويتسوّل الأيام، فتارة مصروع وتارة مجنون وأخرى مغشي عليه ورابعة يقف على طريق الناس من المسجد وإليه يستقرؤهم من القرآن بعض آياته ولكنهم لم يطعموه وخامسة يتلقف الناس في الطرقات بل في بيوتهم ولكنهم يغلقونها دونه وسادسة يسقيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لبناً فيشرب حتى يستوي بطنه كالقدح كما هي عبارته في البخاري في أول كتاب الأطعمة وبينما هو كذلك ينعم في هذه المناقب وإذا برسول الله يبعثه مع العلاء ابن الحضرمي إلى البحرين ويوصيه به خيراً.

أخرج ابن سعد بسنده عن العلاء بن الحضرمي «أن رسول الله بعثه منصرفه من الجرعانة إلى المنذر بن ساوى معه كتاب يدعوه فيه للإسلام ... وكتب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كتاباً فيه فرائض الصدقة ... وبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) معه نفراً فيهم أبو هريرة وقال هل استوص به خيراً»[٢].

وأخرج بسنده عن أبي هريرة يقول: «بعثني رسول الله مع العلاء بن الحضرمي وأوصاه بي خيراً فلما فصلنا قال لي: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أوصاني بك خيراً فأنظر ماذا تحب قال: قلت تجعلني مؤذناً ولا تسبقني بآمين فأعطاه ذلك »[٣].

---

١ – طبقات بن سعد ج ١ ص ٢٨٣٠.

٢ – المصدر السابق ج٤ ص٣٦٠.

٣ – المصدر السابق.

وهكذا بقي أبو هريرة في البحرين مؤذناً للعلاء بن الحضرمي إلى أن نصبه عمر بن الخطاب أميراً على البحرين في سنة ١٤ هـ وقيل ٢١ هـ بعد وفاة العلاء باعتباره يملك خبرة بأرض البحرين وشعبها ثم عزله عمر وشتمه لاذعاً، وضربه موجعاً، حتى أدمى ظهره ووضع ماله في بيت المال باعتباره ـ على رأي عمر ـ استبد بأموال المسلمين ظلماً واستجاز لنفسه قبول الرشاوي بحجة الهدايا والهبات بعد ذاك الجوع والصرع والجنون.

وأخرج بسنده عنه قال كنت عاملاً بالبحرين فقدمت على عمر بن الخطاب فقال: عدواً لله وللإسلام أو قال: عدواً لله ولكتابه سرقت مال الله قلت: لا ولكن عدو من عاداهما خيل لي تناتجت وسهام لي اجتمعت فأخذ مني اثني عشر ألفاً قال: ثم أرسل إليّ بعد أن ألا تعمل قلت لا... أخاف أن يشتموا عرضي ويأخذوا مالي ويضربوا ظهري وأخاف أن أقول بغير حلم واقضي بغير علم[1].

ولعل عمر عندما عرض الإمارة عليه من جديد يريد سبر أغواره وهل أطماعه تنسيه ذاك الضرب والشتم؟ وإلا فلا، هذا إذا لم يكن أزاد من كيسه أن عمر أراد تأميره ثانية ليوحي بأذهان الغافلين بأن عمر ظلمه وبهذا يستعيد ولو بعض الثقة عند بعض الناس.

وبذلك نكون أطلقنا سراح الحقيقة من ظلام سجن المعتِّمين، وعليه فلا يؤبه بقوله : صحبت رسول الله ثلاث سنين كما جاء في البخاري لأنها مدة إسلامه أو هجرته لا صحبته كما قررناه من قبل.

وكذلك لا يضيرنا ما تقوَّله من ادعاءٍ أنه كان مع أبي بكر بالحج سنة

١- طبقات ابن سعد ج٤ ص٣٣٥.

تسع من الهجرة وأن رسول الله عبّأه في بعث التبليغ مع علي لإبلاغ آيات سورة براءة.

غايته وديدنه

كثيراً ما نجد من غايات أبي هريرة إشباع بطنه، ففي عصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يتكسب تارة بالجنون وتارة بالصرع وأخرى بالغشيان، ولكن هذه الحرفة لا تطعم خبزاً في عصر بني أمية فلذلك انتقل فجأة إلى حرفة التزلف للملوك.

وكان إذا اطمأن نفساً وشبع بطناً اتجه نحو النكت ولا هدف له سوى ذلك إذ لا يملك مبادئ يضحي من أجلها، وكان محدثاً مهذاراً، وكان من ديدنه مزاعم ترطّب الأجواء وترسّخ أرضية المناخ التي يقف عليها قَدَمَ الحاكم الذي يتولاه.

وذلك بفضل تحريف وثائق من التاريخ أو مسحها من صفحاته وإيجاد حوادث لا واقع لها، ثم تعال أخي المسلم نستمع إلى نبأ حادثة في التاريخ مسلَّم فيها ومجمع عليها وإليك ملخصها:

أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) استعمل أبا بكر على الحج في سنة تسعٍ من الهجرة فخرج في ثلاثمائة رجل من المدينة وبعث معه بعشرين بدنة قلدها وأشعرها بيده الشريفة وجعل عليها ناجِيَةَ بن جندب الأسلمي.

وكان قد نزل على رسول الله عشر آيات من أول سورة براءة فدعا أبا بكر وبعثه بها لأهل مكة وغيرهم من العرب المشركين ليقرأها عليهم وليؤذن أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه

وبين رسول الله عهدٌ إلى مدة فأجله إلى مدته .

فسار أبو بكر على هذا إلا أن جبريل نزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من عند ربه فبلغه أن يا محمد لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك فدعا رسول الله علياً فقال له أدرك أبا بكر فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه واذهب إلى أهل مكة وأقرأها عليهم فلحقه بالجحفة فأخذ الكتاب منه[١].

حديث الصحل

ثم تعال معي ثانية نستمع لقول أبي هريرة بخصوص كونه شارك في نقل هذا الحديث بل الحدث التاريخي الهام ولتعلم مدى أمانته في إدائه ولعل الباحث المنصف ـ والقدير على اكتشاف الحقائق ـ تضطرب عليه نفسه وترتج عليه صفحة ذهنه اسفاً عندما يجد ـ وهو يقلب صفحات المستدرك على الصحيحين للحاكم بسنده عن المحرر بن أبي هريرة ـ عن أبي هريرة قوله: «كنت في البعث الذين بعثهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع علي (رضي الله عنه) ببراءة إلى مكة فقال له ابنه أو رجل آخر: فبما كنتم تنادون قال: كنا نقول: لا يدخل الجنة إلا مؤمن ولا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف من في البيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله عهدٌ فإن أجله أربعة اشهر فناديت حتى صحل صوتي».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[٢]، قلت: لا والله أن

---

١ - أنظر مسند أحمد ج٢ ح١٢٩٦ ص٣٢٢.

٢- المستدرك للحاكم ج٢ تفسير سورة التوبة ص ٣٣١.

رجال إسناده لمغفلون وإلاّ لما تسالموا على حديث يخالف كلام الله في محكم التنزيل.

ولعل الحاكم النيسابوري عندما صحح لأبي هريرة قوله: «ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فإن أجله أربعة اشهر ...» ذُهِلَ عن قول الله تعالى بآيات التبليغ من أول سورة براءة ﴿**إلا الذين عاهدتم من المشركين... فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم**﴾[1] كما ذهل مسلم في صحيحه فصحح لأبي هريرة حديث خلق الله التربة يوم السبت كما سيأتي إن شاء الله فيكون تمام الخلق ـ حسب الزعم ـ في سبعة ايام والله يقول: ﴿**وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام**﴾[2] .

وقد ذكرها الله في سبعة مواطن في القرآن الحكيم كما سيأتي إن شاء الله.

ولعلي وأنا في هذا المقام لا أستطيع أن أشرح أسباب ذهول الحاكم ومسلم وما المقصود به هنا وإنما أريد أن أقول: إن أردت أن تعجب فاعجب من الإمام الذهبي باعتباره ـ زائداً على كونه من كبار علماء الجرح والتعديل ـ نصب نفسه معقِّباً على مستدرك الحاكم فألَّف كتاباً سماه التلخيص صحح فيه كثيراً من أحاديث المستدرك وطعن بالكثير، وعندما مرَّ على حديث الصَّحْلْ اعترف بصحته[3]، فياليت شعري!!!

إذا كان المخرج مذهولاً، والمعقب أشد ذهولاً، فعلى أكثر السنة النبوية ألف سلام، فكم من سنن صحيحة رُدّتْ، وكم من مفتريات قام عليها مدار

---

١ – سورة التوبة آية ٤.

٢ – سورة هود آية ٧.

٣ – أنظر التلخيص للذهبي بهامش المستدرك للحاكم ج ص٣٣١.

الكثير من أحكام الإسلام، ولا نعرف من الجاني والمحاسَب عند الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وعليه أشهد أن حديث الصحل مكذوب المتن والسند من هذا الطريق، ويشهد معي المحققون من الباحثين، ويشهد لي مُحْكَمَاتُ الأدلة:

المُحكَمَةُ الأولى

لم يكن أبو هريرة موجوداً في المدينة المنورة فيبعثه رسول الله في بعث التبليغ ـ كما افترى أن هناك بعثٌ مع علي ـ وإنما كان في البحرين مؤذناً للعلاء بن الحضرمي.

المحكمة الثانية

أدل دليل على أن أبا هريرة اختلق حضوره ببعث التبليغ اختلاقاً ـ وأنه كان في البحرين فعلاً، وأنه لا يرقب في القرآن الحكيم إلاًّ ولا ذمَّة ـ هو قوله ـ كما في المستدرك ـ «من كان بينه وبين رسول الله عهد فأجله أربعة أشهر فناديت حتى صحل صوتي» .

فأشهد أنه نداء مفترى ما أنزل به من سلطان وما بهذا نزل القرآن ولا أمر به نبي الله فكيف يكون أجل أصحاب العهود أربعة اشهر.

وقد أنزل الله في أوائل سورة براءة وهي المعنية بالنداء قوله: **﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين...﴾** إلى قوله: **﴿فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين﴾**[1] .

---

١ - سورة التوبة آية ٤.

وهكذا بُحَّ صوت أبي هريرة بالنداء بالباطل وهو في البحرين لا علم له ولا خبر ونعوذ بالله من سوء الخاتمة.

المحكمة الثالثة

قد صرحت الأحاديث الواردة في شأن هـذا الحـدث الهـام: أن رسـول الله بعث علياً لوحده كما أمره جبريل إلا أن أبا هريرة اختلق بعثاً مع علـي ليوهـم تواجده في ذلك البعث إذ لا يستطيع الإدعاء بأنــه كـان ثـاني اثنـين مـع علـي عندما بعثه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أهل مكة لإبلاغ آيـات بـراءة وعزل أبي بكر عن التبليغ والأمرة.

المحكمة الرابعة

أخرج البخاري بسنده عن مسعود بن عقبة قال: قال النـبي (صلـى الله عليـه وآله وسلم): «إذا لم تَسْتَحْ فاصنع ما شئت»[1] .

وبالفعل المؤكد أن أبا هريرة نسى أو تناسى ما قاله أولاً: «كنت بـالبعث الذين بعثهم رسول الله مع علي» وإذ به يتحدث أنه كان مع الحجيج وبصحبة أبي بكر وأنه نادى بآيات براءة بأمره وببعث منه (أي من أبي بكـر) وأن عليـاً أردف به في وقت متأخر فأذّن معهم.

أخـرج البخـاري بسـنده عـن حميـد بـن عبـد الرحمـن «أن أبـا هريـرة (رضي الله عنه) قال : بعثني أبو بكر في تلك الحجَّة في مؤذنين بعثـهم يـوم النحـر بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريانٌ»[2].

---

١ – البخاري ج ٢ ت. د . بغا ح ٩٢٩٦ ص ١١٩٧.

٢ – البخاري ج ٣ ت. د. بغا ح ٤٣٧٨ ص ١٦٠٢.

قلت: هذه الفرية أشد زوراً من سابقتها باعتبار أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عزل أبا بكر عن التبليغ فليس له أن يؤذن ولا يأمر أحداً بأذان ولا يبعث مؤذنين، ولو أن أحداً أذن فمن عنده وهو لاغي ومردود عليه بل يحرم عليه أن يؤذن لأهل مكة بآيات براءة، ويشهد لذلك ما رواه أحمد في مسنده عن أنس «أن رسول الله بعث ببراءة مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه فلما بلغ ذا الحليفة «قال عفان» لا يبلّغها إلا أنا أو رجل من أهل بيتي فبعث بها مع علي»[1].

وما رواه بسنده عن حبشي بن جنادة السلولي قال سمعت رسول الله يقول: (علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي)[2] أورده عن حبشي خمس مرات من خمسة طرق وإليك أرقام أحاديثها «١٧٠٥١ ـ ١٧٠٥٢ ـ ١٧٠٥٦ ـ ١٧٠٥٧ ـ ١٧٠٥٨ ».

وأخرج الترمذي في صحيحه بسند حسن عن أنس بن مالك قال: «بعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ببراءة مع أبي بكر ثم دعاه فقال لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي فدعا علياً فأعطاه إياه»[3].

على أن رسول الله عزل أبا بكر عن التبليغ والأمرة وأمر برجوعه بعد أن سار مسيرة ثلاثة أيام وقبل أن يأمر أبا هريرة أن يؤذن للناس وهو بالبحرين.

ويشهد لذلك ما جاء في مسند أحمد عن أبي بكر: «أن النبي بعثه ببراءة لأهل مكة لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريانٌ ولا يدخل الجنة

---

١ – مسند أحمد ج ٤ ج ١٨٠٢.

٢ – المصدر السابق ج ٥ مسند حبشي.

٣ – صحيح الترمذي ج ٥ ح ٣٠٩٠ ص ٢٥٦.

إلا نفسٌ مسلمة ومن كان بينه وبين رسول الله مدة فأجله إلى مدته والله بريء من المشركين ورسوله فقال: فسار بها ثلاثاً ثم قال لعلي (رضي الله عنه): إلحقه فَرُدْ عليَّ أبا بكر وبلغها أنت قال: ففعل قال: فلما قدم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أبو بكر بكى قال: يا رسول الله حدث فيَّ شيئٌ قال: ما حدث فيك إلا خيرٌ ولكن أُمِرْتُ أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل مني»[1] وتعقبه أحمد شاكر بقوله: «إسناده صحيح»[2].

وجاء فيه عن علي قال: (لما نزلت عشر آيات من براءة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دعا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أبا بكر رضي الله عنه فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة ثم دعاني النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال لي: أدرك أبا بكر رضي الله عنه فحيثما لَحِقْتَهْ فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة وأقرأه عليهم فلحقته بالجحفة فأخذت منه الكتاب ورجع أبو بكر رضي الله عنه إلى النبي فقال: يا رسول الله نزل فيَّ شيء قال: لا ولكن جبريل جاءني فقال : لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك)[3] وتعقب هذا الحديث أحمد محمد شاكر بقوله: «إسناده حسن»[4].

لحظة عتب

والعتب الجميل على شيخ المحدثين محمد ابن اسماعيل البخاري باعتباره روى هذا الحدث الهام الذي شاهده وأذاع به على أقل تقدير ثلاثة مائة

---

١ – مسند أحمد ج ١ جزء ١ ج ٤ ص ١٥٦.

٢ – شرح أحمد شاكر على مسند أحمد ج ٢ جزء ١ ص ١٥٦.

٣ – مسند أحمد ج٢ ح ١٢٩٦ ص ٣٢٢.

٤ – شرح أحمد شاكر على مسند أحمد ج٢ ح١٢٩٦ ص ٣٢٢.

صحابي على أرض الجحفة، ومحل العتب أنه لم يروه إلا عن حُمَيْدٍ بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة ولقد أورده سبع مرات في مواضعٍ من صحيحه في أربعة منها لم يذكر بعث علي ببراءة ليؤذن بها وفي ثلاث مراتٍ منها ذكره مقطوعاً سببه، ومختصراً متنه، ومعلقاً سنده، وإليك نصه:

«قال حميد بن عبد الرحمن: ثم أردف رسول الله بعلي بن أبي طالب وأمره أن يؤذّن ببراءة. قال أبو هريرة: فأذن معنا علي يوم النحر في أهل منى ببراءة أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريانٌ»[1].

تأمل أخي المسلم لِمَ لم يذكر سبب بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي إلاّ إردافاً، وهل هذا إلا تسترٌ على عزل أبي بكر؟ ولِمَ لم يذكر الحديث بطوله، وهل من سبب إلا التستر على أبي هريرة لأنه قال: ناديت حتى صحل صوتي؟.

ولِمَ لم يذكر سند الحديث وإن كان تعليقه هنا بصيغة الجزم الحاكم بصحته، وهل هذا إلا تظاهرة على حقٍ لعلي بمساسه يمس الدين والأمة؟

كما سبقتها تظاهرة ضد رسول الله في حقه بالوصية مست الدين وفرقت المسلمين وأغضبت الله ورسوله وهي رزية يوم الخميس.

اللهم إلا أن يقال خفي على البخاري سبب بعث علي للتبليغ! على أننا نعتقد محالية الخفاء، إذ لو قلنا: كتمه أبو هريرة فقد رواه غيره من الصحابة، ولو قلنا لم يرو له السبب بسند صحيح فهو قول هزيل لأن البخاري ومسلم لم يستوعبا الصحيح في كتابيهما ولم يلتزماه، على أن البخاري قال:

«احفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتي ألف حديث غير صحيح»[2] كما

---

١ – البخاري ج٣ ت. د. بغا. ح ٤٣٧٨ ص ١٦٠٢.

٢ – المقدمة لابن الصلاح ص١٠.

كما نقله ابن الصلاح في المقدمة، وكذا السيوطي في التدريب[1] عن العراقي وغيرهم من علماء هذا الشأن.

ونقله السباعي في كتابه السنة ومكانتها عن الحافظ الحازمي في شروط الأئمة الخمسة بسنده عن أبي الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد أنبأنا به طلحة في كتابه عن أبي سعيد الماليني أنبأنا عبد الله ابن عدي قال حدثني محمد بن أحمد قال سمعت محمد بن حمدوية يقول سمعت محمد بن إسماعيل «يعني البخاري» فذكر الحديث.

وعليه فَلِمَ لا يكون البخاري قد روى سبب بعث رسول الله علياً لتبليغ آيات براءة وعزل أبي بكر في الصحيح الذي حذفه باعتبار أنه لم يخرِّج في صحيحه ـ من المئة ألف حديث صحيح ـ إلا أربعة آلاف حديث عدا المكرر منها، والموقوفات، والتعليمات، والمتابعات، وأقوال التابعين.

ولقد عمد البخاري إلى الكثير من الأحاديث الصحيحة التي لا توافق مذهبه الاعتقادي أو الفقهي فنحاها عن كتابه وإذا أدخل فيه شيئاً من هذا النوع اختصره وعتمه كما هي عادته يحذف الصدر ويبتر الحجر ويمخر الجوف.

آمنا أنه يجوز تعليق الحديث وتقطيعه على الأبواب كما صنع البخاري، ويجوز رواية الحديث بالمعنى إن كان عالماً بالألفاظ خبيراً بما يحيل معانيها، ويجوز اختصاره، آمنّا بكل هذا، ولكن بشرط أن لا يُتهَم غيره بالزيادة إن رواه تاماً أو بالغفلة وقلة الضبط في الحذف، وأن لا يختل البيان ولا تختلف الدلالة، وأن لا يتعلق المحذوف بالمأتي به تعلقاً يخل بالمعنى كالاستثناء والشرط والغاية والأمر وأن يكون ما حذفه قد أتمه غيره كما نص على كل ذلك

---

١ - تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي جزء ١ ص٩٩.

أصحاب الشأن.

ولكن من أين لنا أن نؤمن بحذف ما خرج من الدين مخرج الضرورة وبالأخص قبل أن يثبت في أذهان المسلمين جميعهم بالضرورة وإلا فبالتالي اغتياله وذبحه بلا سكين ودفنه بلا غسل ولا كفن وخير القبور الدواثر!!! وخصوصاً بعد إقصاء أو موت حملته إذ أصبح المسلمون عيالاً معترين يلتمسون الحق من أبي هريرة والبخاري فَيُعْطَوْن كثيراً من الرخيص ويمنعون النفيس وهكذا يصنع بالدين ويفترق المسلمون.

وأنت تعجب عندما تسمع البخاري يقول: ما أدخلت في كتاب الجامع إلا ما صح وتركت من الصحاح لطول الملال[1] كما رواه ابن الصلاح في المقدمة، وتزداد عجباً عندما تطلع على اسم صحيح البخاري الذي سماه به كما ذكر ابن الصلاح في المقدمة قال: «اسمه الذي سماه به وهو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسننه وأيامه»[2].

فتجد أنه نحىَّ عن صحيحه نحواً من ستةٍ وتسعين ألف حديث واختصر ما شاء أن يختصر وكل ذلك خوف طول الملال على نفسه أو نفوس المسلمين، ولم يخف عليهم من الضياع بضياعها ولو أنه طوى صفحاً عن حديث التبليغ لما عاتبناه.

---

١ – مقدمة ابن الصلاح ص١٠.

٢ – المصدر السابق ص١٣.

غايته وانتهازه

ما عساني أقول: في رجل طوى كشحاً عن مناهج الحياة الكريمة ومراقي الفضيلة بين الرجال، وغرق في عين بحر الخوارم إلى أن تبنّاه بلاط بني أمية، ولما انقرض عصر الصحابة وحكم الجمهور بعدالة كل من أسلم ورأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومات على الإسلام، حتى وإن سرق وزنا، وإن قتل وغدر، وإن كذب وفجر وإذ بأبي هريرة فجأة ـ وهو في قبره عن طريق الطفرة أو القفزة ـ يصبح فارس ميدان العلم والتقى والأخلاق، وحامل علم السنة النبوية الشريفة، فلا يجارى ولا يقاوم.

والحال أن أبا هريرة لا يملك من شتى مناحي الحياة إلا منحى واحداً هو أن يعيش ليأكل ولم يأكل ليعيش مما تولد عنه هَمُّ البطن، وتولد عن هذا الهم الانتهاز والهذر، وتولد عن الهذر فن النِّكات والهزل وإليك تفصيل ما أجملناه:

١ ـ ما كان أبو هريرة يعيش إلا ليأكل، فليس له مبدأ يتنامى على ظاهر حاله بدفع قوي تقذفه قوة الإيمان المستكن في قلبه إلى حد أنه على الأقل يذب عنه ويقاتل دونه في ساحات الجهاد النفسي والقتالي، وإنما مبادؤه دون ذلك، ولذا لا نكاد نسمع بطعام آن ذاك إلا وأبو هريرة أميره يرعد ويبرق فوقه.

٢ ـ كان رجلاً انتهازياً لا هم له إلا بطنه ولا سلاح له إلا الانتهاز ولو على حساب الدين ودنيا الآخرين، ويشهد لذلك ما ذكر أخوتنا أهل السنة في مروياتهم التي تترجم حياته الانتهازية ما هذا نصه:

«وكان يأكل على سماط معاوية، ويصلي خلف علي، فإذا كان وقت الحرب صعد على ذروة فقيل له في ذلك فيقول: طعام معاوية أدسم، والصلاة خلف علي أقوم، والقعود على هذا الكوم أسلم) ذكر ذلك الشنواني في حاشيته على مختصر ابن أبي جمرة للبخاري وارسله إرسال المسلمات»[١] .

ونقله الشيخ أبو ريا عن كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي وربيع الأبرار للزمخشري وشذرات الذهب للعماد الحنبلي والسيرة الحلبية لبرهان الدين الحلبي وروض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار لمحمد بن قاسم بن يعقوب[٢].

وعلى رغم هذا كله فإن المرحوم مصطفى السباعي عزا هذا الأثر عن أبي هريرة ـ في كتابه السنة ومكانتها من التشريع الإسلامي ـ إلى كتب الشيعة والأدب وهو بصدد الرد على الشيخ أبي ريًا هذا نصه :

«أما أنه كان يأكل المضيرة عند معاوية ويصلي وراء علي ويقول ما قال فذلك ترويه الشيعة وكتب الأدب التي لا تعني بصحة الأخبار كالثعالبي والهمذاني»[٣].

قلت: فَمَنٌ أن المرحوم السباعي لم يدرس حياة أبي هريرة دراسة تحليلية ممنهجة، خاضعة لمشرط التشريح العلمي وبعيدة عن التعصب والتقليد، ولم يسبرها في بطون الكتب بل ولا يعلمها قبل وجود النقاد مثل العلامة عبد الحسين شرف الدين وأحمد أمين وأبي ريًا، وإنما كان يعلم الجانب الإيجابي الدارج وإلا فهو غلِطٌ أو غالط فهذا الشنواني في حاشيته على مختصر أبي جمرة

---

١ – حاشية الشنواني ص ٢٤.

٢ – شيخ المضيرة لمحمود أبي ريَّة ص٥٦.

٣ – السنة ومكانتها للدكتور المرحوم مصطفى السباعي ص ٣٣٥.

يذكر انتهازه في صفين وليس هو شيعياً ولا أديباً هنا وليس كتابه من كتب الشيعة ولا الأدب فتأمل.

٣ ـ قد لا يستطيع أخوتنا أهل السنة توصيف أبي هريرة: بأنه كان رجلاً شجاعاً غيوراً صموتاً وقوراً محترماً حديثه فصلٌ ورأيه عدلٌ يموّل سامعه بغذاء الصدق والأمانة، ويزرع في جنانه فسائل الثقة والإطمئنان.

اللهم إلا مكابرة قد ينجح المتصفون بـهاعند الجمهور بأسباب عديدة أهمها عتام الحيلولة بين الجمهور وبين الحق عن طريق ضباب التحايل عليهم، والتهرُّب بهم بعيداً عن قاعات البحث العلمي، وتحليل وقائع التاريخ، واستقراء بصمات الأيدي التي ساعدت على تغيير مجراه من خير إلى شر والعكس كذلك لتكون الرؤية واضحة للجميع، ولكن هيهات هيهات وهكذا فالعلماء نلجحون والناس مخدوعون.

وكيف يثبتون له من هذه النعوت ولو نعتاًواحداً وهم قد أجمعوا على أنه كان مزّاحاً، قلت: إلى درجة إسقاط المروءة في عرف الشرعيين وروَوا عنه أحاديث تحمل فضائح صريحة يندو لها جبين التاريخ، ولقد أجمع الناس في عصر الصحابة على تكذيبه حاشا من يواليهم، ووصمه أكابر الصحابة بالإكثار على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما صرح بذلك هو نفسه ورواه عنه البخاري وغيره، وكان يحدث بكل ما سمع عن كل أحد في الجد والهزل وفي النافع وغيره من فضول الكلام، وعن المسلم وغيره إلا في الأحاديث التي تهز عرش من يواليهم فلو أبداها لشق معاوية بلعومه.

والمعروف عند العرب أنه من كثر كلامه ومزاحه كثر سقطه ولغطه، والعرب تسميه مهذاراً، ففي القاموس المحيط «هَذِرَ» كلامه كَفَرِحَ كثر في الخطأ

والباطل «والهَذَرُ» محرَّكة الكثير الرديء أو سقط الكلام[١] وفي مختار الصحاح «الْهّذَرُ» هو الهذيان «ومهذار ـ وأهْذَرَ» في كلامه أكْثَرَ[٢].

هذا كله من ناحية العربية والعرب، وأما من ناحية اصطلاح المحدثين من المتشرعة فقد رفضوا من يتحدث بكل ما سمع حاشا من كان صحابياً وهو استثناء على خلاف ما نص عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنه بدأ ـ أول ما بدأ ـ بالصحابة فكذب كل من يتحدث منهم بكل ما سمع وخير شاهد على ذلك هو أبو هريرة نفسه:

أخرج مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (كفى بالمرء كذباً أن يتحدث بكل ما سمع)[٣].

وأخرجه بسنده عن عمر بن الخطاب موقوفاً عليه قال: «بحسب المرء من الكذب أن يتحدث بكل ما سمع»[٤].

وأخرج بسنده عن مالك قال : «إعلم أنه ليس يسلم رجلٌ حدَّث بكل ما سمع ولا يكون إماماً أبداً وهو يحدث بكل ما سمع»[٥] وتعقبه النووي في شرحه على مسلم بقوله: فمعناه أنه إذا حدث بكل ما سمع كثر الخطأ في روايته فَتُرِكَ الاعتماد عليه والأخذ عنه[٦] قلت: هذا في حال كونه صادقاً فكيف بمن حفظ عليه التاريخ هناتٍ وهنّات.

---

١ – القاموس المحيط للفيروزأبادي ج٢ ص١٥٩ فصل الهاء باب الراء.

٢ – مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي ص٦٩٣.

٣ – مسلم بشرح النووي ج١ جزء ١ ص٧٣.

٤ – المصدر السابق ص٧٥.

٥ – المصدر السابق ص٧٥.

٦ – مسلم بشرح النووي ج١ جزء ١ ص٧٥.

فكه ومزاحه

كان أبو هريرة يكثر المزاح كما كان يكثر الحديث على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتبانت كلمات القوم على ما يفيد الإجماع أنه كان مزاحاً مكثاراً، واعترف بذلك السباعي وهو بصدد الرد على «أضواء على السنة» للشيخ محمود أبي ريَّا.

ومن مزاحه ونكاته ما أخرجه ابن سعد بسنده عن أبي رافع قال: «كان مروان ـ أي ابن الحكم ـ ربما استخلف أبا هريرة على المدينة فيركب حماراً قد شد عليه قال عفان: قرطاطاً[1] وقال عارم: برذعة[2] وفي رأسه خُلْبَةٌ[3] من ليف فيلقى الرجل فيقول الطريق قد جاء الأمير... وربما دعاني إلى عشائه بالليل فيقول: دع العُرَاقَ[4] للأمير فانظر فإذا هو ثريدٌ بزيت»[5].

وقال : د. صبحي الصالح في علوم الحديث «أبو هريرة ـ على وَرَعِهِ وتقواه وزهده ـ كان مرحاً يحب الدعابة ويطرب للنكتة فإذا مر بصبيان أضحكهم وإذا التقى بالناس في الأسواق قص عليهم ما يسلِّيهم»[6].

---

١ ـ القرطاط: هو الشيء اليسير. والمقصود هنا: ما يوضع على ظهر الحمار ليحول ينه وبين الراكب فيجلِّله ويركب عليه.

٢ ـ البرذعة: هي الجلس يوضع تحت الرحل. وهي كما نعرف عنها اليوم: عبارة عن وعاء يحشى فيه حطيم النبات الخرق ليحمي ظهر الحمار من الدَّبر.

٣ ـ الخلبة: من معاني الخلب: الخديعة والليف وحبل الليف الصلب الرقيق. وعليه يكون معنى الخلبة: إمّا أنه شد على رأسه بحبل الليف: وإمّا أن يكون قد وضع ليفاً وكبَّره وشده على رأسه ليوهم أنها عمامة. والقصد منها السخرية.

٤ ـ العُراق: هو العظم أكل لحمه. أو العرق: هو العظم بلحمه فإذا أكل لحمه فَعُرَاق.

٥ ـ الطبقات لابن سعد ج٤ ص٣٣٦.

٦ ـ علوم الحديث د. صبحي الصالح ص٣٦٠.

وأخرج بن سعد في الحديث آنف الذكر «وربما أتى الصبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الغراب فلا يشعرون بشيء حتى يلقي نفسه بينهم ويضرب برجليه فيفزع الصبيان فيفرُّون»[١] قلت: لم ينس أبو هريرة فنَّه التشكيلي الذي كان يلعبه في عهد رسول الله بانتحال شخصية المجنون أو المصروع أو المغشي عليه من المس ولم يتغير من ذلك شيء إلاَّ بفارق واحد وهو أنه كان ينتحل ذلك أيام بقائه مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لشبع بطنه، ولكنه بعد أن شبع من مضيرة معاوية وجَّه دور المجنون إلى الصبيان فأدخله في لعبه الغراب فيفرون فزعاً حتى إذا عرفوه أخذوا يضحكون.

وكان يكثر الحكايات المضحكة ليضحك الناس، على أنه هو الذي روى حديث «مُضْحِكُ الناسِ» قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار).

وفي رواية «ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك القوم فيكذب ويل له ويل له» رواه الترمذي واللفظ له بسنده عنه وقال: هذا حديث حسن[٢] ورواه أبو داود في الأدب باب التشديد في الكذب ورواه النسائي في السنن الكبرى من كتاب التفسير ورواه ابن ملجه في الفتن باب كف اللسان كما ذكر ذلك يوسف الحوت في تحقيقه على صحيح الترمذي[٣].

ورواه ابن أبي الدنيا بسنده عنه وبسند حسن كما نص على ذلك

---

١ – الطبقات لابن سعد ج٤ ص٣٣٦.

٢ – صحيح الترمذي ج٤ ت يوسف الحوت باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس ح ٢٣١٤ ـ ٢٣١٥ ص ٤٨٣.

٣– تحقيق يوسف الحوت على صحيح الترمذي ج٤ ص٤٨٣.

العراقي في المغني عن حمل الأسفار بهامش الإحياء[١] ورواه مسلم عنه في باب حفظ اللسان[٢] وكذا البخاري[٣].

على أن العدالة عند الفقهاء كما ذكرها السيد سابق في فقه السنة «مقيدة بالصلاح في الدين والاتصاف بالمروءة» وشرحها بقوله: «أن يفعل الإنسان ما يزينه ويترك ما يشينه من الأقوال والأفعال»[٤].

وذكر الشربيني في المغني تعاريف العلماء للمروءة حيث قال: «وقيل المروءة التحرز عمّا يُسْخَر منه وَيُضْحَك به، وقيل هي أن يصون نفسه عن الادناس ولا يشينها بين الناس، وقيل: غير ذلك»[٥].

وعرفها النووي في المنهاج بقوله: «والمروءة تخلـقٌ بخلق أمثاله في زمانه ومكانه كالأكل في سوق «إلى أن قال» وإكثار حكايات مضحكة»[٦] وشرح الشربيني هذا التعريف بقوله: وخرج بالإكثار ما لم يكثر أو كان ذلك طبعاً لا تصنعاً كما وقع لبعض الصحابة»[٧].

قلت عن أي تصنُّع يتكلم الشربيني وبأي طبع يعتذر لبعض الصحابة؟ بعد انتحل شخصية المجنون في لعبة الغراب في لحظات حضور الليل وغياب المروءة، ومن عجيب التهافت أنهم يقبلون الشهادة والرواية ـ وإن فرقوا

١- المغني عن حمل الأسفار بهامش الإحياء للعراقي ج٣ ص١١٦.

٢ – مسلم بشرح النووي ج٩ جزء ص١١٧.

٣ – البخاري ج٤ ت. د. بغا. ح٦١١٢ـ ٦١١٣ ص٢٢٤٤.

٤ – فقه السنة للسيد سابق ج٣ ص٤٣٢.

٥ – مغني المحتاج للشربيني ج٤ ص٤٣١.

٦ – المنهاج للنووي بشرح الشربيني ج٤ ص٤٣١.

٧ – مغني المحتاج للشربيني ج٤ ص٤٣١.

بينهما في بعض الموارد ـ من فسلق الصحابة ومنخرمي المروءة منهم.

مروءته في اللباس وعند الطعام

صرَّح أبو هريرة للناس جميعاً أنه لزم رسول الله لِشَبَع بطنه، فلم يكتمهم علة الملازمة، ولا يهمُّنا هنا طالت أم قصرت وإنما الغريب في الأمر أن الذي يلازم رسول أكثر من غيره فعلى الأقل يتخلق ببعض طباعه وسجاياه غير أن أبا هريرة كان قذر الثياب حتى مع سعة العيش بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مما يجلب الجراثيم والذباب إلى درجة أنه كان يمتخط في ثيابه كما أخرج ابن سعد والبخاري واللفظ له: بسنده عن محمد «يعني ابن سيرين» قال: كنا عند أبي هريرة وعليه ثوبان ممشقان من كتان فتمخط فقال: بخ بخ أبو هُريرة يتمخط في الكتان[1].

وأمّا مروءته عن الطعام فكان شرهاً مَنْهوماً إلى درجة الاستيلاء على قلبه، فلا يستطيع أن يربأ بنفسه عن مهاجمة الطعام من أي وجه من وجوه الحضر والإباحة، ولم يكلف نفسه ضربة سيف أو طعنة رمح في سبيل الله، ولم يعجبه فارس قط «أحسن من زبد على تمر» كما نقل أبو ريًّا عن الثعالبي في خاص الخاص، ولم نسمع عنه ـ في مناسبات الطعن والطعام ـ من المحدثين والمؤرخين إلا وهو: «متأخر عن فارس الطِّعان ومتقدِّم عند فيروس الطعام».

ومن المعروف أن جمهرة الذباب لا تغادر حمى قذر الثياب والبدن فتدور معه حيثما دار فيكثر سقوطها في طعامه وشرابه، مما حدا بابي المحدر أن ينسب إلى رسول الله ـ وهو سيد الكائنات وصاحب الخلق العظيم والطبع السليم ـ

---

١ – طبقات ابن سعد ج٤ ص٣٢٦ ـ ٣٢٧ البخاري ج٤ ت دبغا كتاب الاعتصام ح٦٨٩٣ ص٢٥٠٩.

إنه أمر أمته بغمس الذباب بالطعام والشراب مما يتنافي مع أخلاق النبوة بل مع أبسط ما تواطأت عليه النفوس الكريمة وعافته الطباع السليمة واستخبثته نفوس العرب في الجاهلية والإسلام، وها هم المسلمون اليوم في مشارق الأرض ومغاربها لا يقيمون وزناً لحديث الذباب ولا يغمسونه في طعامهم إلاّ من أعمى الله بصيرته من المتعصبين وفي ما يلي نص الحديث:

أخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة يقول: قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فإن في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء)[1] وأورده ثانية في نفس الباب من كتاب الطب في صحيحه بلفظ (في إناء أحدكم)[2] بدلاً من شراب أحدكم ورواه أبو داود في كتاب الأطعمة من سننه بلفظ «فأمغلوه» بدلاً من فليغمسه وزاد (وإنه يتقي بجناحه الذي فيه الداء)[3] وزاد أحمد في المسند في بعض رواياته من مسند أبي هريرة «وإنه يقدم الداء»[4].

قلت: لا نستطيع أن نأتي على شيء بأفضل مما نقل فضيلة الأستاذ محمد عبد العزيز الخولى معلق كتاب سبل السلام للصنعاني في شرح بلوغ المرام للعسقلاني تعليقاً عن الطبيب محمد توفيق صدقي العالم المتدين في كتابه سنن الكائنات ص١٦٢ ج١ هذا نصه:

«لا يخفى أن عادة الذباب أن يجتمع على القاذورات والنجاسات ثم ينتقل منها إلى طعام الإنسان أو يسقط في شرابه أو يقف فوق عينيه وبذلك

---

١ - البخاري ج٢ ح٣١٤١ ص١١٢٠ ت.د. بغا.

٢ - البخاري ج٤ ح٥٤٤٥ ص٢٠٥٠ ت.د. بغا باب إذا وقع الذباب في الإناء.

٣ - سنن أبي داود ج٢ ح٣٨٤٤ ص٣٩٢ تعليق كمال يوسف الحوت.

٤ - مسند أحمد ج٣ ح٩٤٢٨ ص١٩٠.

تنتقل جراثيم الأمراض إلى الإنسان وتنتشر بين أفراد هذا النـوع ومـن أمثلـة ذلك وقوفه على عين المصابين بالرمد الصديدي ثم انتقاله إلى الأعين السليمة فتصاب بهذا الرمد ومن أسباب انتشار الحمَّى التيفودية بشكل وبـائي وقـوف الذباب على البراز مثـلاً إذا لم يدفـن في الأرض دفنـاً جيـداً فيتلـوث الذبـاب بميكروب التيفود وبعد ذلـك يقـف علـى الخـبز مثـلاً ومثـل التيفـود الهيصـة «الكوليرا» والدوسنطاريا.

ومن الذباب ما يلذغ بعض الحيوانات المصابة بالجمرة الخبيثـة ثـم يـاتي إلى الإنسان فيلقحه بها ومنه ما ينقل بلذغه مرض النوم من شـخص إلى آخـر ويقال إن البللغرى تنقل أيضاً بلذغ بعض أنواعه كما سبق ومن المحقق أن حمَّى ثلاثة الأيام وسبعة الأيام والحمَّى البسيطة المستمرة في الهند كلها تنتقل بلذغـة وحمَّى الثلاثة الأيام هذه تسمى أيضاً باباتتس وسميت بذلك من اسـم الذبـاب الذي يحدثها: (**ehleboto uspappatassl**).

وميكروب هذه الحميّات وراء المجهر على مـا يظـهر مـن مضـار الذبـاب أيضاً أنه قد يضع بيضه في الجروح أو في الآذان أو في تجاويف الأنـف فيفقـس هذا البيض ويخرج منه النغف «وهو ما يسمى الآن باليرقـات ويشـبه الـدود» وهذه الديدان تأكل جسم الإنســان وتحـدث فيـه التـهاباً شـديداً وإذا أصـابت جروحه آلمته إيلاماً شديداً ويحصل بسببها أيضاً التهاب الجـروح وحمَّـى وتعـوق برء الجرح مدة مديدة حتى أن الجرح لا يشفى إلا إذا خلـص منـها ومـن انـواع هذه الديدان ما يأكل جثة الموتى.

وقد قرر أطباء الانكليز أن من أعظم أسباب استشــار الحمَّـى التيفوديـة بين الجنود في حرب الترنسغال «من سنة ١٨٩٩ـ ١٩٠٢» كان الذباب وساعده في

ذلك الريح تنقل الأتربة الملوثة بالبراز إلى طعام الجنود.

فلهذا يجب إزالة جميع القاذورات من حول الإنسان ودفن المواد البرازية ونحوها دفناً جيداً أو إبادتها بأي طريقة بحيث تأمن وقوف الذباب عليها وانتقاله إلينا وأحسن الطرق حرق القاذورات أو وضع الفنيك أو الفورمالين عليها.

وإذا وقع الذباب على الأعين وجب طرده في الحال وإذا وقف على الطعام أو سقط في الشراب فالأسلم تطهيرهما بالنار وكلما كثر الذباب وجب السعي في إبادته بقدر الإمكان. وأعلم أن الذبابة الواحدة تضع نحو «٩٠٠» بيضة وحياتها لا تتجاوز ثلاثة أسابيع.

أمَّا ما رواه البخاري عن أبي هريرة من أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فإن في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء) فهذا حديث مشكل وإن كان سنده صحيحاً فكم في الصحيحين من أحاديث أتضح لعلماء الحديث غلط الرواة فيها كحديث «خلق الله التربة يوم السبت» مثلاً وغيره مما ذكره المحققون.

وكم فيهما من أحاديث لم يأخذ بها الأئمة في مذاهبهم فليس ورود هذا الحديث في البخاري دليلاً قاطعاً على أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قاله: بلفظه مع منافاته للعلم وعدم إمكان تأويله على أن مضمونه يناقض حديث أبي هريرة وميمونة وهو أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سئل عن الفأرة تقع في السمن فقال: (إن كان جامداً فاطرحوها وكلوا الباقي وإن كان ذائباً فأريقوه أو لا تقرّبوه) فالذي يقول ذلك لا يبيح أكل الشيء.

إذا وقع فيه الذباب فإن ضرر كل من الذباب والفئران عظيم على أن

حديث الذباب هذا رواه أبو هريرة وفي حديثه وتحديثه مقال بين الصحابة أنفسهم خصوصاً فيما انفرد به كما يعلم ذلك من سيرته.

وغاية ما تقتضيه صحة السند في أحاديث الآحاد الظن فلا قطع بأن هذا الحديث من كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكانوا يروون الحديث بالمعنى فيجوز أن يكون لفظ الراوي لم يؤدِّ المعنى المراد والله أعلم ... »[1].

أوعيته المسؤومة وطاماته الكبرى

تشيَّع أبو هريرة لبني أمية بعد فتنة عثمان تشيعاً فلحشاً، فأجر نفسه منهم تأجيراً خطيراً لم يكن مألوفاً من قبل، حيث كان قبلاً قد أجر نفسه من بسرة بنت غزوان بخبز بطنه وَعُقْبَةِ رجله على أن يخدمها وزوجها إذا حلّوا ويحدو بهم إذا رحلوا، ثم بعد هجرته لزم رسول الله يخدمه ـ كما اعترف ـ بشبع بطنه، ثم أكرى نفسه من معاوية بن أبي سفيان على أن يأكل من المضيرة، وإن شئت قل سجل مرتزقاً في الديوان فضمن له معاوية المضيرة والعطاء.

ولمَّا كان جباناً لا يقدر على شيء توجه به معاوية إلى الإعلام يسبح بحمده ويكيل له المدح والثناء ويشتم آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ويزوِّر على علي بن أبي طالب (عليه السلام) أحاديث شائنة ويبث أحاديث تهدد من يتمرد على معاوية أمام أهل زمانه كما أخرج مسلم في باب وجوب طاعة الأمراء من صحيحه بسنده عنه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:

---

١ – حاشية الأستاذ محمد عبد العزيز الخولي على سبل السلام ج ١ ص ١٨ طبع مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر محرم سنة ١٣٤٩هـ.

«... من يطع الأمير فقد أطاع الله ومن يَعصِ الأمير فقد عصاني»[١].

وأخرج عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية»[٢].

وهكذا ابتاع أبو هريرة دينه بدنياه في هذه المرة، فأصبح بوقاً يجأر فيه المرجفون وعالماً لا تثريب عليه ولا معقب لقوله، ومحدثاً وافر الروايات عن رسول الله، وكثيف الأحاديث عن كعب الأحبار، فامتزج سمها بدسمها، وعالماً لا يعلَّم، يكيل الدين بالصاع ويقيس العلم بالذراع، وأميراً على المدينة المنورة يتناوبه الأدوار مروان بن الحكم طريد وابن طريد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فعمت البلية وأعمت فاضطرب صفو الدين وانطمست الحقائق وماج الناس في عقائدهم فافترقت الأمة.

ومن الموافقات التي جاء بعضها عن قصد أو على غير قصد أنه لمّا رُفِضَ ـ في دولة معاوية ـ حبُّ علي بن أبي طالب وولاؤه وعلمه وفضله وأقبل طلابُ سفاسفِ الحياة يشتمون علياً أمير المؤمنين وأهل بيته الطاهرين على منابر المسلمين وعند كل صلاة ومناسبة، هناك سَرَقَ أبو هريرة لنفسه ما يستطيع أن يسرق من فضائل علي أمير المؤمنين، وإليك أخي المسلم أربعة من الصور المقارنة تحت عنوان اختلاط الحابل تجد هناك مصداقاً لما ذكرنا:

اختلاط الحابل بالنابل

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): خص علياً بعلمٍ جمٍ ومنه علم

١ – مسلم بشرح النووي ج٦ جزء ٢ ص٢٢٣.

٢ – المصدر السابق ص٢٢٩..

الجامعة كما في الحديث عن أهل البيت (عليهم السلام)[١].

أبو هريرة: شرع ينتحل علوماً منها علم الثوب أو النَّمِرَة أو الرداء.

رسول الله: جعل علياً من أعدال القرآن[٢] وخصه بعلم الجفر كما في الحديث عن أهل البيت (عليهم السلام)[٣].

أبو هريرة: بادر يدعي العلوم فتقمص علم الكيس وبدأ يطرح أحاديث مفتعلة.

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): خص علياً وفاطمة بعلم الحوادث التي أملاها في صحفٍ فسميت مصحف فاطمة(عليها السلام)[٤].

أبو هريرة: اخترع من كيسه علم الجرابين أو الوعائين أو الأوعية الخمسة.

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): عيَّن علياً باباً لمدينة علمه الإلهي المعصوم الذي يشمل الدنيا والآخرة ويعم الكون والحياة فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «أنا مدينة العلم وعلي بابها»[٥].

أبو هريرة: ما فتئ يحدِّث فيكثر ويهذر وبعض الصحابة يكذِّب ومعاوية يؤمِّن وأزلامه تنشر وبعد زمن غير بعيد أصبح ـ عند الجمهور ـ بابُ مدينةِ العلمِ هو لا علي.

ومما يثير العجب أن أخوتنا أهل السنة إلى اليوم ينكرون أن رسول الله

---

١ – مرآة العقول للمجلسي وقال: الحديث الرابع صحيح. ج٣ ص٥٥.

٢ – مسلم بشرح النووي ج٨ جزء ١ ص١٨٠.

٣ – مرآة لعقول للمجلسي وقال: الحديث الرابع صحيح. ج٣ ص٥٥.

٤ – المصدر السابق.

٥ – المستدرك للحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ج٣ ص١٢٦.

خص علياً بعلمٍ بعد إيمانهم بأنه باب مدينة العلم، والأكثر عجباً أنهم يؤمنون بأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خص أبا هريرة بعلم الكيس والجرابين والثوب أو الرداء وفي ما يلي بعض الكلام عن ثوبه وأجريته المشؤومة وطاماته الكبرى:

علم الثوب

أخرج البخاري بسنده عنه... قال: «قلت: يا رسول الله أني أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه قال: ابسط رداءك فبسطته قال: ففرق بيده ثم قال: ضمه فضممته فما نسيت شيئاً بعده»[1].

أورده خمس مرات في صحيحه ففي باب حفظ العلم وباب سؤال المشركين أن يريهم النبي آية جاء بلفظ (أبسط رداءك فبسطته) وفي باب إذا قضيت الصلاة فانتشروا جاء بلفظ «فبسطت نَمِرَةً عليّ» وفي باب ما جاء في الغرس جاء بلفظ «فبسطت نمرة ليس علي ثوب غيرها» وفي باب الحجة على من قال أن أحكام النبي ما كانت ظاهرة جاء بلفظ «فبسطت بردة كانت علي».

أقول: آمنا بالله وصدقنا المرسلين أن هناك معاجز وقعت في تاريخ الأنبياء «وغيرهم» لتكون بمنزلة «صَدَقَ عبدي فيما بلّغ عني» مثل برد النار لإبراهيم (عليه السلام) وانفلاق البحر لموسى(عليه السلام) وإحياء الميت لعيسى(عليه السلام) وانشقاق القمر لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذه المعاجز الجبارة التي تخرق بعض النواميس الكونية يسميها أخوتنا أهل

١- البخاري ج١ ت. د. بغا. ح ١١٩ ص ٥٥.

السنة «خوارق العادات».

وتوضيح ذلك: أن أفعال الله غير معللة بالأغراض والعلل الغائية وما نراه من الملازمة بين النار والإحراق ما هو إلا أحكام العادة ارتكزت في أذهاننا بواسطة التكرار يخلق الله الإحراق عند مماستها لا بها.

وعليه يمكن أن يخرق الله العادة ويجعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم، وهكذا وكأن الله الذي أعطى للنار خاصية الإحراق لا يستطيع أن يخرقها لو جعلها معلولة لها لوجود عنصر الضرورة في قانون العلية والمعلولية سواءً آمنا بأنها تبقى ناراً بعد سلب الخاصة أو تخرج عن كونها كذلك.

ومن غريب الموافقات أن نظرية العادة التي دان بها الأشعرية من أخوتنا أهل السنة ردحاً طويلاً من الزمن أصبحت مرتعاً خصباً لمذهب الشك الحديث أو جسراً يسمح بالعبور إلى جانب التنكر لعلية الأشياء بل لإنكار علة العلل أو واجب الوجود فهذا «ديفيد هيوم ١٧١١ ـ ١٧٧٦» الفيلسوف الإنجليزي أحد زعماء المنهج الشكي الحديث تنكَّر لقانون العلية والمعلولية ودان بنظرية العادة وفسَّر عنصر الضرورة بين كل حادثتين متعاقبتين على أساس أن التتابع والتتالي بين ظاهرتين يقدح في الذهن معنى الترابط وسمى هذه العادة (تداعي المعاني) ولست أدري هل استنبطوا نظرية العادة عن فلاسفة الشك القديم أم أن هيوم وقادة الشك الحديث أخذوا النظرية عن المسلمين الأشاعرة أم أنها محض الموافقات.

وعلى أية حال فإنه يجب الإيمان بمعاجز الأنبياء ويكفر منكروها، سواءً قلنا: بين النار والإحراق تلازماً عقلياً أو عادياً وسواءً عزونا حكم الضرورة للعلة أو العادة، وسواءً قلنا: أن قوة الإحراق مودوعة فيها

أو تُخلق عندها لا بها.

ولكن من أين لنا أن نصدق أبا هريرة فيما ادعاه من أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) غرف له بيده غرفتين «على ما جاء في بعض الأحاديث» مثلما كان هو نفسه يغترف من مضيرة معاوية غرفاً بكلتا يديه، والدليل الذي يكفينا عن كل دليلٍ يدلُّ على كذب حديث الاغتراف هو الحديث نفسه باعتبار أن العلم من ذوات المعاني فلا يغترف غرفاً ولا يبسط له رداءً وإنما يبسط له القلب فينفث فيه نفثاً، وهي طريقةُ نوعٍ من أنواع الوحي ويشهد لهذا ما أورده عفيف طباره عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (إن الروح القدس نفث في روعي أنه لن تموتَ نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب)[1].

وعلى الرغم من اختلاق حديث عدم النسيان بفضل علم الثوب!!! فإنه كان ينسى كغيره ولربما يورد حديثاً ثم ينسله فيورد آخر يناقضه كما أخرج البخاري بسنده عنه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا عدوى ولا صفر ولا هامة...» .

وعن أبي سلمة سمع أبا هريرة بَعْدُ يقول: قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا يوردن ممرض على مصح) وأنكر أبو هريرة الحديث الأول فقلنا: ألم تحدث أنه «لا عدوى فرطن بالحشية قال أبو سلمة: فما رأيته نسى حديثاً غيره»[2].

وباعتقادنا أن أبا هريرة لم يحمل في ثوبه علماً من رسول الله وإنما كان يحمل فيه الفرع والصئبان والقمل الذي كان يدب عليه دبيباً ومن أراد فصل

---

١ – روح الدين الإسلامي لعفيف طبارة ص ١٩.

٢ – البخاري ج٤ ت. د. بغا. باب لا هامة ح ٥٤٣٧ ص ٢٠٤٧.

القول في حياته فليراجع كتاب «أبي هريرة» للعلامة عبد الحسين شرف الدين (ره).

وكتاب «شيخ المضيرة» للشيخ محمود أبي ريًّا وبهذين الكتابين ينكشف للقارئ عَالَمٌ جديد في حياة البحث والتحقيق.

علم الكيس

كان عند أبي هريرة كيسٌ لا ينضب أجاجه ولا يقيض مرار حنظله إلاَّ بانتهاء حياته وهو عبارة عن أنه استجاز ضميره الشطط على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فما من حادث إلا وله فيه حديث حسب المناسبات، وإذا اضطر ولا مخلص يلجأ إليه اعترف بالكذب.

وصرح بالكيس وأعظم شاهد على ذلك ما أخرج البخاري بسنده عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (أفضل الصدقة ما ترك غنىً واليد العليا خير من السفلى وابدء بمن تعول تقول المرأة إمّا أن تطعمني وإمّا أن تطلقني ويقول العبد اطعمني واستعملني ويقول الابن إلى من تدعني) فقالوا يا أبا هريرة سمعت هذا من رسول الله؟ قال لا هذا من كيس أبي هريرة)[1] فانتبه وتأمل.

علم الوعائين

اخرج البخاري بسنده عنه قال «حفظت من رسول الله وعاءين فأما

---

١ - المصدر السابق ج ٣ ح ٥٠٤٠ ص ١٩٢٢ باب وجوب النفقة.

أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قُطِعَ هذا البلعوم»[١].

فتأمل عزيزي القارئ في وعاء قطع البلعوم وتوأمه وعاء البث المنصوص عليهما في هذا الحديث، وبعد التأمل نقول لك ـ تبياناً للحقيقة ـ إن وعاء البث هو نفسه علم الكيس الآنف الذكر الذي يبث منه ـ حسب المناسبات ـ امشلجاً من صدق وكذب كما لاحظ الزبير بن العوام ونقله ابن حجر في الإصابة عند قوله:

«واخرج ابن أبي خيثمة... عن عروة عن أبيه قل: قل: أبي ادنني من هذا اليماني ـ يعني أبا هريرة ـ فإنه يكثر الحديث فأدنيته فجعل يحدث والزبير يقول: صدق كذب فقلت: ما هذا قل: صدق أنه سمع هذا من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكن منها ما وضعه في غير موضعه»[٢] قلت: هذا في عصر الزبير فما بالك في عصر معاوية بن أبي سفيان.

وأما وعاء قطع البلعوم فكل ما فيه صحيح بشرطين «الأول» أن لا يكون قوله هذا ضرباً من المبالغة والمغالاة ليلفت نظر العامة إلى بحر دعاويه الباطلة «الثاني» شرط أن يكون في وعاءه الصحيفة ـ وخز الناقة ـ نكران الوصية ـ التخليف والتأمير ـ سنن الخلفاء ـ الناكثون ـ القاسطون ـ المارقون ـ المنافقون ـ حقوق أهل البيت ـ مظلوميتهم ـ الخمس ـ التولي ـ التبري ـ بغض أهل البيت علامة النفاق ـ أسماء الظلمة ـ أزمانهم ـ أمكنتهم ـ التغيير والتبديل ـ الردة ـ وغير ذلك من حقوق الدين والأوصياء والأمّة ـ وعليه لو نبس بشيء من هذه الخفايا لقطع معاوية بلعومه بالفعل.

---

١ – المصدر السابق ج ١ ص ١٢٠ ص ٥٥.

٢ – الإصابة لابن حجر العسقلاني ج ٤ ص ٢٠٧.

هذا كله مع أنه يظهر أنه يخشى الله من كتمان العلم لئلاً يستحق اللعن كما في الآية التي يتلوها ويرددها على الناس عندما يقولون أكثر أبو هريرة على رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

أخرج البخاري بسنده عنه قل «... ولولا آيتان من كتاب الله ما حدَّثت حديثاً ثم يتلو ﴿**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابعوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم**[١]﴾[٢].

ولكنه مات ولم يبين لا بشكل علني قبيل الموت ولا بشكل سري ولو عن طريق الوصية وإنما ذهب بوعائه إلى معسكر الموتى يحمل أوزاره ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أبو هريرة زلة لا تقال وعثرة لا جبر بعدها

حكم أخوتنا أهل السنة على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنه يسهو وينسى ويجتهد فيصيب ويخطئ كغيره وقالوا في مروياتهم أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نهى عن تأبير النخل وعندما فسد جانبٌ من اقتصاد المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية آن ذاك وهي في أول تأسيسها وفي أحرج الظروف اعترف بالخطأ فقال: (أنتم أعلم بأمر دنياكم)[٣] وأجازوا عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) أموراً كثيرة من هذا القبيل وغيره.

هذا وقد حكموا لأبي هريرة أنه معصوم عن نسيان ما سمع من الحديث

---

١ – البخاري ج ١ ت. د. بغا. ح ١١٨ ص ٥٤.

٢ – سورة البقرة آية ١٥٩–١٦٠.

٣ – مسلم بشرح النووي ج ٨ جزء ١ ص ١١٦ ـ ١١٧ ـ ١١٨.

بحجة أن رسول الله أعطاه علم الثوب الآنف الذكر ـ فراجعه إن شئت ـ وعصموه كذلك من الكذب كما عصموا غيره من الصحابة.

قلت: اعتقاد أخوتنا أبناء العامة بطهارة أبي هريرة من الكذب لا يتطابق مع واقعه عندما نضعه على مشرط التشريح، أليس هو رجل الزور والبهتان والذي افترى على رسول الله بما يخدش العصمة ويصطدم بالقرآن الحكيم عندما زعم أن الله أتم الخلق في سبعة أيام؟ فاستمع إلى حديث مسلم فيما يلي تجد مصداق ذلك:

قال: «أخذ رسول الله بيدي فقال: خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم (عليه السلام) بعد العصر يوم الجمعة في آخر الخلق من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل»[1].

ولا أدل على كذب هذا الحديث ـ الذي هو واحد من عشرات المئات من الأكاذيب ـ فلا أدل على ذلك من كتاب الله تعالى حيث قال: ﴿**وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام**﴾[2] ذكر الله ذلك في سبعة مواطن من القرآن الحكيم ولهذا قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية من سورة الأعراف: «تكلم البخاري وغير واحد من الحفّاظ في هذا الحديث وجعله من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار».

وصدق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قوله: (بلغوا عني ولو آية

---

١ – مسلم بشرح النووي ج ٩ جزء ١ ص ١٣٣ مسند أحمد ج ٢ ٨١٤١ ص ٦٢٧.

٢ – سورة هود آية ٧.

وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)[١].

ولكن أبا هريرة لم يكتفِ أن يتحدث عن اليهود وإنما شرع يأخذ الإسرائيليات فينسبها إلى رسول الله غير مبالٍ بالمقعد الذي يتبوأه يوم القيامة.

عدد من كذّبه من الصحابة والتابعين وغيرهم

كان أبو هريرة أول راويةٍ مجروح في الإسلام وإليك أخي المسلم قائمةً بأسماءِ نخبةٍ من الذين كذبوه بعضهم صحابة وبعضهم تابعون وأخرون معاصرون.

١ ـ عمر بن الخطاب كان يكذبه ويهدده باللحاق بأرض دوس[٢] ويضربه بالدرة[٣].

٢ ـ عثمان بن عفان كان من الذين كذبوه في وجهه[٤].

٣ ـ علي بن أبي طالب يقول: (أكذب الأحياء على رسول الله أبو هريرة الدوسي)[٥].

٤ ـ عائشة أم المؤمنين كانت أشد الناس تكذيباً له وإنكاراً عليه صراحة[٦].

٥ ـ عبد الله بن مسعود أنكر عليه وقال فيه: قولاً شديداً[٧].

---

١ - البخاري ج٢ ت. د. بغا باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

٢ - علوم الحديث د. صبحي الصالح ص ٣٦٠.

٣ - شرح النهج لابن أبي الحديد ج١ ص ٣٦٠.

٤ - شيخ المضيرة لمحمود أبي ريا ص ١٣٣.

٥ - شرح النهج ج ١ ص ٣٦٠.

٦ - البخاري باب الصائم يصبح جنباً ج ١ ت. د. بغا. ح ١٨٢٥ ص ٦٣٠ الإصابة لابن حجر ج ٤ ص ٢٠٦ مسلم بشرح النووي ج ص ٢٢٠ باب من يطلع عليه الفجر.

٧ - السنة ومكانتها ص ٣٤٧.

٦ ـ الزبير بن العوام كذبه عندما رآه يضع الأحاديث في غير محالها وعلى غير معانيها[١].

٧ ـ عبد الله بن عباس أنكر عليه الوضوء من عيدان يابسة[٢].

٨ ـ سعد بن أبي وقاص رد عليه حديثه فوقع بينهما كلام حتى ارتجت الأبواب[٣].

٩ ـ أبو سلمة الحارث ابن عمه أنكر عليه فصمت ورطن بالحبشية[٤].

١٠ ـ عبد الله بن عمر اتهمه بالكذب ضمناً في رواية كلب الزرع[٥].

١١ ـ مروان الوزغ بن الحكم الذي لا تَهِمَّه سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طعن في عدالته وعمد على تكذيبه[٦] ثم سكت عنه لغاية في نفس معاوية.

١٢ ـ شعبة بن الحجاج إمام أهل الجرح والتعديل يقول: أبو هريرة كان يدلس، وقال: «لإن أزني أحب إليَّ من أن أدلس» وقال: «التدليس أخو الكذب»[٧].

١٣ ـ إبراهيم النخعي كان يقول: (كان أصحابنا يَدَعُون حديث أبي هريرة) وقال: «كانوا يرون في حديث أبي هريرة شيئاً» وقال يوماً للأعمش:

---

١ – الإصابة لابن حجر ج ٤ ص ٢٠٧.

٢ – شيخ المضيرة لمحمود أبي ريا ص ١٤٠ نقلاً عن فجر الإسلام ص ٢٩٥.

٣ – المصدر السابق نقلاً عن سير أعلام النبلاء للذهبي ص ٤٣٥.

٤ – البخاري ج ٤ باب لا هامة ج ٥٤٣٧ ص ٢٠٤٧.

٥ – مسلم بشرح النووي ج ٥ جزء ٢ ص ٢٣٦.

٦ – البخاري ج ١ ت. د. بغا. باب الصائم يصبح جنباً ج ١٨٢٥ ص ٦٣٠.

٧ – انظر علوم الحديث د. صبحي الصالح ص ٣٦١ شيخ المضيرة لمحمود أبي ريا ص ١١٣ ـ ١١٤ ـ ١١٥.

«دعني من حديث أبي هريرة»[١].

١٤ ـ أبو حنيفة يقول: «اقلد جميع الصحابة إلا ثلاثة ... أبو هريرة... فكان يروي كل ما سمع من غير أن يتأمل في المعنى ومن غير أن يعرف الناسخ من المنسوخ»[٢].

١٥ ـ رد بعض أصحاب الشأن حديث أبي هريرة في بيع المصرّاة وقال: «أبو هريرة متهم فيما يرويه ونحا نحوه الرشيد ـ وكان ذلك في مجلس الرشيد»[٣].

١٦ ـ عمرو بن عبيد سبه وطعن في روايته[٤].

١٧ ـ المعتزلة لا يثقون به ولا يأخذون بأحاديثه قال : أبو جعفر الإسكافي «أبو هريرة مدخول عند شيوخنا»[٥] أي شيوخ المعتزلة وهم أحناف يقلدون أبا حنيفة إلا قليلاً.

١٨ ـ البخاري صاحب الصحيح يجعل حديث أبي هريرة «خَلَقَ الله التربة يوم السبت» من روايته عن كعب الأحبار لا كما نسبها أبو هريرة إلى النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)[٦].

١٩ ـ ومن المعاصرين السيد محمد رضا والدكتور طه حسين والدكتور

---

١ – شيخ المضيرة لأبي ريا ص ١٤٦ نقلاً عن مرآة الأصول شرح مرقاة الوصول للملا خسرو الحنفي مخطوط.

٢ – شيخ المضيرة لأبي ريا ص ١٤٦ نقلاً عن مرآة الأصول شرح مرقاة الوصول للملا خسرو الحنفي مخطوط.

٣ – المصدر السابق ص ١٤٧ ـ ١٤٨.

٤ – المصدر السابق ص ١٤٨ نقلاً عن فجر الإسلام ص ٣٦١.

٥ – شرح النهج ج١ ص ٣٦٠.

٦ – تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٢٠.

أحمد أمين والدكتور صدقي هؤلاء كلهم نقدوا حديث أبي هريرة[١].

٢٠ ـ الصحابة يكذبونه عدا رؤساء الفئة الباغية مثل معاوية وأشياعه[٢].

٢١ ـ أبو هريرة نفسه اعترف بأنه كذاب بحضور جمهرة من المسلمين كما جاء في البخاري[٣] عبر حديث الكيس.

أبو هريرة وعلماء الجرح والتعديل

لا أريد أن أتكلم عن الخلاف الذي دار بين علماء الجرح والتعديل حول هذه الشخصية ابتداءً من عصر الصحابة وإلى يومنا ولا يزال، فالتاريخ طويل والمسار شائك فكم من جارح وطاعن وكم من رافض ومتشكك وكم من معدل وآخذ «وبكلمة» شبهات حادة دارت وتدور حول شخصية أبي هريرة الدوسي غير أني أريد أن أجمع شتات من قال وما قيل في هذا الرجل فأمثّل لمن قال بعالمين جليلين أحدهما سماحة المرحوم د. مصطفى السباعي والثاني الشيخ المرحوم محمود أبو ريًّا وأمثّل لِما قيلَ بما قالا وإليك عزيزي القارئ عصارة ما فهمناه:

ثمة نقاش دار بين الشيخ أبي ريًّا في مواضع لا تكاد تذكر من كتابه «شيخ المضيرة أبو هريرة» وبين د. مصطفى السباعي في كتابه «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» .

كان النقاش لا يخلو من الحدة وردود الأفعال على رغم أن كلاً منهما يدعو للتحقيق العلمي والمسار المنطقي، فالشيخ أبو ريًّا يرى من نفسه ناقداً

١ – انظر شيخ المضيرة لمحمود أبي ريًّا ١٤٨.

٢ – المصدر السابق.

٣ – انظر البخاري ج ٣ ت. د. بغا. باب وجوب النفقة ج ٥٠٤٠ ص ١٩٢٢.

علمياً في كتابه.

وكـذا المرحـوم السـباعي يـرى أن رائـده العلـم والمنطـق في رده علـى كتـاب أضـواء علـى السـنة للشـيخ أبـي ريَّـا، وعلـى التحقيـق الـذي ادعاه الرجلان ولمسناه ويحسه كل من له إلمام من أصحاب الشأن أن هناك أربـع فوارق هامة بينهما:

الفارق الأول

إن المرحوم السباعي يريد أن يرد على خصمه بأسلوب علمي لولا خبيئة من الحلة تغمر صفحة ذهنه فيظهر أثرها على قلمه فيشطح بالشـتم والسـباب مما يقوض التحقيق العلمي فينشط الجلل إلى درجة مماحكات لفظية أقرب منـها إلى كونها حقيقية باعتبار أن الدفاع عند السباعي نتيجة صادقة لمقدمة صادقـة ـ حسب اعتقـاده ـ أو مسـلمة تقـوم علـى أسـاس عدالـة الصحابـة فيجـب أن نعصمهم عن تعمد الكذب فلو آمنا أن البعض منهم يتمرد على هذه المسـلمة فالدين هالك، ولذا من اعتقد من المسلمين أن صحابياً قد يكذب عـامداً فـهو على شفا حفرة مـن الخـروج عـن الإسـلام بـل يريـد هـدم الإسـلام وتكفـير المسلمين.

قلت: ومـن ثمـرات هـذا الاعتقـاد أن الصحابـة بـأعدادهم الـتي تقـدر (بـ ١٢٤) ألـف فإنـهم يسـهون وينسـون كمـا أن رسـول الله يسـهو وينسـى ـ حسب عقيدة أخوتنا أهل السنة ـ ولا ينطقون عامدين إلا بالصدق فـلا ميـلاً ولا هـوىً كمـا أن رسـول الله مـا ينطـق عـن الهـوى إن هـو إلا وحـيٌ يوحـى وإلا فتنهدم الشريعة، وكأن السنة المطهرة لا يرويها من الصحابة إلا أبو هريـرة

وأمثاله، ومن المحدثين إلا البخاري وأضرابه، ومن المجتهدين إلا أبو حنيفة ومن على شاكلته، ومن العقديين إلا أبو الحسن الأشعري، وهنا تكمن ومن هنا تظهر نقاط الضعف في منطق السباعي.

وإمّا الشيخ أبو ريّا فإنه يعبّر عن فكره بالأسلوب الذي يريد وهو هادئ الأعصاب حرٌّ طليقٌ متمتع بحرية التفكير الذي لا يحيد عن طريق العلم زائداً حرية التعبير نائٍ عن التقليد متمرداً على قانون تكميم الأفواه لا يريد في نتاجه إرضاءً لصديق ولا ازعاجاً لخصم وإنما يريد استجلاء حقيقة بعد عرضها على أدق موازين البحث العلمي، فيأخذ الواقع من واقعيته والتاريخ من مجراه، وله القدرة على تملك أعصابه سواءً هاجم أو هوجم.

الفارق الثاني

إن المرحوم السباعي ـ في كتابه السنَّة ـ يجزل السباب والشتم للشيخ أبي ريّا وبلا حساب أما الشيخ أبو ريّا يكاد أن لا يقابله بالمثل على رغم أنه ألف كتابه الجديد ـ شيخ المضيرة أبو هريرة ـ بعد أن اطلع على كتاب السباعي غير أنه يتألم أحياناً وقد يعتب عتباً.

الفارق الثالث

إنّ المرحوم السباعي يريد أن يجعل المستشرقين ـ وعلى رأسهم جولد اتسيهر ـ أئمة لمثل أحمد أمين وأبي ريًا ومن حذا حذوهما وباعتبار أن كلاً منهما نقد أبا هريرة في كتابه فالأول في فجر الإسلام والثاني في أضواء على السنة ـ والمناسبة ـ فإن السباعي يكثر الشتم لأبي ريا بخلاف صنيعه مع

الأستاذ أحمد أمين.

واستغرابنا هنا بلحاظ أن قضيتهما واحدة ورده عليهما من كتاب واحد والذي يغلب على الظن أن لا مسوغ لذلك إلا اتهامه لأحمد أمين بالتشيع للمستشرقين وبخاصة جولد اتسيهر في الحين الذي اتهم فيه أبا ريًّا بالتشيع لآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)!!!.

وأما الشيخ أبو ريًّا يريد أن يرد الفرع إلى الأصل والنتائج إلى المقدمات ويلحق الجناية بجانبها، ويرى أن الباحث العلمي المتمكن البريء لا يؤاخذ على أفكاره لأنه لا يلوي بعنقه إلاّ تجاه ما يؤمن به العقل أو تهدي إليه التجربة أو يدل عليه الخبر الصادق، وعليه فلا يؤاخذ في نتاجه وإلاًّ فالشرع والعقل يقبحان أخذ البريء بذنب المسيء، فكما أن النقاد من الصحابة مثل عمر وعثمان وعلي وعائشة وغيرهم لا يؤاخذون على نقدهم لأبي هريرة فكذلك الباحث الناقد لا يؤاخذ بلحاظ وحدة الحكم والقضية.

وعليه فمن الانصاف أن نقول أن الباحثين يقتفون أثر النقاد من الصحابة الذين عاصروا الرجل وعايشوه في عصر لم يكن فيه نظام المعتزلة ولا جولد اتسيهر المستشرقين ولا أبو ريا وأحمد أمين وأضرابهم من الباحثين ولم يكن عمر وعثمان وعائشة وأمثالهم شيعة موالين، ولا جرم أن المفكرين المسلمين والمستشرقين والمعتزلة والشيعة وغيرهم لم يمسكوا على شيء لولا نُقَّاد الصحابة والتابعين وبعض الأحاديث المفضوحة التزوير مثل حديث «خلق الله التربة يوم السبت».

الفارق الرابع

يريد المرحوم السباعي أن يجعل من عدالة الصحابة قانونا لا يقبل النسخ في خضم المحو والإثبات وشرطا أساسيا لا يقبل الانخرام باعتبار أن قانون الجرح والتعديل لا مساس له بالصحابة، وعليه يلزم قصره على التابعين فما دونهم أما هم فيجرحون ولا يجرحون ـ كما هو مجمع عليه عندهم ـ.

فيلزم الإذعان لموازين الله، فالله وزنهم بميزان العمل فوهبهم العدالة وكأنهم أعدال الدين فبمساسهم تمس الشريعة الغراء، فالطاعن بهم طاعن بالدين والذاب عنهم ذاب عن الدين، وهكذا المرحوم السباعي يبني ادعاءه على هذا الأساس.

وأما الشيخ أبو ريا ـ ينقد الرجل بالنقد الذي أرسى قواعده سلفنا الأخيار من أصحاب هذا الشأن استجابة لمنطق العقل وتعبدا بأوامر الشرع المقدس، وذبا عن صحيح السنة الشريفة وإذعانا لإجماع المسلمين في عصر النبوة إلى نهاية عصر الخلافة الراشدة.

وبعد أن اطلع على كتاب العلامة عبد الحسين شرف الدين ـ نهض مناديا بصوت يدوي في الآفاق يهز الضمائر الحية ويكاد يسمع الصم الدعاء، فاستجبنا له متجهين يم الصوت، ففهمنا من خلال كتابه ـ أبو هريرة، قصده ومعناه على الشكل التالي:

إن استجابة المسلمين لمنطق العقل وأوامر الشرع وذبهم عن الشارع والشريعة بسلاح قانون الجرح والتعديل وإجماعهم عليه كل ذلك سعي مشكور عند الله وعندنا إلا أن إجماعهم ـ ومن ذي قرون طويلة ـ خداج وأي خداج ما لم تسر قواعد هذا العلم على الصحابة وتنطبق عليهم كغيرهم، وبكلمة

كيف نعصمهم وهم غير معصومين بإجماع المسلمين من سلف الأمــة وخلفـهـا على اختــلاف فرقـهم ومذاهبـهم والصحابـة أمـة بكاملـها ويقـدر عديدهـم «بـ ١٢٤» ألف حسب إحصائيات ابي زرعة الرازي والناس خلقوا من معـادن الأرض.

وفيها الجبل والوادي والصلب والهش والتراب والرمل والمسبخ والمثمـر فكذلك أناسي الصحابة كغيرهم حيث فيهم الـبر والفـاجر والمؤمـن والمنـافق والغـبي والخـامل والمـزدرى والمجنـون والكريـم والـرديء والشـجاع والجبـان والصادق والكاذب وما إلى هنالك من المناقب والمثـالب فـلا يتسـاوون بمـيزان العدل.

ومن المستحيل أن توجد أمـة كـهذه وبـهذا العـدد ولا يوجـد فيـها مـن يكذب ويزور، ومن المستحيل.

ثانية: أن يأتي جمهور العامة بدليل شامل يستغرق إعدادهم مـن الكتـاب والسنة الصحيحـة في متنـها وسـندها، وحاشـا لله ولرسـوله أن ياتيانـا بدليـل يعصمهم من الكذب فيكذبه الواقع، وأي ضير يضيرنا لو سرت قواعـد علـم الجرح والتعديل على الصحابة .

فإن كانوا فعلاً مبرئين من الكذب والتزوير وسالمين من أسـباب الفسـق وخوارم المروءة فلنا أن ننافخ عنهم ونباهي بهم.

وإن كان العكس فتنقية السنة المطهرة من دسائس المجروحـين منـهم أولى وألزم من الدفاع عنهم لتجنيب الشريعة والمتشرعة مـن الخطـر أمـام ضربـات التحليل العلمي وهجمات المفكرين وجولد اتسيهر والمستشـرقين ولنـا بـهذا أسوة حسنة من نقاد الصحابة مثل عمر وعثمان وعلي وعائشة وغيرهم.

وأعتقد جازماً أنه يحرم تعديل من جرحوه ففيه تكذيب لكبار الصحابـة، وهكذا الشيخ أبو ريا بنى نظريته. وعلى هذا الأساس وبهذه الفوارق يُعْلَمُ أي الرجلين تحقيقه علمي وتحليله منطقي.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين .. آمين آمين.

دير الزور ــ سورية

٢٩/ صفر/ ١٤١٩ هــ ــ ٢٤/ ٦/ ١٩٩٨م

السيد حسين الرجا

فهرست المصادر

التنزيل وما يتعلق به

1. القرآن الحكيم.
2. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل / ناصر مكارم الشيرازي/ مؤسسة البعثة بيروت ط١.
3. الميزان في تفسير القرآن / محمد حسين الطباطبائي/ إيران قم ط٣.
4. تفسير الجلالين / جلال الدين السيوطي جلال الدين المحلي/ دمشق مكتبة الملاح
5. تفسير القرآن العظيم / ابن كثير اسماعيل القرشي/ دار أحياء التراث العربي بيروت.
6. تفسير كنز الدقائق / محمد المشهدي القمي/ مؤسسة النشر الإسلامي.
7. مجمع البيان في تفسير القرآن / الطبرسي الفضل بن الحسن/ دار مكتبة الحياة بيروت.
8. البرهان في علوم القرآن / الزركشي محمد بن عبد الله / دار المعرفة بيروت ط٢.
9. اسباب النزول / السيوطي جلال الدين/ دمشق مكتبة الملاح.

١٠. أسباب النزول / الواحدي علي بن أحمد النيسابوري / المكتبة الثقافية بيروت.

١١. أكذوبة تحريف القرآن / رسول جعفريان/ مطبعة سلمان الفارسي.

كتب الحديث

١. المستدرك على الصحيحين / الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري / دار المعرفة بيروت.

٢. المعجم الأوسط / الطبراني سليمان اللخمي / مكتبة العارف الرياض ط١.

٣. سنن أبي داوود / السجستاني سليمان بن الأشعث / دارالجنان بيروت ط١.

٤. سنن النسائي / النسائي أحمد بن شعيب / دار الريان القاهرة.

٥. صحيح الترمذي / الترمذي محمد بن عيسى بن سورة / دار الكتب العلمية.

٦. صحيح البخاري / البخاري الجعفي محمد بن اسماعيل/ دارالعلوم دمشق حلبوني ط٢.

٧. صحيح مسلم / القشيري النيسابوري مسلم بن الحجاج / دار إحياء التراث العربي بيروت.

٨. كفاية الطالب / الكنجي الشافعي محمد بن يوسف / فارابي طهران إيران ط٣. .

٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / الهيثمي علي بن أبي بكر/ مؤسسة العارف بيروت.

١٠. مسند أحمد / ابن حنبل الشيباني/ دار المعارف مصر.

١١. تحقيق على صحيح الترمذي / كمل يوسف الحوت / دارالكتب العلمية بيروت.
١٢. حاشية على سنن النسائي / السندي / دار الريان القاهرة.
١٣. حاشية على مختصر ابن أبي جمرة علي البخاري / الشنواني محمد بن علي الشافعي / دار إحياء الكتب العربية مصر
١٤. حاشية على سبل السلام / الخولى محمد بن عبد العزيز/ مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر.
١٥. شرح على مسند أحمد / أحمد محمد شاكر/ دار المعارف مصر.
١٦. نزهة المتقين / الخن والبغا وآخرون/ مؤسسة الرسالة بيروت شارع سورية ط١.
١٧. شرح صحيح مسلم / النووي يحيى بن شرف الشافعي / دار إحياء التراث العربي بيروت.
١٨. كنز العمال / المتقي الهندي علي بن حسام الدين/ مؤسسة الرسالة بيروت.

كتب العقيدة

١. الروح / ابن قيم الجوزية / دار الكتب العلمية بيروت.
٢. الإسلام والعقل / عبد الحليم محمود / دار المعارف القاهرة.
٣. روح الدين الإسلامي / عفيف طبارة / دار العلم للملايين بيروت ط١٣.
٤. مقالات الإسلاميين / الأشعري أبو الحسن/ دار إحياء التراث العربي بيروت ط٣.

كتب الفقه

١. الروضة البهية على متن الرحبية .
٢. الطب النبوي / ابن قيم الجوزية / دارالكتب العلمية.
٣. فقه السنة / السيد سابق / دارالكتاب العربي بيروت.
٤. كفاية الأخيار / الدمشقي محمد الحسين الشافعي/ مطبعة مصطفى البابي الحبي مصر ط٢.
٥. مغني المحتاج / الشربيني محمد الخطيب / المكتبة الإسلامية لصاحبها رياض الشيخ.

كتب التراجم والمعاجم.

١. الاستيعاب في أسماء الأصحاب / القرطبي المالكي ابن عبد البر النمري / دار الكتاب العربي بيروت.
٢. الإصابة في أسماء الصحابة / العسقلاني أحمد بن على الشافعي المعروف بابن حجر / دارالكتاب العربي بيروت.
٣. الطبقات الكبرى / ابن سعد الزهري البصري كاتب الواقدي / دار بيروت ـ بيروت.
٤. القاموس المحيط / الفيروز أباد محمد بن يعقوب الشيرازي / دار الفكر بيروت
٥. الكنى والألقاب / عباس القمي / مكتبة الصدر طهران.
٦. الموسوعة العربية الميسرة / ٥٥ .د. وخبير مختصْ / دار الشعب مصر ط٢.
٧. حياة الحيوان / الدميري محمد بن موسى / دار الألباب بيروت دمشق.
٨. شيخ المضيرة / محمود أبو رية / أمير قم إيران.

٩. مختار الصحاح / الرازي محمد ابن أبي بكر/ المكتبة الأموية بيروت دمشق.
١٠. معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة / دار إحياء التراث العربي.

كتب السير والتاريخ

١. الإمامة والسياسة / الدينوري ابن قتيبة / مؤسسة الوفاء بيروت ط٢.
٢. البداية والنهاية / ابن كثير/ مكتبة العارف بيروت ط٢.
٣. السيرة الحلبية / الحبي برهان الدين/ دار المعرفة.
٤. الكامل في التاريخ / ابن الأثير علي ابن أبي الكرم / دار صادر بيروت.
٥. تاريخ الأمم والملوك / الطبري محمد بن جرير/ دار الفكر.
٦. تاريخ الخلفاء / السيوطي جلال الدين/ دار الفكر.
٧. تاريخ اليعقوبي / اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب / دار صادر بيروت.
٨. سيرة ابن هشام / ابن هشام عبد الملك المعافري / دار التوفيقية الأزهر مصر.
٩. مروج الذهب / المسعودي علي بن الحسين / مطبعة السعادة مصر ط٤.
١٠. نور الأبصار / سيد الشبلنجي / مكتبة الجمهورية بجوار الأزهر مصر.
١١. نور اليقين / محمد الخضري / مدرس التاريخ الإسلامي بالجامعة المصرية.

كتب التصوف

١. التصوف في الإسلام / د. عمر فروخ/ دار الكتاب العربي بيروت.
٢. المنقذ من الضلال / الغزالي أبو حامد محمد بن محمد .
٣. تلبيس إبليس / ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن البغدادي/ مكتبة

المتبني القاهرة.
٤. تنوير القلوب
٥. حقائق عن التصوف / عبد القادر عيسى / مطبعة البلاغ حلب سورية ط٢.
٦. شطحات الصوفية / د. عبد الرحمن بدوي / وكالة المطبوعات الكويت ط٣.
٧. عوارف المعارف / السهروردي عبد القاهر أبو النجيب / دار المعرفة بيروت.
٨. هذه هي الصوفية /عبد الرحمن الوكيل / دار الكتب العلمية بيروت ط٤.

كتب الجدل والحوار

١. الحقائق في تاريخ الإسلام / د. حسن المصطفوي / طهران.
٢. الاستغاثة / أبو القاسم الكوفي/
٣. بالسنة ومكانتها / د. مصطفى السباعي/ المكتب الإسلامي دمشق ـ بيروت ط٢.
٤. الشيعة بين الحقائق والأوهام / السيد محسن الأمين / مؤسسة الأعلمي بيروت ط١.
٥. شرح النهج / ابن أبي الحديد المعتزلي / مؤسسة الأعلمي بيروت ط١.
٦. الصواعق المحرقة / ابن حجر الهيثمي / مكتبة القاهرة مصر ط٢.
٧. العواصم من القواصم / أبو بكر بن العربي/ المطبعة السلفية القاهرة.
٨. الفصول المهمة / عبد الحسين شرف الدين/ دار الزهراء بيروت.
٩. المراجعات / عبد الحسين شرف الدين/ دار الصادق بيروت ط٣.
١٠. تطهير اللسان / ابن حجر الهيثمي/ مكتبة القاهر مصر ط٢.

١١. حاشية على الصواعق / أستاذ كلية الأصول عبد الوهاب عبد اللطيف / مكتبة القاهرة مصر ط٢.

١٢. دلائل الصدق / المظفر محمد حسن/ دارالتراث العربي بيروت.

١٣. شبهات حول الشيعة / عباس علي الموسوي / دار ومكتبة الرسول الأعظم ط٢.

١٤. صحابة رسول الله / الكبيسي عيادة أيوب/

١٥. قاطع البرهان / الموسوي الفالي أحمد بن عزيز/

١٦. مقدمة على العواصم / الخطيب محب الدين/ المطبعة السلفية القاهرة.

كتب علم الجرح والتعديل والأصول

١. الباعث الحثيث بحاشية أحمد شاكر/ ابن كثير/ ميدان الأزهر مصر ط٣.

٢. التقريب بشرح التدريب / النووي يحيى بن شرق الشافعي/ دار الكتب الحديثة مصر ط٢.

٣. التلخيص بحاشية المستدرك / الذهبي/ دار العرفة بيروت.

٤. الثمرات على الورقات / اللجمي خضر محمد / مكتبة الغزالي حماة سورية.

٥. كتاب الضعفاء والمتروكين / النسائي أحمد بن شعيب / دار الوعي حلب سورية ط١.

٦. الضعفاء الصغير/ البخاري محمد بن إسماعيل/ دار الوعي حلب سورية ط١.

٧. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة / الشوكاني محمد بن علي / توزيع المكتب الإسلامي جدة السعودية القاهرة ط١.

٨. المغني عن حمل الأسفار بهامش الإحياء / العراقي عبد الرحيم بن الحسين /

مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر.

٩. الورقات بشرح الثمرات / الجويني ضياء الدين الشافعي/ مكتبة الغزالي حماة سورية.

١٠. التدريب بشرح التقريب / السيوطي جلال الدين/ دار الكتب الحديثة مصر ط٢.

١١. حاشية على التدريب / عبد الوهاب عبد اللطيف الأستاذ الأصولي / دار الكتب الحديثة مصر ط٢.

١٢. حاشية على الباعث الحثيث/ محمد أحمد شاكر/ ميدان الأزهر مصر ط٣.

١٣. حاشية على الضعفاء الصغير / محمد زايد / دار الوعي حلب سورية ط١.

١٤. حاشية على الضعفاء والمتروكين / محمد زايد / دار الوعي حلب سورية ط١.

١٥. علل الترمذي بآخر الجامع الصحيح / الترمذي محمد بن عيسى / دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٦. مقدمة علوم الحديث / ابن الصلاح عثمان الشهرزوزي / دار الحكمة دمشق حلبوني.

١٧. علوم الحديث ومصطلحه / د صبحي الصالح / دار العلم للملايين ـ بيروت ط٣.

فهرست الآيات

حرف الألف

حرف الثاء

حرف الخاء

حرف الراء

حرف السين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرست الأحاديث

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف السين

حرف الطاء

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

المحتويات